

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السابع عشر



بسم الله الرحمن الرحيم


كنوز رياض الصالحين
١٧

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٥٨٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-١١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٧)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-١١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٧)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (١٤٠٩)

١٤٠٩- وعن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قالوا: يَا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: ((**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو حميد الساعدي: هو عبدالرحمن بن سعد بن المنذر. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقيه في بيان كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقوم - أيضا - على السؤال، والجواب والسؤال في هذا الحديث جاء بصيغة الجمع الذي دل عليه اتصال فعل القول بواو الجماعة (قالوا) التي تشير إلى أن الرغبة في معرفة هذه الصيغة أصبحت مطلبا عاما الأمر الذي يشير إلى حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على ما يرضي الله تعالى، بالإضافة إلى أنه يعكس شدة محبة الصحابة لرسول صلى الله عليه وسلم، والصيغة التي أرشدهم إليها الرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن تفصيلا أكثر في من شملتهم الصلاة حيث تضمنت الصلاة على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وذريته وهو تفسير للفظ الآل الذي تقدم في الحديث السابق، وقوله (صل) أمر قصد به الدعاء فهو من الأدنى إلى الأعلى وهو طلب الرحمة، والمنزلة، والفضيلة المختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم، والصَّلاةُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ الدُّعَاءُ وَالصَّلاةُ الرَّحْمَةُ إلا أَنَّ الصَّلاةَ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا هِيَ الدُّعَاءُ وَإِنَّمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صِفَةِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ جِنْسِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ لأَنَّهُمْ لا يُؤْمَرُونَ بِالرَّحْمَةِ وَإِنَّمَا يُؤْمَرُونَ بِالدُّعَاءِ إلا أَنَّ الدُّعَاءَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ وَعَلَى صِفَاتٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧/٦٩) واللفظ له.

مُخْتَلِفَةٍ فَسَأَلُوا هَلْ لِذَلِكَ صِفَةٌ تَخْتَصُّ بِهِ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي ذَلِكَ صِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ وَهِيَ أَنْ يُدْعَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ. وقوله (وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ) أمر للدعاء، والْبَرَكَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ التَّكْثِيرُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَبَرَّةِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ تَكْثِيرَ الثَّوَابِ لَهُمْ وَرَفْعَ دَرَجَاتِهِمْ، وقيل: وَيَحْتَمِلُ بِذَلِكَ تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ مَعَ تَوْفِيقِهِمْ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ طُهْرَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) ينظر المنتقى - شرح الموطأ - الحديث: (٣٥٧).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تعظيم النبي ﷺ وإجلاله في الصدور:

إن لكل أمر تربوي سنام، وسنام التربية في الإسلام، توقير وإجلال النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؛ المربي الأول للأمة الإسلامية.

لذا كان من أعظم الواجبات وأجدر المهمات التي تُثقل كواهل دعاة التربية والتوجيه، توقير وتعظيم سيد الأنام في قلوب أبناء الإسلام، ومن ذلك الصلاة عليه ﷺ عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته، وهذا ما أشار إليه أحاديث الباب.

وقد عظم الحق تبارك وتعالى إجلال ذي الشيبة المسلم في الإسلام، فكيف بمن كتب الله على يديه هداية الأنام، وإقامة الملة، ومناصحة الأمة في الإسلام، وقد قال فيه الحكيم المنان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1].

وحتى يتسنى لمربي جيل الإسلام غرس إجلال وتوقير سيد الأنام في قلوب أبناء الإسلام يجب ما يلي:

١ - ذكر تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ﷺ وخصوصيهِ إياه بفضائلَ، ومحاسنَ، ومناقبَ، لا تنضبُط لِزِمَام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنةُ، والأقلامُ، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبَّه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلُّد إلجَابِهِ: فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى - ثم طهَّر وزكَّى ثم مدح بذلك، وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى"[2]، فذكر ذلك يبعث في قلوب المتعلمين الإجلال والعظمة والتوقير لسيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١١٨/١.

٢ - ذكر عظيم فضله ﷺ على أمته، والتي منها شفقته ورحمته بهم، ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم، وشفاعته لهم فهو القائل ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ. فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، وقال ﷺ: «إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

٣ - ذكر سيرة السلف الصالح في توقيره ﷺ وإجلاله، مما يبعث في نفوس المتعلمين والمربين الشوق إلى الاقتداء بتعظيمه وإجلاله ﷺ، وكان منها:

إن رجلاً أتى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدَّثه فقال له الرجل وددتُ أنك لم تَتَعَنَّ، فقال: إني كرهت أن أحدث عن رسول ﷺ، وأنا مضطجع،وكان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء إجلالاً له، وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم [١].

ثانيًا: أسلوب التربية بالتحفيز:

قد استخدم النبي ﷺ التحفيز كأسلوب من أساليب التربية والإعداد؛ لما يتفق مع ما فطر الله عليه الإنسان من محبة النعيم والرغبة فيه[٢]، وهذا ما ظهر جليًا في قوله ﷺ من حديث الباب-: "من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، فعلى المربين والمعلمين استحضار هذا الأسلوب في التربية لما فيه من التحريض على السعي الحثيث في تحصيل الخير وعظم الأجر.

ثالثًا: التربية بالترهيب:

قد يحتاج المربي والمعلم في توجيهه وتعليمه إلى علاج حاسم يضع الأمور في نصابها الصحيح، فقد لا تُجدي التربية بالتحفيز، وقد لا يثمر الترغيب، فعندئذ يحتاج المتربي إلى معرفة أن هناك نتائج مؤلمة بسلوكه المعيب، تعالج اعوجاجه، وتقيمُ انكساره، وهذا ما يسمى بأسلوب الترهيب[٣]، وهو ما ترائى جليًا في قول النبي ﷺ من حديث

---

(١) المرجع السابق، ٢/٤٠٤-٤٠٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢١٩.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

الباب "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي" وذلك كناية عن الذل والحقارة.

رابعًا: أثر الدعاء في التربية:

"إن الدعاء ثمرة المعرفة والإيمان بربٍ واحد قوي ديان، وهو شعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء؛ ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها، والدعاء سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع، وفقدان السند المعين، واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة. وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة"[1]؛ لذا وجب تأسيس تربية النشء والفرد على الدعاء في أموره كلها جليلها وصغيرها، وهذا ما يستفاد من حديث الباب في قول الصحابي: "سمع رسول الله ﷺ رجلاً، يدعو في صلاته.



(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٢٢-٢٢٥.

١٥- كتاب الأذكار

٢٤٤- باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾ ... إلَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢] الآية. والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الحديث رقم (١٤١٠)

١٤١٠- وعن أَبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الذكر يعتمد أسلوب التشويق في تقرير المعنى وتهيئة المخاطب ليقع في نفوسهم الموقع الأمثل، وقد تصرف في النبي ﷺ في أسلوبه بعبقرية بلاغي، وتوفيق نبي فجاء حديثه قطعة بديعة في تناسق، ورقة في العبارات، ودقة في المعانى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم واللفظ له (٢٦٩٤/٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧٩).

فقوله (كلمتان) نكرة مقدمة؛ لأنها الخبر وقوله: (حبيبتان) وما بعدها صفة تزيد تعلق المخاطبين بالنكرة، والمبتدأ (سبحان الله) إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه؛ لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا، وقوله: (خفيفتان) قال الطيبي الخفة مستعارة للسهولة شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات ولا يشق عليه فذكر المشبه، وأراد المشبه به والتعبير بَخِفَّتهمَا لبيان سُهُولَتهمَا عَلَى اللِّسَان لِقِلَّةِ حُرُوفهمَا وَحُسْن نَظْمهمَا وَاشْتِمَالهمَا عَلَى الاسْم الْجَلِيل الَّذِي يُذْعِن الطِّبَاع فِي ذِكْره كَأَنَّهُمَا فِي ذَلِكَ كَالْحِمْلِ الْخَفِيف الَّذِي يَسْهُل حَمْله، وقوله (ثقيلتان في الميزان) الثقل فيه على حقيقته، لأن الأعمال تتجسم عند الميزان والميزان هو الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد، والله تعالى يجعل الأعمال كالأعيان موزونة، أو يوزن صحف الأعمال، والطباق بين خفيفتان، وثقيلتان يشير إلى المفارقة العجيبة بين سهولة العمل، وبين عظمة الجزاء التي تنادي العاقل باغتنامها، وقوله (حبيبتان) تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، والمراد هنا محبوبية قائلهما، وتخصيص لفظ الرحمن من بين سائر الأسماء الحسنى، لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل بالإضافة إلى أنه أنسب لإقامة السجع أعني الفواصل وهي من محسنات الكلام التي تعطي اللفظ عذوبة والعبارة انسجاما مع غيرها، وقوله (سبحان الله) وَمَعْنَى سُبْحَان اللَّه تَنْزِيهُهُ عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِجَنَابِهِ الْعَلِيّ وَهُوَ مَصْدَر لِفِعْلٍ مُقَدَّر أَيْ أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَالْوَاو فِي وَبِحَمْدِهِ لِلْحَالِ بِتَقْدِيرِ وَأَنَا مُلْتَبِس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ لِلْعَطْفِ أَيْ أُنَزِّهُهُ وَأَتَلَبَّس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ زَائِدَة أَيْ أُسَبِّحهُ مُلْتَبِسًا بِحَمْدِهِ، ووجه تكرير سبحان الله الإشعار بتنزيهه على الإطلاق ثم أن التسبيح ليس إلا ملتبسا بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا جميعا، وفي الحديث من البديع المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع لأنه قال حبيبتان إلى الرحمن، ولم يقل للرحمن لموازنة قوله على اللسان، وعدى كلا من الثلاثة بما يليق به، وفيه إشارة إلى امتثال قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه١٣٠]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل.

ثالثًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث في قوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو وترغبه في فعل الخير، وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف ويأتي علاجًا وردعًا ويأتي بشيرًا ونذيرًا فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[2]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل:

حيث جاء في الحديث "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، وقوله: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، "ولا شك أن هذا ترغيب وبيان لفضل هذه الأذكار، قال الطيبي: "وفيه الحث على المواظبة عليها وتحريض على

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١١).

(٢) الدعوة إلى الله – الرسالة والوسيلة والهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩-٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

ملازمتها، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا يتركوها إذن روى في الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام: ما بال الحسنة تثقل والسيئة تخف؟، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فلذلك ثقلت عليهم فلا يحملنكم ثقلها على تركها، فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة والسيئات حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم فلا يحملنكم على فعلها خفتها، فإن بذلك خفت الموازين يوم القيامة"[١].

وقال الطيبي أيضًا: "والتعبير بقوله" مما طلعت عليه الشمس"، هي كنايات يعبر بها عن الكثرة عرفًا"[٢]، وقال ابن حجر: "وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته فلا ينبغي التفريط فيه لأن جميع التكاليف شاقة على النفس وهذا سهل، ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" المراد أن قائلها محبوب لله ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم، وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم[٣].

وقال ابن عثيمين: "وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها مع أنها أحب إلى رسول الله ﷺ، مما طلعت عليه الشمس رغم أن الإنسان لو ملك الدنيا كلها لا يستفيد منها شيئًا بعد موته لكن "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، هي الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٤]، فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة"[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٣/٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ٧٢/٥.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٥٠٧/٢.

قال أبو العباس القرطبي: وقوله في الحديث: (لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، أي: من أن تكون له الدنيا بكليتها، فيحتمل أن يكون هذا على جهة الغاية والانتهاء على طريقة العرب في ذلك، ويحتمل أن يكون معنى ذلك: أن تلك الأذكار أحب إليه من أن تكون له الدنيا فينفقها في سبيل الله، وفي أوجه البر والخير، وإلا فالدنيا من حيث هي دنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذلك هي عند أنبيائه، وأهل معرفته فكيف تكون أحب إليه من ذكر أسماء الله وصفاته التي يحصل بها ذلك الثواب العظيم والحظ الجزيل؟)[1].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" أي محبوبتان، والمعنى محبوب قائلهما. وخصّ لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازى العمل القليل بالثواب الكثير. وقوله: "سبحان الله وبحمده" أي: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه).

وقال الخطابي في حديث: (سبحان اللهم ربنا وبحمدك: أي: بقوتك التي هي نعمة توجب عليّ حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي. وقوله: "سبحان الله العظيم" قال بعض مشايخنا: إن الكلمة الأولى وهي سبحان الله وبحمده، تشعر بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه، وبالاعتراف بجميع ما يحمد به، وهذا يورث في القلب حبًا لله تعالى لأن من كان منزهًا من كل عيب، ومستجمعًا لجميع صفات الكمال استحق الحق. وأما الكلمة الثانية، فتشعر بعظمة الله تعالى وجلاله، وذلك يورث خوفًا منه تعالى، وإذا اجتمع الخوف والحب أورث خشية وهي من أعظم ما يقصد حصوله للعبد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]، ومن هذه الجهة كان ثواب الكلمتين عظيمًا. ثم قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين، والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام. فلا نظن أن

---

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٢/٧، ٢٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

من أدمن الذكر، وأصر على ما شاءه من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته، أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح)[١].

فمن أجل ذلك (قد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب)[٢]. فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[٣].

قال القرطبي: (أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله...، وفي قوله تعالى ﴿وَسَبِّحُوه بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ أي: أشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾، قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٤])[٥].

وفي ذلك قال ابن القيم: (إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز...، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١١/٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١١/١٨٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٧/١٦٧-١٦٩.

الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله)[1].

ثالثًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث أرشد الرسول ﷺ، إلى فضل هذه الأذكار، حيث قال ﷺ: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إلا إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس". والداعية الناجح هو الذي يرشد ويدل إلى الخير دائمًا وبهذا يظهر حرصه على المدعوين، وقد قال الله تعالى عن إمام الدعاة الأول ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، وبين الله تعالى أن نبيه يدعو إلى الهدى دائمًا والحق، قال جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3]. وقد بين النبي ﷺ، أن الذي يرشد ويدل إلى الخير له من الأجر مثل فاعله فقال في الحديث: "من دل على الخير فله مثل فاعله. أو قال عامله" [4].

إن الداعية دائمًا مصدر نفع للمدعوين، وحرص على إرشادهم وتوجيههم يفرح لطاعتهم ويحزن لمعصيتهم.

(وهذا الشعور الغامر بالشفقة على الناس يبعث في النفس الحزن والأسى على حال المعرضين والعاصين، ويتولد إثر ذلك قوة نفسية دافعة لاستنقاذهم من الخطر المحدق بهم، والهلاك القادم إليهم، وما أبلغ وأدق النص القرآني في بيان هذه الصفة عند

---

(١) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٤٢٨/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

تأمل هذه الآيات فإنه من فرط شفقته ﷺ داخله الحزن لامتناعهم عن الإيمان، فهوّن الله سبحانه عليه الحال، بما يشبه العتاب في الظاهر.

وقال ابن كثير في تفسيره[٣]: يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ...﴾ مسليًا لرسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه.

فهذه نفس الرسول ﷺ ملئت رحمة وشفقة على هؤلاء حتى كاد يُهلك نفسه وهو يدعوهم ويحرص على هدايتهم، ثم يخالط مشاعره الحزن عليهم والأسى لهم.

إن الداعية ينظر إلى المدعوين نظرة الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال بكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم هم المفرطون[٤]، وهكذا فإن: "الداعي الرحيم لا يكف عن دعوته ولا يسأم من الرد والإعراض لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضهم بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن إقناعهم وإرشادهم"[٥].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣/٧٢.

(٤) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ص١١٢، ١١٣.

(٥) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص٣٤٤.

الحديث رقم (١٤١١)

١٤١١- وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أكْبَرُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أحرص الناس على ما يقرب إلى الله، فهو أتقى الناس، وأعلمهم، فإذا قال قولا فهو الحق المبني على العلم، وإذا اختار اختيارا فهو مبني على اليقين وقوله (لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ... إلخ) كناية عن عظمة الأجر الذي تحويه هذه الكلمات، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى أنه المختار المرضي عند رسول ﷺ، وقوله (مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) كناية عن كل متاع الدنيا بأموالها وقصورها وبساتينها وغيرها من المتاع الفاني، وإذا تأملنا الأدعية وجدناها تضمنت تنزيه الله عن النقص (سُبْحَانَ اللهِ) والتعبير بالمصدر سبحان دون الفعل أسبح للمبالغة في التنزيه، كما تضمن الحمد والثناء على الله في قوله: (الحمد لله) وال في قوله الحمد للجنس أي جنس المحامد ثابت لله تعالى، كما تضمنت توحيد الله - عز وجل - في قوله: (وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي، والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه كما تضمنت تكبير الله في قوله: (وَاللهُ أكْبَرُ) ثم إن هذا التنويع في الذكر يقابله تنويع في الشعور الوجداني عند الداعي لأن إحساسه بمعنى تنزيه الله يخالف إحساسه بحمده الذي يرافق استشعاره لنعم الله عليه كما يخالف تكبيره لله الذي يستشعر معه تصاغر الموجودات مهما عظمت بالنسبة لغيرها، وهكذا في كل ذكر يرافقه لون من الشعور في الوجدان يزيده معرفة بصفة من صفات الله وجهة من جهات عظمته تعالى، والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٦٩٥/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٢)

١٤١٢- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ)).

وقال[1]: ((مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رقاب: جمع رقبة وهي في الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه، فالرقبة يراد بها العبد أو الأمة[3]، يعني قدر عتق عشر رقاب.

حرزًا: حماية وحفظًا وصونًا[4].

حُطَّت: أسقطت وغُفرت[5].

زبد البحر: رغوةُ مائه[6].

الشرح الأدبي

باب الذكر من أعظم الأبواب خيرا لكثرة الأجر المترتب عليه من ناحية، ومن

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، إلا الشطر الأخير، ومسلم (٢٨/٢٦٩١). ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٥)، وفصل القول الأخير بقوله: (وزاد مسلم) ثمّ ذكره، وهو الصواب.

(٣) النهاية في (ر ق ب).

(٤) النهاية في (ح ر ز).

(٥) النهاية في (ح ط ط).

(٦) لسان العرب في (ز ب د).

أخرى لسهولة إتيانه من مختلف طبقات الناس، وعلى اختلاف أعمارهم فيشترك فيه الغني، والفقير، والكبير، والصغير، والصحيح، والسقيم، والقوي، والضعيف لا يفرق بينهم في هذا العمل إلا الإخلاص فيه، وكثرة أحدهم عن غيره ثم إنه لا يختص بزمان كبعض العبادات، ولا بمكان بل في كل حين بلا كلفة، ولا مشقة فالعاجز المحروم من حرم نفسه خيرا عظيما لا كلفة فيه، وهذا الحديث يفتح بابا من أبواب الخير التي لا يعلم مداها وصولا بالعبد في درجات الزلفى إلا الله، وقد ساق الخبر في قالب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب في الذكر لأنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل، ويترك المؤمن ليختار فعلا بعاقبته، وداعي الله في قلبه يؤزه أزا لتحصيله وفعل الشرط هو قول كلمة التوحيد في قوله (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ...) بالصيغة المذكورة، في الظرف المذكور وبالعدد المذكور (فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ) وجواب الشرط يفيد ثبات، وتحقق الأجر المذكور في قوله (كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي) وقد تضمن هذا الجزاء درجات من الفضل أولها أنها تصير له عدل عشر رقاب أي تساوي فكأنه تصدق بما يساوي ثمن العشرة، والتصدق في عتق الرقاب له خصوصية لأنه يملِّكُ الإنسان أعز ما له، وهو نفسه، وحريته مما يدل على عظم الأجر وتميزه، ، والدرجة الثانية في الجزاء أن تكتب له مائة حسنة وتمحى عنه مائة سيئة، ولا ننسى أن الكتابة تدل على شدة الثبات، وصيغة الماضي في الجواب تفيد التحقق، وبناء الفعل للمفعول للعلم بالفعل وهو الله - تعالى- أو من كلَّفه بذلك من ملائكته، والدرجة الثالثة كونها حرزا أي حصنا من الشيطان، وهو العدو الأكبر الخفي ثم إنه قرر أفضليته على الناس جميعا في العمل، إلا من عمل مثله أو زاد عنه، وذلك عن طريق أسلوب القصر الذي يؤكد سبقه للجميع (وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ) ثم فتح بابا من الفضل بالتسبيح، والتحميد مائة مرة، والذي يمحو جميع الخطايا مهما بلغت، وقد وردت في أسلوب الشرط المرغب في العمل بذكر الجزاء، مع إشعار المخاطب بأنه حر الاختيار في تحصيل هذا الفضل أو تركه، والتشبيه بزبد البحر مبالغة في استقصاء الذنوب بالمغفرة لمن عمل بهذا العمل مهما بلغت ذنوبه فضلا من الله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له..."، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشد فكرهم إلى معرفة جواب الشرط، وتبين للمدعو مدى ارتباط الشرط بالجواب، فالجزاء من جنس العمل ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير:

يتضح هذا من الحديث: "كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه"، وهذا يدل على فضل هذا النوع من الذكر، قال النووي: "والتهليل المذكور في الحديث أفضل من غيره لأن فيه زيادة الحسنات ومحو السيئات، وفيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزًا من الشيطان وبهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٣).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٨.

يزيد على فضل التسبيح وتكفير الخطايا، لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، وفي الحديث دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم، كان له هذا الأجر المذكور على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نهى الله عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها كالزيادة في عدد ركعات الصلاة، ويحصل الأجر المذكور لمن قالها متوالية أو متفرقة في مجالس، أو بعضها أول النهار، وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره"(١).

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث ذكر ثواب عتق عشر رقاب لقولها مائة فيكون مقابل كل عشر مرات رقبة من قبيل المضاعفة فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، هذا وقد جاء في الحديث أن من قال هذا الذكر أيضًا عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع وصف كون الرقبة من بني إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم، أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم"(٢).

قال القاضي عياض: وقوله: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذٰلِكَ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، ثم ذكر بعد في فضل من قال: "لا إله إلا الله" المتقدم "كان كمن أعتق أربعة [أنفس] من ولد إسماعيل" ثم ذكر حديث: ((من سبح مائة تسبيحة كتبت له ألف حسنة، وحطت عنه ألف سيئة))، ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية وحدٌّ لهذه الأجور. ثم نبه ﷺ بقوله: "إلا أحدٌ عمل

---

(١) شرح صحيح مسلم١٥٩٠.

(٢) فتح الباري ٢٠٩/١١.

أكثر من ذلك" أنه جائز أن يزاد على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسابه، لئلا يظن أنها من الحدود التي نهى عن اعتدائها، وأنه لا فضل في الزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنن المحدودة أو أعداد الطهارة.

وقد قيل: يحتمل أن هذه الزيادة من غير هذا الباب، أي ألا يزيد أحد أعمالاً أخرى من البر غيرها، فيزيد له أجرها على هذا.

وقوله في حديث التهليل: "محيت عنه مائة سيئة"، وفي حديث التسبيح: "حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" ظاهره أن التسبيح أفضل. وقد جاء في حديث التهليل "ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به" فيحتمل الجمع بينهما أن يكون حديث التهليل أفضل، وأنه إنما زيد من الحسنات ومحي من السيئات المحصورة، ثم جعل له من فضل عتق الرقاب ما قد زاد على فضل التسبيح، وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء أنه «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا، عُضْوًا مِنْه مِنَ النَّارِ»[1].

فهنا قد حصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عمومًا بعد حصر ما عد منها خصوصًا مع زيادة مائة درجة، وما زاده عتق الرقاب الزائدة على الواحدة.

وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص[2].

قال القرطبي: (وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ»)يعني: أن ثواب هذه الكلمات بمنزلة ثواب من أعتق عشر رقاب، وقد تقدم في العتق: أن من أعتق رقبة واحدة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، ثم يزاد مع ذلك كَتْبُ مئة حسنة، ومَحْو مئة سيئة، يُجْمَع ذلك كله له، وكل واحد من هذه الحسنات مضاعفة بعشر، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

---

(١) اخرجه مسلم ١٥٠٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/١٩١، ١٩٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وكما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المذكور بعد هذا، وهذا الحديث وجميع ما في الباب من الأحاديث يدل على: أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال كلها، وقد صرح بهذا المعنى في آخر هذا الحديث حين قال: «وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». وأنص ما في هذا الباب ما جاء عن أبي الدرداء قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ، وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ. قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1]. وهذا لا يقوله أبو الدرداء من رأيه، ولا ينظره؛ فإنه لا يتوصل إليه برأيه، فلا يقوله إلا عن النبي ﷺ غير أنه سكت عن رفعه للعلم بذلك عند من حدثه بذلك. وقد رواه الترمذي مرفوعًا، والله تعالى أعلم.

وقوله: "وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى"، يعني: أن الله تعالى يحفظه من الشيطان في ذلك اليوم فلا يقدر منه على زلة، ولا وسوسة ببركة تلك الكلمات.

قلت: وهذه الأجور العظيمة، والعوائد الجمة إنما تحصل كاملة لمن قام بحق هذه الكلمات، فأحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه، واتضحت له معانيها، وخاض في بحار معرفتها، ورتع في رياض زهرتها، ووصل فيها إلى عين اليقين؛ فإن لم يكن، فإلى علم اليقين، وهذا هو الإحسان في الذكر؛ فإنه من أعظم العبادات. وقد قال ﷺ في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين كانت أجورهم على ذلك بحسب ما أدركوا، وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الأجور، والثواب المذكور في أحاديث الأذكار، فإنك تجد في بعضها ثوابًا عظيمًا مضاعفًا، وتجد تلك الأذكار بأعيانها في رواية أخرى أكثر أو أقل، كما اتفق هنا في حديث أبي هريرة المتقدم، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، ٨.

فيه: ما ذكرناه من الثواب، وتجد تلك الأذكار بأعيانها وقد علق عليها من ثواب عتق الرقاب أكثر مما علَّقه على حديث أبي هريرة، وذلك أنه قال في حديث أبي هريرة ﷺ: ((من قال ذلك في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب))، وفي حديث أبي أيوب: ((من قالها عشر مرات كانت له عدل أربع رقاب)). وعلى هذا فمن قال ذلك مئة مرة كانت له عدل أربعين رقبة، وكذلك تجده في غير هذه الأذكار، فيرجع الاختلاف الذي في الأجور لاختلاف أحوال الذاكرين، وبهذا يرتفع الاضطراب بين أحاديث هذا الباب، والله الموفق للصواب.

وقوله: "إلا أحد عمل أكثر من ذلك"، أي: قال: فسمى القول عملاً، كما قد صرح به في الرواية الأخرى. والذكر من الأعمال التي لا تنفع إلا بالنية والإخلاص[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، قال الإمام ابن حجر: "ومعنى التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة"[2]، وقال الطيبي: "وقوله في الحديث "في يوم" يوم مطلق لم يعلم في أى وقت من أوقاته فلا يقيد بشيء منها وبقوله: "مثل زبد البحر" هذا وأمثاله كنايات عبر بها عن الكثرة عرفًا"[3]. وقد أمر الله بتسبيحه فقال جل شأنه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[4]. وبالجملة فالتسبيح والتحميد نوع من ذكر الله المأمور به في القرآن والسنة النبوية المطهرة، الموعود عليه بالثواب الجزيل والأجر الكبير.

وقد علق الحق تبارك وتعالى الفلاح على الإكثار من الذكر فقال سبحانه:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٩/٧-٢١.

(٢) فتح الباري ٢١٠/١١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٢/٥.

(٤) سورة الأعلى، آية : ١.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]، قال السعدي: (أمر الله بالإكثار من ذكره فقال: "اذكروا الله كثيرًا" أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، "لعلكم تفلحون" فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح)[٢].

وأثنى جل وعلا على أهله، وحسَّن جزاءهم: فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣]. قال الطبري: (والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك "أعد الله لهم مغفرة" لذنوبهم، "وأجرًا عظيما" يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة)[٤].

وقد جعل تبارك وتعالى ذكره لهم جزاء لذكرهم له: فقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٥]، قال السعدي: (فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»[٦]. وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٩/١٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصًا، ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا، كما جاء في الآية[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

"يتضح هذا من سياق الحديث، ولاشك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في توجيه المدعوين وحثهم على الإقبال على الطاعة حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الوعد بالثواب والأجر: "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه وهو يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره الممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة، بالرضا منه سبحانه والقرب من حضرته ودخول جنته"[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٤.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩١.

الحديث رقم (١٤١٣)

١٤١٣- وعن أَبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**مَنْ قَالَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ**[1]. **كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعَةَ أنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

ابو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

أعتق: حَرَّر وأطلق[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من ناحية الترغيب في الذكر، ومن ناحية نوعية الذكر، ومن ناحية الأسلوب، وهو أسلوب الشرط الذي يربط عملا بنتيجته، كارتباط النتيجة بالمقدمة وفعل الجزاء في عبارة الشرط هو فعل القول: (قال) ومقول القول هو عبارة التوحيد المتصلة بالحمد والإقرار لله بالقدرة التي تتضمن بالمفهوم المقابل اعتراف الإنسان بالعجز، وأداة الشرط هي (من) وهي اسم موصول متضمن للشرط وهي للعاقل، وكأنها إيذان بانتداب أهل العقل لتحصيل هذا الأجر العظيم مع تقييد قول هذه الصيغة بالعدد عشر، وجواب الشرط هو أن يصير له أجر من أعتق أربعة أنفس، وقوله (من ولد إسماعيل) إيغال بلاغي يضيف صفة تقرر أفضلية النوعية المعتقة التي ارتفعت قيمتها مبالغة في رفع أجره بالمقابل ثم إن التعبير بالعتق يشير بأصل المادة، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة، وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد،

---

(١) لفظ مسلم: (مرار)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣/٣٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧١).

(٣) النهاية والوسيط في (ع ت ق).

ولا تتحقق هذه المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها، والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم، وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر اختيار التعبير بالعتق عن تحرير الرقاب الذي يشير إلى خيار الأعمال التي تساوى بها أجر من قال هذه العبارة عشر مرات، فالغافل الكسول من قرأ، أو سمع الحديث ثم لم يقلها عشر مرات بل، ويجعلها من أذكار يومه التي تثقل ميزان يومه في الحساب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٤)

١٤١٤- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ[1]؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعتمد الترغيب في ذكر الله - تعالى- عن طريق أسلوب التشويق بالاستفهام في قوله (ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق صعَّده بالفعل أخبر المضاف لكاف الخطاب التي تستولي على سمع المخاطب، وقلبه، ثم زاده تشويقا بأفعل التفضيل أحب، ودلالة الكلمة توحي بالقبول، والتفضيل، والرضا، وإضافتها للكلام تشير إلى عدم الكلفة، وقلة الجهد في العمل الذي يبشر بيسره، وتمكن المخاطب من إتيانه دون مشقة، ثم إن تعلق الجار، والمجرور في قوله (إلى الله) بأفعل التفضيل يعطيه بُعدا إيحائيا في خصوصية التفضيل؛ لأن رضا الله، وما يحبه هو غاية المؤمنين، وإعادة الجملة بلفظها في الجواب مؤكدة (إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ) تقريرا لها وتثبيتا لمعناها في الأذهان لأهميته، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزهه عن كل عيب، ونقص، وعن مماثلة المخلوقين بأنه كامل الصفات واسع الهبات عظيم السلطان له المجد كله والحمد كله، ولهذا قرنه بقوله، وبحمده أي : ، وأحمدك فالباء هنا للمصاحبة أي أنك تجمع بين تنزيه الله عز وجل عن النقائص، والعيوب، وبين الثناء عليه بحمده سبحانه ، وفيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه لأن التنزيه عن النقص يناسبه الثناء بالخير.

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: يا رسول الله، اخبرني بأحب الكلام إلى الله).

(٢) برقم (٢٧٣١/٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٠) مع الزيادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده.

أولاً- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حيث جاء في الحديث: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ فاختصاص النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه بإخباره عن أحب الكلام إلى الله دليل على منزلته وعظيم فضله رضي الله عنه ، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري اختلف في اسمه والأكثر الأصح أنه جندب بن جنادة وهو من كبار الصحابة قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا، قال علي رضي الله عنه : "وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئًا"[1]. وقال ابن الجوزي: "كان أبو ذر طوالاً آدم، وقال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعًا ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصِّرْم[2] كأنه السبع ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي صلى الله عليه وسلم. بمكة فأتاه وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب: إلى أم ذر بلد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر، وعن بكر بن عبدالله عن أبي ذر أنه قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح"[3].

ومما يدل على فضله ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ، : «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ ولاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاء أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[4].

وفي حديث: إسلامه الطويل جاء فيه: ((وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ. وَطَافَ

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٠٠.

(٢) الصِّرْم: الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء، النهاية في (ص ر م).

(٣) صفة الصفوة ١/٢٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ. ثُمَّ صَلَّى. فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍ فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ. قَالَ: فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ. فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ. فَدَفَعَنِي[1] صَاحِبُهُ. وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: مَتَى كُنْتَ هَهُنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَهُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي. وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ. إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ[2].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا. فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا. فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا. ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ. ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِيَ أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ. لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ. فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ. وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي. وَجَاءَتْ أَسْلَمُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخْوَتُنَا. نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا: وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ))[3].

وقال ابن حجر: "كان أبو ذر من السابقين إلى الإسلام وكان طويلاً أسمر اللون نحيفًا، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم

---

(١) في الطبقات وصحيح مسلم: فقدعني، أي منعني وكفني.

(٢) أي: يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعت، وكانت وفاته رضي الله عنه بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلّى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة، "إن حاضري مجالس السؤال والجواب لابد أن تثير فيهم الأسئلة المطروحة انتباههم، إذ يشعرون أن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وأن تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة العالم بأجوبة المسائل المطروحة"[٢]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده" قال الإمام النووي: في هذا الحديث: "أحب" وفي رواية "أفضل" وهذا محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل"[٤]، وقال الطيبي: "وقوله: "سبحان الله، تنزيه لذاته عما لا يليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائض فيندرج فيه معنى قول: "لا إله إلا الله" وقوله "وبحمده" صريح في معنى "والحمد لله، لأن الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ومستلزم لمعنى "والله أكبر" لأنه إذا كان كل الفضل والإفضال لله ومن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٦٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٠٣.

الله، وليس من غيره، فلا يكون أحد أكبر منه"[١].

ولأهمية التسبيح وفضله جاء في رواية أخرى للحديث الذي معنا أن رسول الله ﷺ سئل: «أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو عباده: سبحان الله وبحمده»[٢].

قال الإمام القرطبي: (قلت: هذا الحديث يعارضه قوله في حديث أبي هريرة المتقدم في فضل التهليل. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك[٣]. وقوله: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[٤]. وقد تقدم في حديث سمرة ابن جندب قوله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[٥].

فقد مضى هذا الحديث بأن الأربعة متساوية في الأفضلية والأحبية من غير مراعاة تقديم بعضها على بعض، ولا تأخيره، وأن التسبيح وحده لا ينفرد بالأفضلية، ولا التهليل وحده أيضًا ينفرد بها. وإذا ثبت ذلك فحيث أطلق أن أحد هذه الأذكار الأربعة أفضل الكلام أو أحبه، إنما يراد إذا انضمت إلى أخواتها الثلاث المذكورة في هذا الحديث. إما مجموعة في اللفظ، أو في القلب بالذكر؛ لأن اللفظ إذا دلَّ على واحد منهما بالمطابقة دلَّ على سائرها باللزوم. وبيان ذلك: أن معنى سبحان الله: البراءة له من كل النقائص، والتنزيه عما لا يليق بجلاله، ومن جملتها تنزيهه عن الشركاء، والأنداد وهذا معنى لا إله إلا الله. هذا مدلول اللفظ من جهة مطابقته، ولما وجب تنزيهه عن صفات النقص لزم اتصافه بصفاته الكمال، إذ لا واسطة بينهما، وهي المعبر عنها

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥/٧٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٥٩.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ١/٢١٥، رقم ٩٠٨، وأخرجه الترمذي ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، ٢١٣٧.

بالحمد لله. ثم لما تنزه عن صفات النقص، واتصف بصفات الكمال وجبت له العظمة والجلال.

وهو معنى: الله أكبر. فقد ظهر لك أن هذه الأربعة الأذكار متلازمة في المعنى، وأنها قد شملها لفظ الأحبية، كما جاء في الحديث. فمن نطق بجميعها فقد ذكر الله تعالى بأحب الكلام إلى الله، لفظًا ومعنى، ومن نطق بأحدها فقد ذكر الله ببعض أحب الكلام نطقًا، وبجميعها معنى من جهة اللزوم الذي ذكرناه. فتدبر هذه الطريقة، فإنها حسنة، وبها يرتفع التعارض المتوهم بين تلك الأحاديث -والله تعالى أعلم-. ولم أجد في كلام المشايخ ما يقنع، وقد استخرت الله فيما ذكرته[1].

وبالجملة فذكر الله على كل حال من أحب الأمور إلى الله، ولقد أخبر جل وعلا أن الذكر أكبر من كل شيء فقال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

قال ابن القيم: (وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له فعلى هذا: المصدر مضاف إلى فاعل، وعلى الأول: مضاف إلى مذكور.

الثالث: أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تمَّ الذكر محق كل خطيئة ومعصية. هذا ما ذكره المفسرون والرابع ما سمعته من شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: معنى الآية أن في الصلاة فائدتين عظيمتين: إحداهما: نهيًا عن الفحشاء والمنكر، والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٥٩، ٦٠.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) مدارج السالكين ٣/٢٦٢، ٢٦٣.

ومن عظم فضل ذكر الله نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة فقد ختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبه أمّه، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[2].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصل)[3].

وختم سبحانه وتعالى به الصلاة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]، وختم سبحانه وتعالى به صلاة الجمعة فقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦١.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ١/٣٨٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/٦٤٤.

الحديث رقم (١٤١٥)

١٤١٥- عن أَبي مالك الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن يتكون من ثلاث جل لو أردنا أن نستخرج ما فيها من المعاني لسودنا الصحف الطوال ولما أتينا على معناها، فقوله الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالإيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإيمَان، وقوله (وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ) كناية عن عظمة الثواب ومن المعلوم أن الكناية تحتمل الحقيقة بمعنى أن تتحول الأعمال إلى أجسام توضع في ميزان العبد حقيقة، وتملؤه وتثقل به، ويحتمل أن تكون معنوية مجازا عن عظمة الثواب، وبين هذا العبارة

---

(١) برقم (٢٢٣/١)، وتقدم برقم (٢٥)، أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١) بتمامه.

وسابقتها سجع بديع يحقق قبولا في النفس، وراحة في السمع، وتيسيرا في الحفظ، وفيها ترصيع يعمل في نفس اتجاه السجع، ويضبط توازن الإيقاع بين العبارتين وكأن الرسول ﷺ يريد منها أن تكون نشيد الصالحين تقربا لله بما يحقق رضاه، ويحقق الأجر العظيم للعبد، وقوله (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الطباق بين السماء، والأرض يؤكد استغراق المكان بالملأ دليلا على عظمة الأجر وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: الْحَمْد رَاجِع إِلَى الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى بِأَوْصَاف كَمَالِهِ فَإِذَا حَمِدَ اللَّه تَعَالَى حَامِد مُسْتَحْضِر مَعْنَى الْحَمْد فِي قَلْبه امْتَلأَ مِيزَانه مِنْ الْحَسَنَات فَإِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُبْحَان اللَّه الَّذِي مَعْنَاهُ تَبْرِئَة اللَّه وَتَنْزِيهه عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِهِ مِنْ النَّقَائِص مَلأَتْ حَسَنَاته وَثَوَابهَا زِيَادَة عَلَى ذَلِكَ مَا بَيْن السماوات وَالأَرْض إِذْ الْمِيزَان مَمْلُوء بِثَوَابِ التَّحْمِيد وَذِكْر السماوات عَلَى جِهَة الاعْتِنَاء عَلَى الْعَادَة الْعَرَبِيَّة. وَالْمُرَاد أَنَّ الثَّوَاب عَلَى ذَلِكَ كَثِير جِدًّا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَجْسَامًا لَمَلا مَا بَيْنهمَا[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر حاشية السندي على سنن النسائي الحديث (٢٣٦٤).

(٢) ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥).

الحديث رقم (١٤١٦)

١٤١٦- وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أعْرَابيٌّ إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وَ[1] سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالِمينَ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ)) قَالَ: فهؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِني، وَارْزُقْنِي)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

يقوم المعنى في الحديث على الأسلوب الحواري الذي ربى الرسول ﷺ عليه المسلمين في الاستفسار عن أمور دينهم وقوله (جاء أعرابي إلى رسول ﷺ) التعبير بالمجيء يفيد القصد إلى الرسول ﷺ لغرض السؤال، وكون السائل الأعرابي يشير إلى بعد المسافة التي قطعها ليأتي للنبي ﷺ مما يشير إلى حرصه على العلم والعمل الذي يقربه من الله تعالى، ويدل على ذلك قوله (علمني كلاما. .) وتخصيصه السؤال بالكلام يشير إلى أنه يريد أن يتعلم ذكرا لله يتقرب به إليه يناسب طبيعة عمل أهل البادية في الرعي الذي يستغرق معظم اليوم، والذكر لا يعطله عنه، وقد أجابه الرسول ﷺ بما يريد (قُلْ...) الأمر بالقول توجيه لما يحقق الغاية والصيغة التي علمه إياها اشتملت على جملة من الفضائل تجعلها من أعظم الأذكار ثوابا منها: أنها اشتملت على كلمة التوحيد (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) وأكدها بنفي ضدها لأن القوم كانوا حديثي عهد بتعدد الآلهة (وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ) كما اشتملت على تكبير الله، وتوكيده بقوله كبيرا

---

(١) عند مسلم بدون الواو، والزيادة من المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٢٦٩٦/٣٣). اورده المنذري في ترغيبه (٢٣٠٦).

يستغرق أركان النفس حتى لا يرى في الكون شاغلا عنه يشغله عن هذا الكبير كما تضمنت الثناء على الله على ما بين يديه من نعمه، وتنزيهه عن كل نقص، مع الإقرار بأنه صاحب القدرة، والتصرف في الكون فينطلق هذا الأعرابي ما ينطلق في صحرائه يرى الجبل فيرى قدرة الله فيه، ويرى سعة الصحراء فيرى فيها بسط سلطانه، ويرى في ارتفاع سمائه علوه وقهره، وهذا الدعاء من أكثر الأدعية التي احتوت على الأجر العظيم الذي أخبر عنه في أحاديث أخرى.

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه.

أولاً - من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم:

حيث جاء في الحديث: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ.."، ولاشك أن من أهم حقوق المدعو تعلم الأدعية المشروعة فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[1]"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ومعلم أو متعلم"[2]. وهذا يدل على فضل التعلم أي سؤال أهل العلم فهذا ما أرشدت إليه نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، قال السعدي: "وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم

---

(١) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩١).

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك[1].

ثانيًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه:

حيث جاء في الحديث: "قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له..." وقوله: قل اللهم اغفر لي وارحمني..."، والداعية الناجح من أهم واجباته أن يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم ويدلهم عليه لأنه بهذا يتضح حرصه على المدعوين وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقال الرسول الكريم في فضل الإرشاد إلى الخير: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، أو قال عامله"[3].

فعلى الداعي أن لا يبخل بتعليم ما يحسن، ولا يمتنع من إفادة ما يعلم، فإن البخل به ظلم ولؤم والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ للمرشدين البخل بما منحوه جودًا من غير بخل وأوتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما لو بذلوه لزاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى؟ ولو استن بذلك من تقدمهم ما وصل العلم إليهم وانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٨.

(٢) سورة التوبة، آية : ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

نزلت في أحبار اليهود، والحكم عام كما تدل عليه الأخبار، والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصدًا مع مساس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره. والبينات الواضحة الآيات الدالة على الحق، ومن ذلك ما أنزلناه على موسى وعيسى في أمر محمد صلوات الله عليهم أجمعين، والهدى كل ما يهدى إلى وجوب اتباعه ﷺ والإيمان به، وهى الآيات الشاهدة على صدقه عليه الصلاة والسلام، والعطف باعتبار التغاير في المفهوم، ويلعنهم الله يبعدهم عن رحمته، ويذيقهم أليم نقمته، ويلعنهم اللاعنون يدعو عليه بالإبعاد عن رحمة الله كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والثقلين، والآية كما ترى تدل على وجوب إظهار علم الشريعة وحرمة كتمانه.

وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال بعض الحكماء: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وفي منثور الحكم: من كتم علمًا فكأنه جاهله.

ثم له بالتعليم نفعان: أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله تعالى، والنفع الثاني: زيادة العلم وإتقان الحفظ فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا لما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يُخمدها أن لا تجد حطبًا. كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه فإياك والبخل بما تعلم. وقال بعض العلماء: علّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذن أنت قد علمت ما جهلت. وحفظت ما علمت. وبالجملة فنشر العلم أعظم للأجر وأرفع للذكر وأرسخ للمعلوم[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء:

حيث جاء في الحديث: "علمني كلامًا أقوله.." وقوله: "فهؤلاء لربي فما لي؟، وهذا يبين أن من آداب المدعو أن يحرص على ما ينفعه ويتحراه ويتبعه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوٓاْ مَآ

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ١٠٦، ١٠٧.

أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١]، قال الإمام القرطبي: قال علماؤنا: "أعلم ﷺ. أن من اتبع القرآن ومواعظه حالة الفترة، واقتضى العلم والسنن عند ظهور البدع لا يقصر حاله عن حال الصديقين، ولا تنزل درجته عن درجات الصحابة والتابعين"[٢].

ولقد كان من هدى الصحابة رضي الله عنهم الحرص على ما ينفعهم من عمل الخير، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «سألتُ النَّبيَّ ﷺ أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيلهِ. قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: أغلاها ثمنًا، وأنفَسُها عندَ أهلِها. قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ؟ قال: تُعِينُ ضائعًا، أو تَصنَعُ لأخْرَقَ. قال: فإن لم أفعلْ؟ قال: تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنّها صدَقةٌ تَصَدَّقُ بها على نفسِك»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ »[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه:

حيث جاء في الحديث: «قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا...». وذكر الله تعالى من أفضل الأمور والأحوال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٦]، والواجب على المسلم ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهارًا وفي كل الأوقات إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة، والذين يفعلون هذا هم المؤمنون المتقون إذ الرحمن

---

(١) سورة الأعراف، آية : ٣.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار، الإمام القرطبي، ص٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٥٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

يصلي عليهم وملائكته كذلك[١].

ولقد حذر الله تعالى من نسيان ذكره، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢]. وبين الله تعالى أن ذكره أكبر من كل شيء قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]. قال الإمام ابن القيم: (والذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بينهم وبين علام الغيوب به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصائب إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون. قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وفي قراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، وقال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان. والذكر هو روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه)[٤].

قال القاضي عياض: (والذكر ذكران: ذكر الله بالقلب: وهو الذكر الخفي، وذكر القلب - أيضًا- عند أوامره ونواهيه. وذكر باللسان: كما جاء عن عمر بن الخطاب، فذكره بالقلب، وهو الذكر الخفي وهو أرفع الأذكار، الفكرة في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في أرضه وسماواته، وبعده ذكره بالقلب عند أوامره ونواهيه، فينتهي عما نهى عنه، ويمتثل ما أمر به، ويتوقف عما أشكل عليه. وذكره باللسان مجردًا هو أضعف هذه الأذكار الثلاث، لكن له فضل عظيم، كما جاء في الآثار: لكل فضل بقدر مرتبته.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري، ١٧١.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) مدارج السالكين ٢/٢٥٩، ٢٦٠.

وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره اختلاف السلف: أيهما أفضل الذكر باللسان أو بالقلب؟ والخلاف عندنا إنما يتصور في تحديد الذكر بالقلب من التسبيح والتهليل وشبهه من أذكار اللسان إذا لم ينطق بها اللسان وعليه يدل كلامهم، لأنهم مختلفون في الذكر الخفي للذي ذكرناه أولاً من الفكر وإحضار دلائل المعارف والعظمة، فتلك لا يتلونها ذكر اللسان، فكيف يتفاضل معها، وإنما الخلاف فيما ذكرناه، وكل ذلك مع حضور الثلاث بذكر اللسان، فأما والقلب لاهٍ فلا.

فمن رأى ذكر القلب أفضل قال: لأن عمل السر أفضل. ومن قال: ذكر اللسان أفضل قال: لأن فيه زيادة أعمال الجوارح على عمل ذلك بالقلب، ففيه زيادة عمل منه تقتضي زيادة أجر، ولذلك اختلفت في ذكر القلب، هل تكتبه الملائكة ويعمل؟ فقيل ذلك وأن الله يجعل لها على ذلك علامة، وقيل: إنه لا يكتب لأنهم لا يطلعون عليه)(١).

وما من شك في أن ذكر الله من أجَلِّ الأمور في حياة المسلم وأنفعها له، إذ إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانا فننتكس

بالذكر تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حد لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(٢).

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته، قال ذو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٩/٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته. قال ابن عمر: أخبرن أهل الكتاب أن هذه الأمة تُحبُّ الذكر كما تُحبُّ الحمامةُ وكرها، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها.

الذكر دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، والصلاة ذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2]، والحج شرع للذكر: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[3].

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين كلّموا الله كثيرًا، وكلموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلم الله كثيرًا؟ قال: اختلوا بمناجاته، اخلوا بدُعائه.

قيل لمحمد بن النضر: أما تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحشُ وهو يقول: أنا جليسُ من ذكرني؟

كتمت اسم الحبيب من العباد ... ورددت الصبابة في فؤادي

فواشوقًا إلى بلد خليٍّ ... لعلي باسم من أهوى أنادي

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء، ولا يوازيه شيء[4].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة طه، آية: ١٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣٣٢، ٣٣٣.

الحديث رقم (١٤١٧)

١٤١٧- وعن ثوبانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثاً، وَقَالَ: ((**اللَّهُمَّ أنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإكْرَامِ**)) قِيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ -(وَهُوَ أحَدُ رواة الحديث)[1]-: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تقول: أسْتَغْفِرُ اللهَ، أسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٩).

غريب الألفاظ:

إذا انصرف من صلاته: المراد بالانصراف السلام[3].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق قررت عن طريق التوجيه المباشر، والحوار الهادف، والتقرير النبوي بعض أذكار الرسول ﷺ التي رغب في أن يجعلها المؤمن في ورده قربة دون كلفة من ربه، وفي هذا الحديث يقرر بعض الأذكار عن طريق فعل الرسول ﷺ حيث تتلقاها وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان، ولذلك أشار الراوي ثوبان رضي الله عنه إلى أنها عادته بعد كل صلاة وقد دل على ذلك بالتعبير بفعل الكينونة الماضي، وأكدها بأسلوب الشرط الذي يربط الانصراف من الصلاة بالاستغفار، وقول هذا الدعاء في قوله: (كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثاً) والاستغفار دبر الأعمال الصالحة بمثابة اعتذار عما وقع فيها من التقصير، حتى، وإن اجتهد العبد في تمامها، وأتمها، فإنها أقل من أن تصلح لتقدم لملك الملوك، وقوله (اللَّهُمَّ

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٣٥/٥٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٨٨٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) العبارة تفيض بالخضوع، والإجلال، والتعظيم، كما أنها تفيض بمعاني الأمن، والسلامة والرحمة المنبعثة من اسم الله السلام الذي هو منبع كل سلام، وفي العبارة سجع بديع متناسق مع المعنى مع انسجام في العبارات يجعل العبارة سهلة الحفظ، عذبة النطق مقبولة في النفس مهما تكررت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته..."، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة حيث يخبر المدعو بالأمور والأحكام الشرعية وقد أمر الله بالإخبار والبلاغ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]. "فهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلَّغ ﷺ، أكمل تبليغ ودعا، وأنذر وبشر ويسر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ. إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ. تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» وهذا

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٢٠١.

بيان لهدى النبي ﷺ. وما كان عليه. ولقد كان من هدى النبي ﷺ ذكر الله تعالى بعد الصلاة.

قال النووي: (وأما الذكر بعد الصلاة ففيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير. وفي رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وأنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته»[1].

هذا دليل لما قاله بعض السلف أنه يستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب المكتوبة وممن استحبه من المتأخرين ابن حزم الظاهري، ونقل ابن بطال وآخرون أن أصحاب المذاهب المتبوعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالذكر والتكبير، وحمل الشافعي هذا الحديث على أنه جهر وقتًا يسيرًا حتى يعلمهم صفة الذكر لا أنهم جهروا دائمًا قال: فاختار للإمام والمأموم أن يذكر الله تعالى بعد الفراغ من الصلاة ويخفيان ذلك إلا أن يكون إمامًا يريد أن يتعلم منه فيجهر حتى يعلم أنه قد تعلم منه ثم يسر وحمل الحديث على هذا)[2].

ثم قال النووي في موطن آخر:

(وقوله: "إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا"، المراد بالانصراف السلام)[3].

ولقد كان من هدى النبي ﷺ بعد الصلاة ألا يطيل الجلوس في مكانه الذي صلى فيه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لَمْ يَقْعُدْ. إِلاَّ مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[4].

قال الإمام القرطبي: (قول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا

---

(١) أخرجه مسلم ٥٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٣٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ٤٣٧.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٢.

بمقدار ما يقول: اللهم أنت السلام" الحديث) دليل لمالك: على كراهيته للإمام المقام في موضعه الذي صلى فيه بعد سلامه خلافًا لمن أجاز ذلك، والصحيح: الكراهة لهذا الحديث، ولما رواه البخاري من حديث أم سلمة: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سلَّمَ يَمكُثُ في مكانهِ يَسيرًا. قال ابنُ شِهابٍ: فنرى - واللهُ أعلمُ - لكي يَنفُذَ مَن يَنصرِفُ مِنَ النِّساءِ» ووجه التمسك بذلك أنهم اعتذروا عن المقام اليسير الذي صدر عنه عليه الصلاة والسلام. وبينوا وجهه، فدل ذلك: على أن الإسراع بالقيام هو الأصل والمشروع، وأما القعود فإنما كان منه ليستوفى من الذكر ما يليق بالسلام الذي انفصل به من الصلاة، ولينصرف النساء. وقد روى البخاري أيضًا عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: ((أنه ﷺ كان إذا صلى أقبل بوجهه))[1]. وهذا يدل على أن إقباله على الناس كان متصلاً بفراغه، ولم يكن يقعد. وقد روى أبو أحمد بن عدي ما هو أنص من هذا كله عن أنس قال: صليت مع رسول الله ﷺ فكان ساعة يسلم يقوم، ثم صليت مع أبي بكر فكان إذا سلم وثب كأنه يقوم عن رضفه[2]. وهذا الحديث وإن لم يكن في الصحة مثل ما تقدم، فهو عاضد للصحيح، ومبين لمضمونه. وإذا كره له القعود في موضع صلاته، فأحرى وأولى أن تكره له الصلاة فيه. وقد روى أبو داود عن المغيرة بن شعبة، قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُصَلِّي الإِمَامُ في الْمَوْضِعِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ حَتَّى يَتَحَوَّلَ»[3]. ويعتضد هذا من جهة المعنى، بأن ذلك الموضع إنما استحقه الإمام للصلاة التي يقتدى به فيها، فإذا فرغت ساوى الناس، وزال حكم الاختصاص. والله أعلم.

و(قوله: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"، السلام الأول: اسم من أسماء الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[4]، والسلام الثاني: السلامة، كما قال

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨٦.

(٢) أخرجه بن عدي في الكامل ١٥١٦/٤، والرضفة: الحجر المحمي على النار، انظر: النهاية لابن الأثير، ٣٦١.

(٣) أخرجه أبو داود، ٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٥٧٦).

(٤) سورة الحشر، آية: ٢٣.

تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[١]. ومعنى ذلك: أن السلامة من المعاطب والمهالك إنما تحصل لمن سلمه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[٢].

(وقوله: "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" تباركت: تفاعلت، من البركة، وهي: الكثرة والنماء، ومعناه: تعاظمت:؛ إذ كثرت صفات جلالك وكمالك. و"ذا الجلال" ذا العظمة والسلطان. وهو على حذف حرف النداء. تقديره: يا ذا الجلال. و "الإكرام": الإحسان وإفاضة النعم)[٣].

وهذا واجب الدعاة إلى الله تعريف الناس بهدى النبي ﷺ. لأنه الأسوة والقدوة قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ. في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ. يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، فكأنه قال: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥])[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه:

حيث جاء في الحديث: ((كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا))، ومما لا شك فيه أن الاستغفار مما أمر الله به في كتابه، فقال الله على لسان

---

(١) سورة الواقعة، آية: ٩١.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٢١١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١

(٦) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٩١.

نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[١]. قال ابن علان: (وفي قوله استغفر الله ثلاثًا " إيماء إلى أنه ينبغي عدم النظر لما يأتي به العبد من الطاعة، فذلك أقرب للقبول، والتكرار للمبالغة في رؤية النقص فيما جاء به وأنه لشدته محتاج لتتابع الاستغفار عليه ليذهب بعضه ومعنى الاستغفار أى أسأله المغفرة، وحذف المتعلق ليعم كل ذنب وتكراره مرتين للتأكيد وإيماء إلى طلب الإكثار منه ولا يقتصر فيه على مسماه)[٢].

ولقد علم النبي ﷺ أمته سيد الاستغفار فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلا أنت، خلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ ماستطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغفِرْ لي، فإنه لايَغفرُ الذنوبَ إلا أنت. قال: ومن قالها من النهارِ مُوقِنًا بها فماتَ من يومِهِ قبل أن يمسي فهو من أهلِ الجَنة، ومن قالها من الليلِ وهو موقِنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبحَ فهو من أهل الجنة»[٣]. وفي فضل الاستغفار قال ﷺ: «مَنْ قالَ أستَغْفِرُ اللهَ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِن كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[٤]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على الله مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه)[٥].

وقال الفيروز آبادي: (والغفر: الستر. اللهم غفرًا. والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. وقد يقال: غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر وإن لم

---

(١) سورة نوح، آية: ١٠.

(٢) دليل الفالحين ١٤٨٢.

(٣) اخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٤) اخرجه أبو داود ١٥١٧ وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ١٣٤٣).

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٣٠٢/٢.

يتجاوز في الباطن، نحو: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[١].
والاستغفار: طلب المغفرة قولاً وفعلاً. وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٢]، لم يؤمروا أن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل به وبالفعل، فبدونه قول الكاذبين. وقوله ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٤]، وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[٥]، فيه من تأميل الراجين، وتأنيس المذنبين ما لا يخفى.

كُلُّ الذُّنوبِ فإنَّ الله يغفِرها ... إن شَيَّعَ[٦] المَرءَ إخلاصٌ وإيمانُ
وكُلُّ كَسْرٍ فإنَّ الله يَجبُرُهُ ... وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

واعلم أن كل أحد - من عهد آدم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة - من نبي ووليٍّ، ومؤمن موقن وصادق، وفاسق، وكافر ونافر، ومخلص، إلا وهو ينتظر بحفه المغفرة.

ثم إن الله تعالى نبه على أن المشرك غير أهل للمغفرة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[٧]، ثم أمر الله نبيه ﷺ بالعفو والاستغفار، للأخيار والأبرار، فقال جل شأنه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٨]. وحملة العرش يتوسلون إلى الله بطلب المغفرة للمؤمنين من عباده، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة الجاثية، آية: ١٤.
(٢) سورة نوح، آية: ١٠.
(٣) سورة طه، آية: ٨٢.
(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٥) سورة غافر، آية: ٣.
(٦) شَيَّع: قوى وشجع.
(٧) سورة النساء، آية: ٤٨.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[١]. وتضرع أهل الإيمان وانتهاؤهم إلى الرحمان في طلب الغفران، قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢]. وبشر عباده بأعظم البشرى بأنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة المدثر، آية: ٥٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤/١٣٦-١٣٩.

الحديث رقم (١٤١٨)

١٤١٨- عن المغيرة بن شعبة ﵁: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((**لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

ولا ينفع ذا الجدِّ: الجد بمعنى الحظ والسعادة والغنى[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسوق ذكرا ينضم إلى سابقيه في كونه واقعا بعد الفراغ من الصلاة، ومتكررا منه، وقد دل على ذلك بالفعل الماضي (كان) مع أسلوب الشرط الذي يربط فراغه من الصلاة بقول هذا الدعاء (إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ) والدعاء الذي تضمنه الحديث يحتوي على توحيد لله تعالى، ونفي الشرك عنه، وهو أهم الأسس التي قررها الإسلام، وأكثر الرسول ﷺ من ترديدها في كثير من الأذكار حتى تختلط بلحم المؤمن، وعظمه، وتخامر نفسه مع الاعتراف بملكه، وقدرته، والثناء عليه، ثم تقرير قدرته على المنع، والعطاء عن طريق أسلوب المقابلة بين الصفات المتضادة (لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ) حيث قابل بين المنع، والعطاء، وبين العطاء، والمنع، وكل منهما يؤكد معنى الآخر كما أكد عن طريق الجناس أنه لا يغني عن غني غناه من الله شيئا في قوله: (ولا ينفع ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٠)، ومسلم (٥٩٣/١٣٧) ولفظهما سواء

(٢) النهاية في (ج د د).

والجد هُوَ بِمَعْنَى الْحَظّ وَالْبَخْت، وَمَعْنَاهُ لا يَنْفَع مَنْ رُزِقَ مَالاً وَوَلَدًا وَجَاهًا دُنْيَوِيًا شَيْء مِنْ ذَلِكَ عِنْدك، وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى (يَوْم لا يَنْفَع مَال وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّه بِقَلْبٍ سَلِيم) (الشعراء ٨٨ : ٨٩)

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ في الأذكار بعد الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد..." وهذه من أولى مهام الداعية أن يبين هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلوات حتى يلتزم بها المدعو، ويرددها ويقولها كما كان النبي ﷺ، يفعل ذلك، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في هذه الأحاديث الحض على الذكر في أدبار الصلوات وأن ذلك يوازي إنفاق المال في طاعة الله. سئل الأوزاعي هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال: ليس شيء يعدل القرآن، ولكن كان هدى السلف الذكر وفيها أن الذكر المذكور يلي الصلاة المكتوبة ولا يؤخر إلى أن يصلي الراتبة"[٢].

وفي هذين الحديثين هدى النبي ﷺ في الحرص على الذكر والدعاء بعد الصلاة، قال الإمام القرطبي: (وقد اتفق سياق هذه الأحاديث والتي قبلها: على أن أدبار الصلوات أوقات فاضلة للدعاء والأذكار، فيرتجى فيها القبول، ويبلغ ببركة التفرغ لذلك إلى كل مأمول. وتسمى هذه الأذكار: معقبات؛ لأنها تقال عقيب الصلوات، كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "دبر كل صلاة"، أي: آخرها. ويقال: دبر بضم الدال.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٩).

(٢) فتح الباري ١١/١٣٩.

وحكى أبو عمر المطرز في "اليواقيت" دبر كل شيء بفتح الدال: آخر أوقات الشيء، الصلاة وغيرها. قال: وهذا هو المعروف في اللغة، قال: وأما الجارحة: فبالضم. وقال الداودي عن ابن الأعرابي: دبر الشيء، ودبره، بالوجهين: آخر أوقات الشيء، والديار جمعه، ودابر كل شيء: آخره أيضًا. وأما اجتهاد النبي ﷺ في الاستعاذة مما استعاذ في الدعاء بما دعا - وإن كان قد أمن قبل الاستعاذة، وأعطي قبل السؤال- فوفاء بحق العبودية، وقيام بوظيفة الشكر وبحق العبادة، كما قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»[١][٢].

هذا وقد قال ابن القيم: (وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه ﷺ أصلاً، ولا روى عنه بإسناد صحيح، ولا حسن. وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر، فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه، ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضًا من السنة بعدهما، والله أعلم. وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها، وأمر بها فيها، وهذا هو اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه، يناجيه ما دام في الصلاة، فإذا سلم منها، انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه، والإقبال عليه، ثم يسأله إذا انصرف عنه؟! ولا ريب أن عكس هذا الحال هو الأولى بالمصلي، إلا أن ها هنا نكتة لطيفة، وهو أن المصلي إذا فرغ من صلاته، وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة، استحب له أن يصلي على النبي ﷺ بعد ذلك، ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية، لا لكونه دبر الصلاة، فإن كل من ذكر الله، وحمده وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ استحب له الدعاء عقيب ذلك، كما في حديث فضالة بن عبيد: «إذا صلى أحدكم، فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء» قال الترمذي: حديث صحيح[٣]،[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٤٧ ، ومسلم ٢١٥/٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢١٥/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٧).

(٤) زاد المعاد ٢٥٧/١، ٢٥٨.

ويرى ابن حجر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع حيث قال: (وقوله "باب الدعاء بعد الصلاة" أي المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكًا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لا يثبت إِلاَّ قَدْرَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفى استمراره جالسًا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه "كان إذا صلى أقبل على أصحابه" فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، وما ادعاه ابن القيم من النفي مطلقًا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: ((يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[2]، وحديث أبي بكرة في قول: « اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بكَ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ وعَذابِ القَبْرِ، كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة»[3]. وغير ذلك، فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعًا، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة، قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات[4]، وقال حسن، وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة"، وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد بن القيم نفى الدعاء بعد الصلاة مطلقًا، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه يفيد استمرار استقبال المصلى القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه ابو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) أخرجه النسائي ١٣٤٧، وقال الألباني: صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائي ١٢٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ[1].

وقال ابن القيم في فضل اتباع هديه ﷺ: "وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما:

حيث جاء في الحديث: "أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم قال ابن الزبير: "وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة" وهذا يدل على فضل عبدالله بن الزبير ومدى اتباعه لهدى النبي ﷺ، قال ابن عبدالبر: "هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وكأن أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة وفرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم: أن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم، قال علي بن زيد الجدعاني: كان عبدالله بن الزبير كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات، وكان رضي الله عنه شهمًا شرسًا ذا أنفة وكانت له لسانة وفصاحة وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه"[3].

وقال ابن حجر: (ولد عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عام الهجرة وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدّث عنه بجملة من الأحاديث وهو أحد العبادلة، وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من ولى الخلافة منهم. وروى أن الزبير قال لابنه عبدالله أنت أشبه الناس بأبي بكر وجاء عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام قارئ القرآن أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه بنت الصديق وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ "[4].

---

(١) فتح الباري ١/١٣٧-١٣٨.

(٢) زاد المعاد ١/٦٩-٧٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٩٩.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٧٧٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث قال ابن الزبير:"وكان رسول الله ﷺ يهلل بهم دبر كل صلاة مكتوبة"، وهذا يبين مدى حرص الصحابة على التأسي برسول الله ﷺ. لأنه الدعوة والقدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾[1]، قال السعدي: "فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ. فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن ما معه من الإيمان والخوف من الله يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[2].

ومن صور حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ فَقَبَّلَهُ فَقَال: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[3]. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب لسعد رضي الله عنهما: «قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ»[4].

قال ابن حجر: (كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ)[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٠٩.

(٣) أخرجه البخاري، ١٥٩٧.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٧٠.

(٥) فتح الباري، ٣٥١/١٢.

الحديث رقم (١٤١٩)

١٤١٩- وعن عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ، حِيْنَ يُسلِّمُ: ((**لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**)) قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الزبير بن العوام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: دبر الصلاة: ما بعد انتهائها[2].

يهلل بهن: يرفع صوته بهن[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقيه في بيان أذكار رسول الله دبر الصلوات ومقدمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما تشير إلى أنه كان يواظب عليه دبر الصلوات اقتداءً برسول الله ﷺ، وهذا الاقتداء يشير إلى انتقال النور من جيل إلى جيل في متابعة لرسول الله ﷺ في فعله، وقوله، والدعاء متضمن لكلمة التوحيد في أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) ومؤكد بنفي الشرك عنه (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) فلفظ وحده توكيد لمعنى الألوهية السابق مؤكد بقوله لا شريك له وكثافة هذه المؤكدات، والإلحاح على تقرير المعنى يخلع من النفوس ما علق بها من التعلق بغير الله كما أن جريان هذه

---

(١) برقم (١٣٩/٥٩٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٣) النهاية في (هـ ل ل).

الصيغة على قلوب الناس في زماننا يلح على تصفية الإيمان من شوائب الشرك، والمعتقدات الخاطئة، والتعلق بغير الله من المخلوقين من الصالحين أو الطالحين، وتتذكر، وأنت تقرأ هذا الحديث حال جهلاء الأمة الذين يلتفون حول أضرحة الصالحين يتخذونهم أولياء من دون الله يدعونهم، ويذبحون لهم، وكأن هذا التأكيد على معنى الإخلاص ينادي بهؤلاء أن تنبهوا، وينادي علماء الأمة أن اتقوا الله فيهم وأيقظوهم من جهلهم، وأنقذوهم من شقائهم، وتلك العبارة ببنائها التركيبي تقرر ضرورة تخليص العقيدة من هذا الخلط المفسد للعمل الموبق لصاحبه، ولذلك نجده يكرر هذا المعنى في قوله (لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ) وينص صراحة على معنى الإخلاص في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك الظاهر، والشرك الخفي بالرياء في قوله: (وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ) كما تكررت هذه الكلمة في ختام الحديث عوداً على بدء كالإرصاد للمعنى في بدايته، بما يقرره في نهايته (لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) وقوله ولو كره الكافرون إشارة إلى أن التوحيد الخالص له أعداء يقفون لأهله بالمرصاد هم جند الشيطان يدعون الناس إلى الغي لمصالح دنيوية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٠)

١٤٢٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرينَ أَتَوْا رسُولَ اللّهِ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ[1]، يُصلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ[2]، (وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ)[3]. فَقَالَ: ((**ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبَقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُون أَحَدٌ افْضَل مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله[4]، قَالَ: ((**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**)) [5].

قَالَ أَبُو صالح: (الراوي عن أَبي هريرة، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ) [6] قَالَ: يقول: سُبْحَان اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ[7]. متفقٌ عَلَيْهِ.

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلَى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهْلُ الأمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**)) [8].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) عند مسلم زيادة: (فقال: وما ذاك).

(٢) إلى هنا لفظ مسلم.

(٣) إلى هنا لفظ البخاري.

(٤) إلى هنا لفظ مسلم.

(٥) إلى هنا لفظ البخاري.

(٦) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٧) إلى هنا لفظ البخاري.

(٨) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥/١٤٢). تقدم برقم (٥٧٢) أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

غريب الألفاظ:

الدرجات: جمع درجةٍ: المنزلة والمكانة عند الله تعالى[(١)].

الدُّثُور: جَمعُ: دَثرٍ: المالُ الكثير[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض لصورة من صور التنافس في الخير بين المؤمنين، ويقوم المعنى فيه على الحوار بين فقراء المهاجرين، وبين الرسول ﷺ وقولهم (: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى) كناية عن تحصيلهم الأعمال الصالحة الكبيرة، والتعبير بالذهاب مبالغة في الحيازة كأنهم لم يبقوا لها أثرا، وقوله (أهل الدثور) كناية عن أهل الغنى، والجاه، وجمع الدرجات للتعظيم، ووصفها بالعلي مبالغة في العلو، وقول الرسول ﷺ (وَمَا ذَاك ؟) استفهام على حقيقته يضع على إثره الحل بعد الإحاطة بأبعاد المشكلة، وقولهم: (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) فيه جناس بين يُصلُّونَ ونُصلِّي، وبين يَصُومُونَ ونَصُومُ يؤكد المعنى، ويقرر التطابق في الفعل، والتساوي في العمل، وليس في هذا الجزء اعتراض والمفارقة في قوله (وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ) وفيه طباق سلب بين يَتَصَدَّقُونَ، وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَبين يَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، لأنهم يملكون المال، والفقراء لا يملكون، وقول الرسول (أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق، وترغيب يسيطر على العقل حتى يتقرر المعنى وقد جعل لهم فيه ما يبحثون عنه من إدراك السابق، وفوت اللاحق، والتفرد في المنزلة، وهو ما تسعى خلفه النفوس المؤمنة الطامحة وقوله (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً) يدل على فضل الذكر وعظمة ثوابه مع عدم الكلفة،

---

(١) النهاية في (د ر ج).

(٢) رياض الصلحين.

وقلة الجهد، وقولهم (سَمِعَ إِخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟) يشير إلى روح المنافسة في الخير السائدة في الجيل الطاهر والتي تشبه منافستنا اليوم، ولكن على الدنيا، وقول الرسول ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يرد المسألة إلى أصلها، وهو توفيق الله، والإشارة (ذلك) للتعظيم، وإضافته لله تزيده تعظيماً مع التخصيص الذي يقرر أن مرد الأمر لمشيئة الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٧٣).

الحديث رقم (١٤٢١)

١٤٢١- وعنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وقال تَمَامَ المِئَةِ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[2].

زبد البحر: رغوةُ مائه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تناولت الذكر بعد انتهاء الصلاة خاصة وقد ورد في ثوب الشرط الذي يعطي الحكم اطراد يعم المصلين إلى يوم القيامة كما أنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل دون أن يفرضه عليهم مما يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار؛ لأنه أدى الفرض الواجب عليه، وهو في هذا الذكر بالخيار، ولكن الجزاء الموضوع إزاء هذه التسبيحات، والتحميدات، والتكبيرات يجعل المصلي حديث العهد بلقاء ربه في صلاته يسارع في أداء هذه الأذكار تخلصا من خطاياه، وإمعانا في التقرب لله تعالى وقوله (من سبح الله...) وما عطف عليه من التحميد، والتكبير هو فعل الشرط، وقوله (في دبر كل صلاة) يحدد وقته، والتعبير بحرف الجر (في) الدال على

---

(١) برقم (١٤٦/٥٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٣) لسان العرب في (ر غ و).

الظرفية يؤكد التوقيت، ويضبطه بحيث يكون بعدها مباشرة؛ لأن الحرف يدل على الظرفية الدالة على التمكن في العقب، وقوله (ثلاثا وثلاثين) يحدد عدده بعد كل فعل من أفعال الذكر المحددة (التسبيح، والتحميد، والتكبير) وتمام المائة هي كلمة التوحيد المشفوعة بالحمد، والثناء، وجملة جواب الشرط (غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) والتعبير بالماضي مفيد للتحقق، وجمع الخطايا لتكثير المغفور، وجملة (وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) جملة شرطية محذوفة الجواب لدلالة السابق عليه، أي: وَإِنْ كَانَتْ خطاياه مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ غُفِرَتْ وتشبيه الذنوب بزيد البحر ليقرر الكثرة، وخص الكثرة بزيد البحر لاشتهاره بها عند المخاطبين لبيان المقدار الذي يبلغه العفو، وهو يفيد المبالغة في مقدار الذنوب التي تدركها المغفرة، وهو كم من الذنوب يستبعد أن يبلغه مصلٍ ولذلك استخدم (إن) كأداة شرط دلالة على الشك في حصول هذا المقدار من الذنوب من أحد المصلين، ولأن كل صلاة يقرأ هذا الذكر بعدها تكفر ما سبقها فيستبعد حصول هذا القدر من الذنوب بين صلاتين، ومع ذلك لو حصل له هذا المقدار لغفر له.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة:

حيث جاء في الحديث: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثًا وثلاثين وكبر الله ثلاثًا وثلاثين..... غفرت خطاياه"، وقوله ﷺ: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة" ولا شك أن هذا يدل على فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة وهي جميعها من صور الذكر الذي يحبه الله ويرضى عن قائله، الذكر لغة:

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٤٢١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٢).

مصدر ذكر الشيء يذكره ذكرًا وهو ما يجرى على اللسان والقلب، واصطلاحًا بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته، ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه[١][٢].

وقال النووي: (الذكر هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه بما هو أهله. والإكثار منه واجب مأمور به ويذكر الله من يذكره والذاكر متفرد بالسبق حي على الحقيقة وفق لرأس الأعمال الصالحة واتخذ سبيل النجاة)[٣].

وقد قرن الله تعالى الذكر بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال: الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥]، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢١/٢١٩، ٢٢٠.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ٨/٣٨١.

(٣) الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي، ص٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان. قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخَّص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾[1]، ولرخَّص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[2])[3].

وقد أمر الله في مواضع من كتابه بالمداومة على ذكره. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾[6]، وأمر الله بعدم طاعة من غفل قلبه عن ذكر الله قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[7]، وأخبر الله أن الذكر يورث ذكر الله تعالى للعبد، قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[8]، قال ابن القيم: "وذكر الله من أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك، والذكر يسير العبد، وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته

(١) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٧) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

وسقمه وفي حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديثين[2] ومما لا شك فيه أن من أولى مهام الداعية أن يرشد المدعوين ويدلهم على الخير والهدى والصلاح لأنه بهذا يتضح حرصه عليهم وشفقته بهم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[3]، وبين الرسول الكريم ﷺ ثواب من يدل ويرشد إلى الهدى والخير فقال: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله، أو قال عامله"[4].

قال السيد سابق: (إن أسمى الغايات وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه، وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5].

أي أن غايات الناس مختلفة، وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات البدنية، ومنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية، كالجاه والرئاسة، والعلو في الأرض

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ضمن مجموعة الحديث النجدية، ٢/٢٠٤-٢١١.

(٢) رقم ١٤٢١، ١٤٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآيتان : ٥٢-٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

بغير الحق، وهو ما يسمى عندهم بالكرامة والشرف.

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا. وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(١).

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال جل شأنه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾(٢).

ومدح المسارعين إليه، والحريصين عليه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٣).

وجعل جزاءه الجنة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا﴾(٤).

وروى ابن ماجه، عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ. وَلِهَذِه الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ. فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ. وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مِغْلاَقًا لِلْخَيْرِ»(٥). والله سبحانه يوازن بين مباهج الدنيا ومفاتنها، وبين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين أن الفضائل أبقى أثرًا، وأعظم ذخرًا، وأجدر باهتمام الإنسان، وخير له في الدنيا والآخرة.

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾(٦)، والدلالة على الخير، وإرشاد الإنسان غيره إلى الحق، لا يقل أهمية

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٦) سورة الكهف، آية: ٤٦.

عن ممارسة الخير والنهوض به)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الأول في قوله ﷺ: "غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، وفي قوله ﷺ في الحديث الثاني: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ..."، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتشجعه على الطاعة، وتحثه على المسارعة إلى الأعمال الصالحة. "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتنابه، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم والإنسان مفطور الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة"[٢]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٣].

---

(١) سورة إسلامنا، الآيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٤٢٢)

١٤٢٢- وعن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**مُعَقِّباتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ (أَوْ فَاعِلُهُنَّ) دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثونَ تَكْبِيرَةً**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

كعب بن عجرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٠٧).

غريب الألفاظ:

معقبات: تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة، وسميت معقبات لأنها تفعل مرة بعد أخرى[2].

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[3].

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في الذكر بعد الصلاة يعتمد أسلوب التشويق في عرض المعنى ليضمن تمام إنصات المخاطب، وترقبه حتى يقع المعنى من نفسه موقعا لا ينساه بعده، وطريقة التشويق في هذا الحديث تقوم على ذكر لفظ مبهم موصوف بجملة تزيد التشويق إليه، ولا تكشف عن مضمونه فإذا بلغ المخاطبون من الترقب والاستشراف مبلغا معيناً كشف لهم سره، وقرر المعنى الذي أرصد له بدايةً فقد ذكر لفظ (معقبات) وهي نكرة موصوفة بما بعدها، والمعقبات إِسْم فَاعِل مِنْ التَّعْقِيب أَيْ أَذْكَار يُعَقِّب بَعْضهَا بَعْضًا أَوْ تُعَقِّب لِصَاحِبِهَا عَاقِبَة حَمِيدَة سُمِّيَتْ مُعَقِّبَات؛ لأنَّهَا تُعَاد مَرَّة بَعْد مَرَّة أَوْ لأنَّهَا تُقَال عَقِب الصَّلَاة وَالْعَقِب مِنْ كُلّ شَيْء مَا جَاءَ عَقِب مَا قَبْله وقوله (لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ) وهي جملة وصفت بها النكرة قبلها، ولم تزل إبهامها وزادت الشوق إلى معرفة المعقبات والعبارة كناية عن كثرة الثواب وحصوله لقائلها على

---

(١) برقم (١٤٤/٥٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٤٠.

(٣) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

كل حال، وقوله (دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ) دبر كل شيء آخره وتخصيص المكتوبة يحددها بالصلوات الخمس المفروضة، وقوله (ثَلاثٌ وَثَلاثونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثونَ تَحْمِيدَةً، وَأرْبَعٌ وَثَلاَثونَ تَكْبِيرَة) تفصيل لما أجمل في لفظ المعقبات وهو المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث بهذا الأسلوب الذي يقرر المعنى بطريقة طريفة تضمن تلقيه بوعي، وفهم ثم تؤكده بذكره مرتين إجمالا، وتفصيلا، وعناية المتكلم بالمعنى الذي يخبر به تشير إلى أهميته، وقيمته التي توجب العناية به.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى الحكم التالي:

١-استحباب ذكر الله تعالى والدعاء عقيب الصلاة بهذه الأدعية والتعوذ بما استعاذ منه النبي ﷺ[١].

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) حاشية العدوي ٢٨٤/١، المجموع شرح المهذب ٤٦٦/٣ وما بعدها، المغني ٣٢٧/١، سبل السلام ٢٩٣/١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٣)

١٤٢٣- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ[١] دُبُرَ الصَّلَوَاتِ بِهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُرَدَّ إلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ)). رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

يتعوذ: يلجأ ويعتصم ويستجير[٣].

دبر الصلوات: ما بعد انتهائها[٤].

أرذل العمر: أي: آخره في حال الكبر والعجز والخَرِفَ[٥].

الشرح الأدبي

التعوذ هو طلب العوذ، واللفظ يوحي بمرهوب يخشى أو يتوقع وقوعه وتعوذ الرسول ﷺ نوع من عبادة الله بإظهار الذل، والضعف، والحاجة، وتعليم لأمته لأن هذه الأمور المستعاذ منها لها اتصال بالفطرة ولها تمكن في النفس وبعضها أمور تجري على الخلق بقدر الله، وهي أمور لا يعيذ الإنسان منها إلا ربه عز وجل، وقول الراوي كان يتعوذ يشير إلى العادة -غالبا- وهو ما يجعله سنة فعلية عنه ﷺ وقوله (دبر الصلوات) يحدد وقت هذه الذكر، والتعريف في الصلوات بال للعهد أي الصلوات

---

(١) عند البخاري زيادة: (بهنَّ).

(٢) برقم (٢٨٢٢)، و(٦٣٦٥)، و (٦٣٧٠)، و (٦٣٧٤)، و (٦٣٩٠) بنحوه.

(٣) النهاية في (ع و ذ).

(٤) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٥) النهاية في (ر ذ ل).

المعهودات وهن الصلوات الخمس المفروضة، وقوله (اللهم نداء، ودعاء ينطلق من قلب الخشوع بكامل الخضوع، وضمير المتكلم المسبوق بحرف التوكيد يشير إلى الإلحاح في الدعاء، وإظهار مزيد الضعف، والذل المحقق للرجاء، والجار، والمجرور (بك) تخصيص لله بالطلب والتعوذ من الجبن؛ لأنه يؤدي إلى عذاب الآخرة؛ لأنه يفر في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لمن تولى يوم الزحف، وربما يمنعه من القيام بفرائض الله أو يرتكب المحرمات خوفا على نفسه أو منصبه ولقد ابتليت الأمة بلاءً شديدا من قبل جبن أصحاب المناصب الذين يخافون على الكراسي، والمناصب، ويضيعون مصالح الناس، ويضرونهم في دينهم، ودنياهم، ويضيقون عليهم حماية لمصالح شخصية، والتعوذ من البخل لأنه يحمل على الظلم، والحرص على جمع المال من حله، وحرامه، ومنع حقوق الله، وحقوق الناس، وقوله (أن أرد) أي من الرد وأن مصدرية، (وأرذل العمر) كناية عن سن الشيخوخة، وما يعتري الإنسان فيها من الضعف عن أداء الفرائض، وعن خدمة نفسه فما يستطيع أن ينظف نفسه، فيكون كلاً على أهله ثقيلا بينهم يتمنون موته، فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم ، والتعبير بالرد يشير إلى مرحلة الطفولة التي كانت يعتمد فيها على غيره في كل حركته في الحياة يعني يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولة ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم، وقوله (وفتنة الدنيا) هو أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال، ومال، وقوله (فتنة القبر) عند سؤال الملائكة، وهو موقف لا ينجي منه إلا الله تعالى، وهو أول منازل الآخرة، والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر كل صلاة بهؤلاء

الكلمات وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع.."، قال ابن كثير: "والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله بصدق، والالتجاء بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره"[1]

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: وأما الاستعاذة من فتنة المحيا والممات فهذه كلمة جامعة لمعان كثيرة وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعًا عن أمته وتشريعًا لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية وأما التعوذ من فتنة القبر فالمراد سؤال الملكين وعذاب القبر، والتعوذ من فتنة النار هى سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[2]، وأما الاستعاذة من الجبن والبخل وغيره، فهى استعاذة مما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والاستعاذة من فتنة الدنيا، قد يراد بها فتنة الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا[3].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب القبر"، الفتنة هنا: هي ضلال أهل النار المفضي بهم إلى عذاب النار. وفتنة القبر: هي الضلال عن صواب إجابة الملكين فيه، وهما: منكر ونكير -كما تقدم- وعذاب القبر: هو ضرب من لم يُوَفَّق للجواب بمطارق الحديد، وتعذيبه إلى يوم القيامة. وشر فتنة الغني: هي الحرص على الجمع للمال، وحبه حتى يكتسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه. وشر فتنة الفقر: يعني به: الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٤.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) انظر: فتح الباري ١١ /١٨٠-١٨١

حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الأديان، ولا بأهل المروءات، حتى لا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي ركاكة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها. وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يدل على أن الغنى أفضل من الفقر، ولا أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن الغنى والفقر المذكورين هنا مذمومان باتفاق العقلاء.

والكسل المتعوذ منه هو التثاقل عن الطاعات، وعن السعي في تحصيل المصالح الدينية والدنيوية. والعجز المتعوذ منه: هو عدم القدرة على تلك الأمور، والهرم المتعوذ منه: هو المعبر عنه في الحديث الآخر: بأرذل العمر، وهو: ضعف القوى، واختلال الحواس والعقل الذي يعود الكبير بسببه إلى أسوأ من حال الصغير، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وقوله: "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء" يُروى بفتح الراء وبإسكانها، فبالفتح: الاسم، وبالإسكان: المصدر، وهما متقاربان، والمتعوذ منه: أن يلحقه شقاء في الدنيا يُتعبه، ويثقله، وفي الآخرة: يعذبه. وجهد البلاء: يروى بفتح الجيم وضمها. قال ابن دريد: هما لغتان بمعنى واحد، وهو: التعب والمشقة، وقال غيره -وهو نفطويه- بالضم: وهو الوسع والطاقة، وبالفتح: المبالغة والغاية. وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال، وكثرة العيال. وشماتة الأعداء: هي ظفرهم به، أو فرحهم بما يلحقه من الضرر والمصائب. وقد جاء هذا الدعاء مسجعًا -كما ترى الآن- ذلك السجع لم يكن متكلفًا، وإنما يكره من ذلك ما كان متكلفًا -كما تقدم-، وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية، وبيانًا للمشروعية؛ ليُقْتدى بدعواته -ويُتعوَّذ بتعويذاته- والله أعلم)[2].

جاء في فتح الملهم: قوله: "ومن فتنة المحيا" الخ: قال أهل اللغة: الفتنة: الامتحان،

---

(١) سورة يس، آية: ٦٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٣٣-٣٥.

والاختبار، قال عياض: (واستعمالها في العرف لكشف ما يكره). وتطلق على القتل والإحراق والنميمة وغير ذلك.

قال ابن دقيق العيد: (فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت).

قوله: "والممات" الخ: يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر. ولا يكون مع هذا الوجه متكررًا مع قوله: "عذاب القبر" لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب، وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا، وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن سفيان الثوري: "أن الميت إذا سئل: من ربك؟ تراءى له الشيطان، فيشير إلى نفسه: أني أنا ربك، فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يُسئل" ثم أخرج بسند جيد إلى عمرو ابن مرة: "كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا: "اللهم أعذه من الشيطان".

قوله: "فتنة المسيح الدجال" الخ: المسيح بفتح الميم، وتخفيف المهملة المكسورة، وآخره حاء مهملة، يطلق على الدجال، وعلى عيسى بن مريم ﷺ. لكن إذا أريد الدجال قيد به. وقال أبو داود في السنن: المسيح مثقل: الدجال، ومخفف: عيسى، والمشهور الأول.

وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر.

وأجيب بأجوبة: أحدها: أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته، فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية، وإلزام خوف الله وإعظامه، والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع، فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة.

وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا إشكال فيه على الوجهين الأولين. وقيل على الثالث: يحتمل أن يكون ذلك قبل تحقق عدم إدراكه، قوله: "من المأثم" الخ: إما مصدر "أثم الرجل" أو ما فيه الإثم"، أو ما يوجب الإثم، قوله: "والمغرم" إلخ: أي: الدين يقال: غَرِم - بكسر الراء - أي": أدان. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز، أو فيما يجوز ثم يعجز عن أدائه. ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين)[1].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه:

حيث جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات، وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع"، ولقد كان من هدى النبي ﷺ أنه كان يحرص على التعوذ ويعلم أصحابه ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لابْنِهِ: أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلاَتِكَ؟ فَقَالَ: لاَ. قَالَ: أَعِدْ صَلاَتَكَ. لأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، أَوْ كَمَا قَالَ[2].

قال النووي: (هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه وظاهر كلام طاوس: أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه والله أعلم. قال القاضي عياض تعالى: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه، والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ١٧٢/٤، ١٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والله أعلم)[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ. وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدُ، يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[2].

قال القرطبي: (قول اليهودية: "إنكم تفتتون في القبور"، أي: تعذبون. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3]، أي: عذبوهم. وقد قدمنا: أن الفتنة تتصرف على وجوه، وأن أصلها: الاختبار.

وهذا الحديث وما في معناه يدل: على صحة اعتقاد أهل السنة في القبر، وأنه حق، ويرد على المبتدعة المخالفين في ذلك.

وارتياع النبي ﷺ عند إخبار اليهودية بعذاب القبر إنما هو على جهة استبعاد ذلك للمؤمن، إذ لم يكن أوحى إليه في ذلك شيء. ولذلك حققه على اليهود. فقال: "إنما تفتن يهود" على ما كان عنده من علم ذلك، ثم أخبر؛ أنه أوحى إليه بوقوع ذلك، وحينئذ تعوذ منه، ولما استعظم الأمر واستهوله أكثر الاستعاذة منه، وعلمها، وأمر بها، وبإيقاعها في الصلاة؛ ليكون أنجح في الإجابة، وأسعف في الطلبة؛ إذ الصلاة من أفضل القرب، وأرجى للإجابة، وخصوصًا بعد فراغها، ولذلك قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[4]. وفي هذا الحديث حجة على أبي حنيفة، حيث منع الدعاء في الصلاة إلا بألفاظ القرآن.

وقوله: "ومن فتنة المحيا والممات" أي: الحياة والموت، ويحتمل زمان ذلك؛ لأن ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٤٩، ومسلم ٥٨٤.

(٣) سورة البروج، آية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨.

معتل العين من الثلاثي فقد يأتي منه المصدر، والزمان، والمكان، بلفظ واحد. ويريد بذلك: محنة الدنيا وما بعدها. ويحتمل أن يريد بذلك: حالة الاحتضار، وحالة المساءلة في القبر، فكأنه لما استعاذ من فتنة هذين المقامين سأل التثبت فيهما. كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1]، والله أعلم.

وأمر طاوس ابنه بإعادة لما لم يتعوذ من تلك الأمور دليل: على أنه كان يعتقد وجوب التعوذ منها في الصلاة، وكأنه تمسك بظاهر الأمر بالتعوذ منها، وتأكد ذلك بتعليم النبي ﷺ إياها الناس، كما يُعلِّمهم السورة من القرآن، وبدوام النبي ﷺ على ذلك، ويحتمل: أن يكون ذلك إنما أمره بالإعادة تغليظًا عليه؛ لئلا يتهاون بتلك الدعوات، فيتركها فيحرم فائدتها، وثوابها. والله تعالى أعلم.

والمأثم: ما يجرُّ إلى الذم والعقوبة. والمغرم: الغُرمُ. وقد نبه في الحديث على الضرر اللاحق من الغرم، والله أعلم[2].

والواجب على المدعو أن يتلمس هدي النبي ﷺ ويلتزمه لأنه الأسوة والقدوة في جميع الأمور قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ومدح الله سبحانه الذين يتبعون هديه، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، وأمر باتباعه فقال جل شأنه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]، ومن هنا وجب على المدعو الاقتداء بسنة النبي ﷺ والتأسي به، قال النسفي: "قال الحسن: زعم أقوام على عهد

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢٠٧-٢٠٩.

(٣) سورة آل عمران، آية : ٣١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله ﷺ فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل: محبة الله معرفته ودوام خشيته وقيل: هى اتباع النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به"(١).

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"(٢).

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾(٤).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٥٦-١٥٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٣.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

الحديث رقم (١٤٢٤)

١٤٢٤- وعن معاذ ﷺ: أن رسُولَ اللهِ ﷺ، أخذ بيده، وقال: ((يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ)) فقَالَ: ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

نرى دائما فعل الرسول ﷺ يسبق قوله، وإذا أمر بشيء كان أول من يفعله حرصاً منه على الخير، وإيجاداً للقدوة الصالحة للأمة في دروب الخير، وقول الرسول ﷺ (يا معاذ) نداء تنبيه، وتكريم، والقسم بالله توكيد لتعظيم ما بعده، وتنبيهاً إلى العناية به، والتوكيد بـ (إن) واللام الداخلة على الفعل المضارع الذي يعطي المعنى استمرارية، ويدل على دوام المحبة، وكثافة هذه المؤكدات تربي المهابة، والعناية والاهتمام بمضمون الخبر مع تمهيد النفوس له بما يدخله عليها دخول الخبر المأنوس، وفيه شرح لصدره ؛لأن الذي يخبره بأنه يحبه هو حبيب الله، والمؤمنين، وخير خلق الله ثم إن هذا الإحساس يبعثه على الاهتمام بما بعده من إرشادات، ونداؤه للمرة الثانية، وهو مقبل عليه مدرك لما يقول يدلل على محبته، وفيه مزيد تودد، وتكريم، والنهي في قوله: (لا تدعن) نهي عن ترك الذكر للتوجيه، والإرشاد، والتعبير بالدبر يفيد تعقيب الصلاة بالذكر مباشرة، وترتيب كلمات الدعاء بدأ بالذكر لأنه يؤدي إلى الشكر،

---

(١) برقم (١٥٢٢)، وكذا قال المؤلف في الخلاصة (١٥٤٨)، وتقدم برقم (٣٨٤). وصحّحه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٢٠)، وقال الحاكم (٢٧٣/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٠). تنبيه: عزاه المؤلف في الموضع الأول إلى أبي داود والنسائي، واكتفى هنا بأبي داود فقط.

والذكر والشكر يؤديان إلى حسن العبادة، وقد تضمَّن عناصر إصلاح الصلاة، ودوامها، ومواصلة الذكر، وتصدُّره الدعاء بصيغة (اللهم) التي تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً، وتوحي بحالة من السكينة تحقق القبول.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٨٤).

الحديث رقم (١٤٢٥)

١٤٢٥- وعن أَبي هريرة ﵁ : أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أربَعٍ، يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستعذ بالله: فَليلجَأْ إليه وليعتصم به[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التعوذ من العذاب، والفتنة في مواقف كل الناس عرضة لها، ولا ينجو منها إلا من نجّاه الله، ويقوم المعنى على الأسلوب الخبري المبني على أسلوب الشرط الذي ربط التشهد بالأمر بالاستعاذة من الأمور المذكورة والذي ينطوي على تحذير من الأسباب التي تؤدي إليها في قوله (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أرْبَعٍ) وذكر لفظ العدد أربع نكرة مبهمة من باب التشويق بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام حيث أبهم الأربعة في هذه النكرة بعد أن أمرهم بالتعوذ منها ثم فصَّلها في الجمل بعدها، وهذا الأسلوب يحقق مع التشويق، والترقب يحقق التوكيد لذكره مرتين مجملا ثم مفصلا، وبداية الدعاء بالنداء بصيغة اللهم يستحضر الخضوع، والخشوع ويعلن التوجه، والقصد بالقلب إلى الرب ثم يزيد تهالكا في الذل، والخضوع بتقديم ضميره (إني) مؤكدا لتوكيد الضعف، والاضطرار المهيأ للإجابة المحقق للإغاثة، وبدأ بالاستعاذة من العذاب المضاف للنار، والتعبير بلفظ جهنم يوحي بالخوف، والرهبة؛ لأنها

---

(١) برقم (٥٨٨/١٢٨). وكذا أخرجه البخاري (١٣٧٧) ولفظه: (كان رسول الله ﷺ يدعو) ثمّ ذكره.

(٢) المعجم الوسيط في (ع و ذ).

علم على الهول؛ لأن ذكر النار فقط يستحضر في الذهن دفئها، وضياءها مع إحراقها، ولظاها، ولكن ذكر جهنم يجردها من كل خير، أو فائدة، ويخلصها للعذاب، وذكر لفظ القبر من الألفاظ الموحية بطبيعتها بالظلمة، والوحشة وغرائب الأهوال، والاستعاذة من الفتن، لأنها تؤدي إلى العذاب في القبر، أو في النار، أو في الاثنين - والعياذ بالله - والطباق بين المحيا، والممات يستغرق بالعوذ كل الفتن، وبين هذه الكلمات مراعاة نظير (جهنم - القبر - الفتن - المسيخ الدجال) لأنها تتفق جميعا في كونها من الغيب المنتظر، وفي كونها مرهوبة مخوفة - نعوذ بالله منها جميعا - فعلينا أن نحرص على هذا الدعاء الذي يجنبنا هذا الهول العظيم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الاستعاذة من هذه الأمور: ذهب الظاهرية وطاووس إلى وجوب الاستعاذة من هذه الأمور وبطلان صلاة من تركها[١].

وذهب جمهور الفقهاء إلى ندب واستحباب الاستعاذة من هذه الأمور وصحة صلاة من ترك الاستعاذة من هذه الأمور[٢].

٢-في الحديث دلالة على ثبوت عذاب القبر[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) مغني المحتاج ٢/٣٨٤، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٢) حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/٣٣٣، مغني المحتاج ١/٣٨٣، المغني ١/٣٢٠، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٣) سبل السلام ١/٣٦٦.

(٤) سياتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٤٢٦)

١٤٢٦- وعن عليٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: **((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ))**. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وما أسرفت: من الإسراف وهو مجاوزة الحد، والمقصود هنا: الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقاب [أي: ارتكاب] الأوزار والآثام[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بسنة فعلية عن النبي ﷺ دعاءه في آخر صلاته، وقول عليٍّ رضي الله عنه : (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ ...) يقرر أنها عادة متكررة في صلوات الرسول ﷺ يدل على ذلك قوله (كان رسول الله ﷺ) كما يقرر ذلك استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين قيامه للصلاة قبيل التسليم، وبين قول هذا الدعاء، وقوله (بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ) يحدد بدقة موضع الذكر، وقد قام المعنى في الدعاء الوارد في هذا الحديث على أسلوب المطابقة التي تستغرق كل ذنوب العبد، وتؤكد على إحاطة الله بذنوب عبده، وبكل خلقه، فقد قابل بين قوله قَدَّمْتُ، وأَخَّرْتُ التي تستغرق الزمان بالمغفرة، وبين أَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، ليستغرق الظاهر، والباطن وهو استغراق للمكان، لأن الذنب إما أن يقع في مكان ظاهر للعيان، أو في مكان خفي

---

(١) برقم (٧٧١/٢٠١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س ر ف).

عن الناس، والدعاء يحيط الاثنين بالمغفرة، كما طابق بين وصفه بالْمُقَدِّمُ، والمُؤَخِّرُ، ليشير إلى إحاطته بكل شيء ثم ختمه بكلمة التوحيد إعلانا لتفرده بكل شيء بما فيها المغفرة (لا إلهَ إِلاَّ أَنْتَ) أي يغفر الذنوب، ويقبل الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء بعد التشهد قبل التسليم[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال" وكان رسول الله إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: "اللهم اغفر.."، قال النووي: وقوله: "أنت المقدم وأنت المؤخر" معناه تقدم من شئت بطاعتك وغيرها، وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، وفي هذا الحديث استحباب دعاء الافتتاح بما في هذا الحديث إلا أن يكون إمامًا لقوم لا يؤثرون التطويل، وفيه استحباب الذكر في الركوع والسجود والاعتدال والدعاء قبل السلام[3]، والمسلم يجب أن يحرص على

---

(١) حاشية الجمل ١/٣٨٩-٣٩٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٤٢٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٢٦.

الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع أموره، وخاصة في الدعاء والعبادة، فقد جعل الله الهداية في اتباعه وطاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

قال القاسمي: "أى إنه ﷺ في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة إذ كان منها ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة، ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى وهو الرفيع الشأن كان غيره أجدر إن كان ممن يتبع بإحسان ويرجو رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته"[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفس المدعو من خلال الترغيب في العبادة والدعاء والذكر، "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه، ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه ويفزعه كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها"[4].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك " أنه بالدعاء تكبر النفس وتشرف وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوى إلى ركن شديد ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) محاسن التأويل ١٣/٢٣٦.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

رقهم ويسلم من منتهم، وبالدعاء يسلم من ذلك كله[١]، والمدعو يجب أن يحرص على جوامع الدعاء كما في هذا الحديث وكما جاء عن نبي الله يوسف، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾"[٢]. قال الإمام ابن القيم: "وهذه دعوة جامعة جمعت الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء[٣]، ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج من تضرع الأنبياء عليهم السلام فمن دعاء أيوب عليه السلام: "﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤]، ومن دعاء يونس عليه السلام وتضرعه: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥].

قال ابن مفلح: (فالعارف -يعني الذي يعلم حق الله عليه- يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك، ولا يمل ولا يسأم، ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة فإنه أنجح فالواجب النظر في الأمور، فإن عَدِم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع؛ فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها، ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦]، وليعلم أن كل شيء عنده بأجل مسمى)[٧].

---

(١) الدعاء مفهومه وأحكامه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٩.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٣) الفوائد ٢٨٥.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٧) الآداب الشرعية ١٤٩/١.

قال الغزالي تعالى: (من آداب الدعاء:

١- أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

٢- أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف،وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

٣- أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

٤- الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

٥- أن يُلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطأ الإجابة.

٦- أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

٧- التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكُنْه الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة وتحري أكل الحلال)[1].

وأما عن فائدة الدعاء فيقول:

(فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[2]، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر، فيقلل إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٥٥١، ٥٥٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ «الدعاء هو العبادة»[1].

والغالب على الخلق أنه لا تتصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[2])[3].

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٥).

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/٥٩٢، ٥٩٣.

الحديث رقم (١٤٢٧)

١٤٢٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يشير إلى تحقق الفعل من ناحية، و يشير إلى كثرة إتيانه للفعل من ناحية أخرى، وهو ما يؤكده قولها (يكثر) الذي تشير إلى تعدد الذكر أكثر من مرة في اليوم، وعدة مرات في كل صلاة يدل على ذلك قولها في (في ركوعه، وسجوده)، وهما متكرران في كل ركعة، وفي كل صلاة، وهو ما يفسر تعبيرها بالكثرة، واستخدام (في) الظرفية تشير إلى تمكن الذكر في الوقت المحدد، وتخصيص هذا الدعاء بالصلاة؛ لأنها أفضل من غيرها، وتخصيصه في الركوع، والسجود لما فيهما من زيادة خشوع، وتواضع ليست في غيرهما، وقوله (سبحانك) منصوب على المصدر وحذف فعله وهو أسبح ونحوه لازم وهو علم للتسبيح ومعناه التنزيه عن النقائص، قوله (وبحمدك) أي: وسبحت بحمدك أي بتوفيقك، وهدايتك لا بحولي، وقوتي، والواو فيه إما للحال، وإما لعطف الجملة على الجملة سواء قلنا إضافة الحمد إلى الفاعل، والمراد من الحمد لازمه مجازا وهو ما يوجب الحمد من التوفيق، والهداية، أو إلى المفعول، ويكون معناه وسبحت ملتبسا بحمدي لك، وقوله (اللهم اغفر لي) هو نداء بغرض الدعاء أي يا الله اغفر لي، وإنما قال ذلك النبي ﷺ، وإن كان غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر لبيان الافتقار إلى الله والإذعان له، وإظهار العبودية، والشكر، وطلب الدوام، أو الاستغفار عن ترك الأولى، أو التقصير في

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤/٢١٧) ولفظهما سواء.

بلوغ حق عبادته مع أن نفس الدعاء هو عبادة، وهذا من رسول الله ﷺ عمل بما أمر به من التسبيح والاستغفار على أحسن الوجوه، والله تعالى أعلم.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

خامسًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك..." وفي الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده" "كان يقول في سجوده...."، قال النووي: "لقد كان النبي ﷺ يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[٢]، فكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل ومعنى التسبيح: التنزيه فسبحان الله معناه: براءة وتنزيهًا له من كل نقص وصفة للمحدث، وقوله "وبحمدك"، أى وبحمدك سبحتك ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبحتك لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله تعالى وأن كل الأفعال له سبحانه وتعالى[٣].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١).

(٢) سورة النصر، آية : ٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٨٧.

قال القاضي عياض: (وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء": القرب ها هنا من الله معناه: من رحمة ربه وفضله، ولذلك حضه على السؤال والطلب.

وقوله في الحديث: "سبحانك" قال أهل العربية: هو نصب على المصدر، سبحت الله تسبيحًا وسبحانًا، ومعناه: براءة وتنزيهًا لك، ويقال: إن التسبيح مأخوذ من قولهم: سبح الرجل في الأرض إذا ذهب فيها، ومنه قيل للفرس الجواد: سابح، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]، فكأن التسبيح على هذا المعنى بمعنى التعجب، من المبالغة في الجلال والعظمة والبعد عن النقائص.

وقد يكون على هذا جمع سباح، كحساب وحسبان، يقال: سبح يسبح سبحًا وسباحًا، أو جمع سبيح للمبالغة من التسبيح، مثل خبير وعليم، ويجمع سبحان كقضيب وقضبان، وقال المازني: معنى "سبحانك": سبحتك، "قالوا: وقوله: "وبحمدك": أي بحمدك سبحتك ومعنى هذا: أي: بفضلك وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتك واستعملتني "لذلك لا بحولي وقوتي".

وقوله: "سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن"، جاء مفسرًا في الحديث الآخر فيما أمر به من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2]. وفيه حجة لمن أجاز الدعاء في الركوع، وقوله: "اغفر لي ذنبي كله دقه وجلّه، أي صغيره وكبيره")[3].

وقال القرطبي: (وقوله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح" يقال: سبوح قدوس بضم السين والقاف وفتحها، مرفوعان على خبر المبتدأ المضمر، تقديره: أنت سبوح قدوس، وقد قيلا بالنصب فيهما على إضمار فعل، أي: أُعَظِّم، أو أذكر، أو أعبد، وعُدِلا عن التسبيح، والتقديس للمبالغة، وقد تقدم معنى: سبحان، وأما القدوس فهو من القدس،

---

(١) سورة يس، آية: ٤٠.

(٢) سورة النصر، آية: ٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٩٨، ٢٩٩.

وهي الطهارة، ومنه: بيت المقدس، أي: المطهر. ورب الملائكة: أي: مالكهم، وخالقهم، ورازقهم، أي: مُصلح أحوالهم، وقد تقدم الكلام في الملائكة. والروح هنا: جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[1]، وخصه بالذكر وإن كان من الملائكة تشريفًا وتخصيصًا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]. فخصهما بالذكر تشريفًا لهما.

وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" هذا قرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة والمساحة؛ إذ هو منزه عن المكان والزمان)[3].

وأما عن السبب في تخصيص الركوع بالتعظيم والسجود بالدعاء والقيام في الصلاة بقراءة القرآن فيقول صاحب فتح الملهم: (قيل: كأن حكمته أن أفضل أركان الصلاة: القيام، وأفضل الأذكار: القرآن، فجعل الأفضل للأفضل، ونهى عن جعله في غيره، لئلا يوهم استواءه مع بقية الأذكار. وقيل: خصت القراءة بالقيام أو القعود عند العجز عنه، لأنهما من الأفعال العادية، ويتمحضان للعبادة، بخلاف الركوع والسجود، لأنهما بذواتهما يخالفان العادة، ويدلان عل الخضوع والعبادة. ويمكن أن يقال: إن الركوع والسجود حالان دالان على الذل، ويناسبهما الدعاء والتسبيح، فنهى عن القراءة فيهما تعظيمًا للقرآن الكريم، وتكريمًا لقارئه القائم مقام الكليم، والله بكل شيء عليم.

ولما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع، وكذلك السجود، ولم تنبغِ هذه الصفة أن تكون لله تعالى قال النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله تعالى في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، "اجعلوها في ركوعكم" وفي قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[5]،

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣، ١٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٠، ٩١.

(٤) سورة الواقعة، آية: ٧٤.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١.

اجعلوها في سجودكم يقول: نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع فإن الخضوع، إنما هو لله، لا بالله فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع.

وقوله: "فعظموا فيه الرب" إلخ: أي: سبحوه، ونزهوه، ومجدوه.

واستحب الشافعي وغيره من العلماء أن يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، ويكرر كل واحدة منهما ثلاث مرات، ويضم إليه ما جاء في حديث علي رضي الله عنه ذكره مسلم بعد هذا: "اللهم لك ركعت، اللهم لك سجدت..." إلى آخره، وإنما يستحب الجمع بينهما لغير الإمام، وللإمام الذي يعلم أن المأمومين يؤثرون التطويل، فإن شك لم يزد على التسبيح، قوله: "فاجتهدوا في الدعاء" إلخ: أي: بالغوا في الدعاء حقيقة، وهو ظاهر، أو حكمًا كما في "سبحان ربي الأعلى".

وقال بعضهم ادعوا بعد قول"سبحان ربي الأعلى" فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح.

قوله: "فقمن" إلخ: بفتح القاف وفتح الميم وكسرها، لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، وفي لغة ثالثة: قمين، بزيادة ياء وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه: حقيق، وجدير.

قوله: "أن يستجاب لكم" إلخ: لأن السجود أقرب ما يكون العبد فيه إلى ربه، فيكون الدعاء في تلك الحالة أقرب إلى الإجابة.

قال الحافظ: (والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤاله، واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه)[1].

وقال ابن علان: "والمراد تعظيم الرب سبحانه وتعالى في الركوع بأي لفظ كان، ولكن الأفضل أن يجمع بين الأذكار الواردة فيه إن مكن من ذلك بحيث لا يشق على غيره فإن أراد الاقتصار فليقتصر على التسبيح، ويستحب إذا اقتصر على البعض أن يفعل في بعض الأوقات بعضًا آخر، وهكذا حتى يكون فاعلاً لجميعها وكذا ينبغي في

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٣/٤٥٨-٤٥٩.

أذكار جميع الأبواب"[١].

والواجب على المسلم أن يتبع هدى النبي ﷺ في هذه الأذكار فيكثر منها ويلتزم بها في الركوع والسجود، قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة، والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفرح والنجاة، فالله ﷻ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفته الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود:

حيث جاء في الحديث: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء"، قال النووي: "ومعنى: قمن" بفتح القاف وفتح الميم وكسرها أى حقيق وجدير وفيه الحث على الدعاء في السجود فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح، وقوله: "أقرب ما يكون" أى أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وفيه دليل لمن يقول: "إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة"[٣]. وقال ابن عثيمين: "والعبد يكون أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام، ويضع أعلى ما في جسده حذاء أدنى ما في جسده، يعني أن وجهه أعلى ما جسده، وقدميه أدنى ما في جسده فيضمهما في مستوى واحد تواضعًا لله عز وجل، وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار من الدعاء في حال السجود فيجتمع في ذلك الهيئة والمقال تواضعًا لله عز وجل، وأما في قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه، لأن الدعاء عبادة فكل ماكرره الإنسان ازداد عبادة لله عز وجل، ثم إنه في تكراره هذا

---

(١) دليل الفالحين ١٤٩٢

(٢) زاد المعاد ١/٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٨٥-٣٨٦.

يستحضر الذنوب كلها، السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه، وكذلك دقه وجله، وهذا هو الحكمة في أن النبي ﷺ فصل بعد الإجمال فينبغي على الإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ لأنها أجمع الدعاء، وأنفع الدعاء"[١].

وقال ابن القيم: "وأمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: "إنه قمن أن يستجاب لكم، ويحمل هذا الحديث على أن الدعاء نوعان" دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين والاستجابة نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثنى بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، والصحيح أنه يعم النوعين.

والسجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها، وبأن الساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد، فلهذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة، والسجود هو سر العبودية، فإن العبودية هى الذل والخضوع، يقال طريق معبد: أي: ذللته الأقدام، ووطأته، وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجدًا"[٣]، وإذا كان السجود بهذا الفضل فواجب المسلم أن يجتهد في الإكثار من الدعاء لله فيه وقد قال رسول الله ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي وقد سأله مرافقته في الجنة: "أعني على نفسك بكثرة السجود"[٤].

وإذا كان الدعاء في السجود له هذا الفضل فهل يلزم من هذا أفضليته على القيام؟ وقد قال النبي ﷺ في الحديث عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي الله بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى الله، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتَ

(١) شرح رياض الصالحين ١٥١٩/٢.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.
(٣) زاد المعاد ٢٣٤/١-٢٣٦.
(٤) أخرجه مسلم، ٤٨٩.

عَنْ ذٰلِكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»[1].

قال القرطبي: (قوله في حديث ثوبان وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله؟ فقال: "عليك بكثرة السجود" الحديث دليل على أن كثرة السجود أفضل من طول القيام، وهي مسألة اختلف العلماء فيها: فذهبت طائفة إلى ظاهر هذا الحديث، وذهبت طائفة أخرى إلى أن طول القيام أفضل؛ متمسكين بقوله ﷺ: ((أفضل الصلاة طول القنوت))[2]. وفسروا القنوت بالقيام كما قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾[3]، ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي، والصحيح من فعل النبي ﷺ: أنه كان يطول في قيام صلاة الليل، وداوم على ذلك إلى حين موته، فدلَّ على أن طول القيام أفضل. ويحتمل أن يقال: إن ذلك يرجع إلى حال المصلي. فربَّ مصلٍّ يحصل له في حال القيام من الحضور والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، ورب مصل يحصل له في السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام، فيكون الأفضل في هذه الحال التي حصل له فيها ذلك المعنى؛ الذي هو روح الصلاة.

وأما ما جاء عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[4].

فقوله في حديث ربيعة: "أو غير ذلك" رويناه بإسكان الواو من أو، ونصب "غير" أي: أو سل غير ذلك، كأنه حضه على سؤال شيء آخر غير مرافقته؛ لأنه فهم منه أن يطلب المساواة معه في درجته، وذلك مما لا ينبغي لغيره، فلما قال الرجل: هو ذلك، قال له:

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٩.

"أعني على نفسك بكثرة السجود"، أي: الصلاة؛ ليزداد من القرب ورفعة الدرجات؛ حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها. ولا يعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب: ((ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة))، لأن هذا مثل قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم...﴾[1]، لأن هذه المعية هي النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة على مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم، وقد دل على هذا أيضًا قوله ﷺ: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب»[2])[3].

وجاء في فتح الملهم: (قيل: إن الصيغة الدالة على التفضيل إنما وردت في فضل طول القيام، ولا يلزم من فضل الركوع والسجود أفضليتهما على طول القيام. وكذلك أيضًا لا يلزم من كون العبد أقرب إلى ربه حال سجوده أفضليته على القيام، لأن ذلك إنما هو باعتبار إجابة الدعاء.

وأقربية الشيء من وجه لا تستلزم أفضليته من كل الوجوه، كما أن العبيد والمملوكين الذين يخدمون الملوك ويحضرون بين أيديهم ليلاً ونهارًا يحصل لهم نوع من قربهم ما لا يحصل للولاة والوزراء الذين يفضلونهم في مراتب الشرف ومنازل العلو بما لا يقاس، ولهؤلاء أقربية أخرى معنوية رتبية ليس لأقربيته الأولين مقدار بالنسبة إليها، وقس على هذا ألوان القرب مع الله سبحانه وتعالى، فالعبد في سجوده له لون من القرب الإلهي ليس هو في سائر أركان الصلاة، وفي قيامه ومناجاته مع الله لون آخر يفضل اللون الأول، فالمراد في حديث الباب: الأقربية من حيث بعض ألوانه، والله أعلم.

قوله: "من ربه" إلخ: أي من رحمة ربه وفضله.

قوله: "وهو ساجد" إلخ: أي: أقرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجدًا، وإنما كان في السجود أقرب من سائر أحوال الصلاة وغيرها لأن العبد بقدر ما يبعد عن نفسه يقرب من ربه، والسجود غاية التواضع وترك التكبر وكسر النفس، لأنها

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٤٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٢-٩٤.

لا تأمر الرجل بالمذلة ولا ترضى بها ولا بالتواضع، بل بخلاف ذلك، فإذا سجد فقد خالف نفسه وبعد عنها، فإذا بعد عنها فقد قرب من ربه.

قوله: "فأكثروا الدعاء" إلخ: أي: في السجود، لأنه حالة قرب، كما تقدم، وحالة القرب مقبول دعاؤها، لأن السيد يحب عبده الذي يطيعه ويتواضع له ويقبل منه: ما يقوله وما يسأله.

قوله: "ذنبي كله" إلخ: كله للتأكيد، وما بعده تفصيل لأنواعه، أو بيانه. وقوله: "دقه" إلخ: بكسر الدال، أي: دقيقه وصغيره.

قوله: "وجله"إلخ: بكسر الجيم، وقد تضم، أي جليله وكبيره، قيل: إنما قدم الدق على الجل لأن السائل يتصاعد في مسألته، أي يترقى، ولأن الكبائر تنشأ غالبًا من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها، فكأنها وسائل إلى الكبائر، ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتًا ورفعًا.

قوله: "أوله وآخره" إلخ: المقصود الإحاطة.

قوله: "وعلانيته وسره" إلخ: أي: عند غيره تعالى، وإلا فهما سواء عنده تعالى، يعلم السر وأخفى[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- الأمــر: حيث جاء في الحديث: "فعظموا فيه الرب"، "فاستهدوا"، "فأكثروا"، ومما لا شك فيه أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعـر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه والاستجابة له وقد أمر الله بهذا في القرآن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]، ومن صور استعمال القرآن الكريم، لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَقِيمُوا

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٤٦٣/٣-٤٦٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(١).

٢- الترغيب: ويتضح هذا من سياق الأحاديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين بالإيجاب حيث تقبل نفوسهم على الطاعة لما ينتظرون من الأجر والثواب، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"(٢)، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٣).

رابعًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث: "فأكثروا الدعاء"، وقوله: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، والداعية مهمته الأولى دلالة الناس على الخير وإرشادهم إلى ما ينفعهم ذلك لأن الأصل فيه دائمًا الحرص على مصلحة المدعوين وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤)، ولا زال الناس يحتاجون إلى من يدلهم على الخير ويرشدهم "فالأنبياء هم المعلمون، وبالتعليم يتم نظام العالم، والعلم الذي جاء به الأنبياء هو العلم الكاشف عن حقيقة الطريق المستقيم الموصل إلى دار السعادة" (٥)، وقد قال الرسول الكريم في فضل من يرشد إلى الخير من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من دل على خير فله مثل

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، آية : ١٢٨.

(٥) الدعوة والدعاة، على سرور الزنكلوني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ص٣٤.

أجر فاعله. أو قال عامله"[١].

خامسًا - من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالمغفرة ويكثر من الدعاء في السجود وفي هذا تواضع لله عز وجل، ومن أهم صفات الداعية أن يتواضع لله وللخلق حتى يكتب الله له القبول بين الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه"[٤]. قال النووي:(فيه وجهان "أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا)[٥].

والتواضع من أهم الصفات في حق الدعاة إلى الله تعالى: "إن التواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع ومن التواضع طيب الحديث والتبسم في وجه الناس، والرفق بهم، وعدم مؤاخذتهم بزلاّتهم وتهدئة روعهم إذا فزعوا، ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبته[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٣) سورة الحجر، آية : ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٥٤٦.

(٦) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٥٧.

الحديث رقم (١٤٢٨)

١٤٢٨- وعنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يقولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سبُّوح: مُنَّزه من الشريك وكل ما لا يليق بالألوهية[2].

قدوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق. وقيل: المبارك[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول ذكر الرسول ﷺ في السجود، والركوع، وهما من المواضع التي تدل على الذل، والخضوع بدلالة الحال مع ما تتضمن من الذل، والخضوع من دلالة المقال، وقوله (سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ) قيل: سبوح من صفات الله. وقال ابن فارس والزبيدي وغيرهما: سبوح هو الله عز و جل والمراد المسبح والمقدس فكأنه يقول مسبح مقدس. ومعنى سبوح المبرأ من النقائص، والشريك، وكل ما لا يليق بالإلهية. وقدوس المطهر من كل ما لا يليق بالخالق، وفي العبارة إيجاز بالحذف لأنهما خبران مبتدؤهما محذوف تقديره ركوعي، وسجودي لمن هو سبوح قدوس، والقدوس صيغة مبالغة من القدس، وقال الهروي: قيل القدوس المبارك، وقوله (رب الملائكة والروح) هو من صور الإطناب بعطف الخاص على العام عناية به، واهتماما؛ لأن الروح من الملائكة، وهو ملك عظيم يكون إذا وقف كجميع الملائكة. وقيل

---

(١) برقم (٤٨٧/٢٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٨٨، النهاية في (س ب ح).

(٣) المرجع السابق ٣٨٨.

يحتمل أن يكون جبريل، وقيل خلق لا تراهم الملائكة كنسبة الملائكة إلينا، والفرق بين التسبيح، والتقديس أن التسبيح للأسماء، والتقديس للآلاء، وكلاهما يؤدي إلى العظمة، وهي عبارة عميقة الدلالة من جوامع الكلم تسبح بالعبد في ربوع الملكوت ير بها عظمة ربه المسبح المقدس[1].

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء في الركوع والسجود بهذا الدعاء وبهذا الذكر[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) ينظر شرح الحديث في نيل الأوطار للشوكاني حديث (٣)

(٢) حاشية الجمل ١/٣٦٤، ٣٧٨، المغني ١/٣٠٧، سبل السلام ١/٣٣٩.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٩)

١٤٢٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قَمِن: حقيق وجدير[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول ذكر الركوع، والسجود، وهما موطنا القرب من الله تعالى، وهما من نقاط التحول في استغراق العبد مع ربه بشدة قربه، وبعده عن الدنيا بتقليل الجهات التي يقع عليها نظره وقصره على موضع السجود قصرا عمليا، وقد فصل الرسول ﷺ الذكر للمصلي فيهما، بقوله (فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ - عز وجل -) وأما تفصيلية تؤكد، وتفصل ما بعدها، وقوله (فعظموا) أمر نصح، وإرشاد لما تتم به الصلاة، والتعظيم باللسان، وبالقلب، وهو الذي يحقق غرض الخضوع، والذلة، والتعبير بلفظ الرب دون لفظ الجلالة ا(الله) لأن لفظ الرب يذكر العبد بما تستلزمه الربوبية من رعاية، وحفظ، وتربية مما يستلزم من العبد تعظيمه باستشعار باطني يوافق النطق الظاهر، وقوله (وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ) أما تفصيلية تؤكد من بعدها وقوله (فاجتهدوا) أي ابذلوا الجهد وهو استجماع القلب على الله عند الدعاء، وتفريغ القلب من الدنيا بل إن عليه أن يفرغ نفسه من هموم الدنيا قبل الدخول في الصلاة بأن يخلعها مع نعليه، قبل دخول المسجد لأن العبد إذا كبَّر عند تكبيرة الإحرام؛ فإنه يعلن

---

(١) برقم (٢٠٧/٤٧٩).

(٢) اللسان في (ق م ن).

أن الله الذي هو مقبل عليه أكبر من كل ما يشغله من أمور الدنيا، وقوله: (فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ) أي حقيق وجدير أن يستجاب لكم وهو ترغيب لهم وحث على كثرة الدعاء في هذا الموطن الفاضل.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان من طلب خير الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة(١).

٢-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذه الأدعية المأثورة(٢).

٣-الحث على الدعاء في السجود(٣).

المضامين الدعوية(٤)

---

(١) سبل السلام ١/٢٣٨.

(٢) حاشية الجمل ١/٣٧٨، المغني ١/٣٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٢٠٠.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٠)

١٤٣٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث نصا معنى أشار إليه سابقه، وهو قرب العبد من ربه في هذا الموطن، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٨٢/٢١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٥٥١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٠٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣١)

١٤٣١- وعنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في سجودِهِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دقه: قليله وصغيره[2].

جله: كثيره وكبيره[3].

الشرح الأدبي

السجود موطن القرب، ومتنزل الرحمة، والدعاء فيه أقرب ما يكون للإجابة وقوله (للهم) نداء وتضرع بهذه الصيغة ذات الخصوصية في الدعاء مع أنه قريب منه إعلانا لتوجهه بقلبه ووجدانه إلى ربه بنداء يستغرق أركان النفس فيخشع معها العظم واللحم وكل البدن وهو استغراق شامل وتهالك في الدعاء وقوله (اغفر لي) أمر قصد به الدعاء، والمغفرة هي ستر الذنوب، وطلب الرسول ﷺ للمغفرة مع أنه بلا ذنب من باب تعبد الله بموجب اسمه الغفار، مع ما فيه من تواضع وخضوع وإظهار للذلة، والافتقار، بالإضافة إلى أن الاستغفار في حد ذاته عبادة ثم استغرق بالدعاء بالمغفرة جميع الذنوب إجمالا عن طريق لفظ الشمول (كل) المضاف للضمير العائد على الذنوب، وهو إجمال تلاه تفصيل يؤكده، ويدل على حرصه على تحقق المغفرة وجاء هذا التفصيل المؤكد لما سبقه في أسلوب المطابقة بين الصفات لشمول جميع الذنوب بالمغفرة في جميع الأحوال

---

(١) برقم (٢١٦/٤٨٣).

(٢) النهاية في (د ق ق)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

(٣) النهاية في (ج ل ل)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

فقد طابق بين قوله (دقه، وجله)حتى يستوعب كبير الذنب وصغيره، وهو تعليم لنا؛ لأنه ﷺ معصوم عن الصغائر، والكبائر، وطابق بين قوله، أوله، وآخره ليستوعب الذنوب في الزمن ما مضى، وما هو حاضر، وما يستقبل؛ لأن الإنسان لا يعلم آخر ذنوبه، وطابق بين العلانية، والسر حتى يستغرق الذنب في المكان فلا يقع ذنب، في زمان، ولا مكان إلا شملته المغفرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٢)

١٤٣٢- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: افْتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ ، ذَاتَ لَيْلَةٍ[١] ، فَتَحَسَّسْتُ، فإذا هُوَ راكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ ، يقولُ: ((**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت**)) [٢].

وفي روايةٍ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**)). رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

افتقدت النبي: أي: لم أجده[٤].

فتحسَّست: تطلبته ﷺ وسألت عنه[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على حدث من بيوت النبي ﷺ ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتضمن تقرير ذكر من أذكار الرسول ﷺ في الصلاة، وقولها (افتقدت النبي ﷺ) التعبير بالفقد يشعر بعزيز غاب وهو ما يصور حالها مع الرسول ﷺ محبة، ورحمة ومعناه أنها لم تجده بجوارها في فراشه، وقولها (فتحسست) يشير إلى الحنو؛ لأن التحسس لمسة حانية باليد تبحث عن قريب في المكان، وقوله (فإذا هُوَ راكِعٌ - أَوْ سَاجِدٌ) أي أنه كان في الصلاة، وهو التوقيت الذي تؤقت للحدث به، وهو الدعاء

---

(١) عند مسلم زيادة: (فظننتُ أنَّه ذهب إلى بعض أهله).

(٢) برقم (٢٢١/٤٨٥).

(٣) برقم (٢٢٢/٤٨٦).

(٤) النهاية في (ف ق د).

(٥) اللسان والوسيط في (ح س س).

المخصوص، وهو قوله (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت) قد يَكُونَ الْمُرَادُ أنه يُسَبِّحَ بِنَفْسِ الْحَمْدِ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ الْحَمْدُ مِنْ مَعْنَى التَّسْبِيحِ، الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهُ، لاقْتِضَاءِ الْحَمْدِ نِسْبَةَ الإِفْعَالِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَفِي ذَلِكَ نَفْيُ الشَّرِكَةِ ، وقد يَكُونَ الْمُرَادُ: فَسَبِّحْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَمْدِ، فَتَكُونُ الْبَاءُ دَالَّةً عَلَى الْحَالِ وَهَذَا يَتَرَجَّحُ، لانَّ النَّبِيَّ قَدْ سَبَّحَ وَحَمَدَ بِقَوْلِهِ "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ "وَعَلَى مُقْتَضَى الْوَجْهِ الإِوَّلِ: يُكْتَفَى بِالْحَمْدِ فَقَطْ، وَكَأَنَّ تَسْبِيحَ الرَّسُولِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ دَلِيلٌ عَلَى تَرْجِيحِ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَقَوْلُهُ "وَبِحَمْدِكَ "قِيلَ مَعْنَاهُ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُ، وَهَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَذْفٌ، أَيْ بِسَبَبِ حَمْدِ اللَّهِ سَبَّحْتُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالسَّبَبِ هَهُنَا: التَّوْفِيقَ وَالإِعَانَةَ عَلَى التَّسْبِيحِ، وَاعْتِقَادَ مَعْنَاهُ، وقوله في الرواية الأخرى (اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) يقوم الدعاء على الطباق والمعنى يدور على التعوذ، وهو مقام مختلف في الإحساس عن موقف الثناء السابق، وقد طابق بين قوله: (رِضَاكَ وبين سَخَطِكَ، في عياذ من الثاني بالأول، وبين معَافَاة، والعُقُوبة، في إشارة إلى طلاقة القدرة بين العقاب أو العفو، كما يقرر أنه الملجأ والملاذ (وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ)إذا أحتاج العبد بعد الوقوع في الذنب إلى من يجيره من عقابه فليس له غيره، ثم ضمنه الاعتراف بالتقصير في شكره مهما جد في ذلك.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- حكم نقض الوضوء بلمس المرأة: ذهب الشافعية والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء مطلقًا[1] وروي ذلك عن ابن مسعود ، وابن عمر، والزهري، وزيد بن أسلم، ومحكول، ويحيى الأنصاري وربيعة والأوزاعي، وسعيد بن عبدالعزيز[2].

---

(١) مغني المحتاج ١/١٤٤-١٤٥، حاشية الجمل ١/٦٩-٧٠، المغني ١/١٢٤.

(٢) المغني ١/١٢٤.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1] أي لمستم حيث قرئ به فعطف اللمس على المجيء من الغائط ورتب عليهما الأمر بالتيمم عند فقد الماء فدل على أنه حدث كالمجيء من الغائط لا جامعتم لأنه خلاف الظاهر إذ اللمس لا يختص بالجماع[2].

ويناقش هذا بأن المراد باللمس في الآية الجماع كما قال ابن عباس وهو ترجمان القرآن[3].

وذهب الحنفية، والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقًا وروي ذلك عن علي، وابن عباس، وعطاء، وطاووس، والحسن، ومسروق[4]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن هذه الحادثة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقبل بعض نسائه ثم يخرج للصلاة ولا يتوضأ، ولأن اللمس ليس بحدث ولا سبب لوجود الحدث فأشبه مس الرجل الرجل والمرأة المرأة[5].

وذهب المالكية، والحنابلة في المشهور إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء إذا كان بشهوة، ولا ينقض إن لم يكن بشهوة، وهذا قول علقمة، وأبي عبيدة والنخعي، والحكم، وحماد، والثوري، وإسحاق، والشعبي[6]. واستدلوا على ذلك بأنه لمس بغير شهوة لم ينقض كلمس ذوات المحارم يحققه أن اللمس ليس بحدث في نفسه وإنما لأنه يفضي إلى خروج المذي أو المني فاعتبرت الحالة التي تفضي إلى الحدث فيها وهي حالة الشهوة[7].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٣.
(٢) مغني المحتاج ١/١٤٤.
(٣) بدائع الصنائع ١/٣٠.
(٤) بدائع الصنائع ١/٣٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ١/١٢، المغني ١/١٢٣-١٢٤.
(٥) بدائع الصنائع ١/٣٠.
(٦) مواهب الجليل ١/٢٩٦، حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/١٤٢-١٤٣، المغني ١/١٢٣-١٢٤، شرح منتهى الإرادات ١/٧٣.
(٧) المغني ١/١٢٤-١٢٥.

والراجح هو رأي المالكية، والحنابلة.

٢-حكم نصب القدمين في السجود: اتفق الفقهاء على استحباب نصب القدمين في السجود، وأن يكون السجود على أطراف أصابع رجليه ويثنيهما إلى القلة ويسجد على صور قدميه[١].

٣-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذا الدعاء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فتحسست فإذا هو راكع أو ساجد يقول: "سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت" "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك..." ومما لا شك فيه أن هذا يدل على حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود، قال الإمام النووي "وقوله: " لا أحصى ثناء عليك" أى لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل: لا أحيط به وقال مالك معناه: لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك، وقوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" إعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى الله ﷻ المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما

---

(١) بدائع الصنائع ١٠٥/١، حاشية رد المحتار ٤٤٧/١، حاشية العدوى ٢٧٠/١، الفواكه الدواني ١٨٢/١، أسنى المطالب ١٦٠/١، حاشية الجمل ٢٧٦/١، المغني ٣٠٦/١، كشاف القناع ٢٥٠/١-٢٥١.

(٢) حاشية الجمل ٢٧٨/١-٢٧٩.

أنه لانهاية لصفاته لانهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ"[1].

هذا وقد تواترت الكثير من أحاديث النبي ﷺ التي تبين مدى حرصه على الدعاء والذكر في الركوع والسجود فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"[2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"[3].

قال القرطبي: (وقوله: "لا أحصي ثناء عليك" أي: لا أطيقه. أي: لا أنتهي إلى غايته، ولا أحيط بمعرفته؛ كما قال ﷺ مخبرًا عن حاله في المقام المحمود حين يخر تحت العرش للسجود قال: «فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهَا إلا أنْ يُلْهِمُنِيهَا اللّه»[4]. وروى عن مالك: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء عليك، وإن اجتهدت في ذلك. والأول أولى لما ذكرناه. ولما جاء في نص الحديث نفسه: "أنت كما أثنيت على نفسك"، ومعنى ذلك اعتراف بالعجز عن أداء وفهم ما يريده الله من الثناء على نفسه، وبيان صمديته، وقدوسيته، وعظمته، وكبريائه، وجبروته ما لا يُنتهي إلى عدّه، ولا يوصل إلى حدّه، ولا يحصِّله عقل، ولا يحيط به فكر، وعند الانتهاء إلى هذا المقام انتهت معرفة الأنام؛ ولذلك قال الصديق الأكبر: العجز عن درك الإدراك إدراك. وقال بعض العارفين في تسبيحه: سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته)[5].

قال الطيبي: (قوله: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك"،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٩٤، ومسلم ٤٨٤ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤١٠، ومسلم ١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٠.

وفي رواية أخرى بدأ بالمعافاة ثم ثنى بالرضا، وإنما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة لأنها من صفات الأفعال كالإماتة، والإحياء، والرضى، والسخط من صفات الذات،وصفات الأفعال أدنى رتبة من صفات الذات، فبدأ بالأدنى مترقيًا إلى الأعلى، ثم لما ازداد يقينًا وارتقى ترك الصفات، وقصر نظره على الذات فقال: "أعوذ بك منك". ثم لما ازداد قربًا استحى من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء، فقال: "لا أحصى ثناء عليك"، ثم علم أن ذلك قصور فقال: "أنت كما أثنيت على نفسك"، وأما على الرواية الأولى فإنما قدم الاستعاذة بالرضى من السخط، لأن المعافاة من العقوبة يحصل بحصول الرضاء، وإنما ذكره لأن دلالة الأول عليها دلالة تضمن، فأراد أن يدل عليها دلالة مطابقة، فكنى عنها أولاً، ثم صرح بها ثانيًا، ولأن الرضى قد يعاقب للمصلحة، ولإستيفاء حق الغير.

وقوله: "لا أحصى ثناء عليك": أي لا أطيق أن أثنى عليك كما تستحقه وتحبه، بل أنا قاصر عن أن يبلغ ثنائي قدر استحقاقك، "أنت كما أثنيت على نفسك" كقولك سبحانك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وما أشبه ذلك من الآيات التي حمدت نفسك فيها.

أقول: أصل الإحصاء العد بالحصى، والإحصاء التحصيل بالعدد، يقال: أحصيت كذا من لفظ الحصى، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدون عليها بالعد، كاعتمادنا فيه على الأصابع؛ فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[2]. أي: لن تحصوا ذلك، ووجه تعذر إحصائه وتحصيله هو أن الحق واحد، والباطل كثير، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالمرمى من الهدف، فإصابة ذلك شديدة.

أقول: وإذا علم ذلك فنقول: إن "ما" في قوله: "كما أثنيت" يجوز أن يكون

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤).

موصوفة، وأن يكون موصولة، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[1]، أي: الحكيم الباهر الحكمة سوّى هذه النفس العجيبة الشأن، والكاف بمعنى مثل، كالمثل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[3]، والمراد أي: أنت الذات التي لها صفات الجلال والإكرام، ولها العلم الشامل والقدرة الكاملة، يعلم بالعلم الشامل صفات جلالك وإكرامك، وتقدر بقدرتك الكاملة أن تحصى ثناء نفسك، فنفى في قوله: "لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" القدرة والعلم عن نفسه، عجزًا واعترافًا بالقصور، وأثبتهما في قوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" لله عز وجل إعظامًا وإجلالاً، وذلك أن صفات الجلال والإكرام لا نهاية لها، فلا يدركها ولا يطاق إلا بعلم وقدرة لا نهاية لهما. وهذا الثناء يجوز أن يكون بالقول، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، وبالفعل كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[5]، قالوا: ما أثنى الله على نفسه تعالى فهو في الحقيقة إظهار فعله، محمدة لنفسه من بث آلائه، وإظهار نعمائه، بمحكات أفعاله، والله أعلم)[6].

جاء في فتح الملهم: (وقوله "لا أحصي ثناءً عليك" أي لا أطيق أن أعدّ وأحصر فردًا من أفراد الثناء الواجب لك عليّ في كل لحظة وذرة، إذ لا تخلو لمحة قط من وصول إحسان منك إليّ، وكل ذرّة من تلك الذرات لو أردت أحصي ما في طيّها من النعم

---

(١) سورة الشمس، آية: ٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٤) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢/٣٤٠، ٣٤١.

لعجزت، لكثرتها جدًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(١) فأنا العاجز عن قيام شكرك، فأسألك رضاك وعفوك.

قوله: "على نفسك" إلخ: أي: على ذاتك ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢))(٣).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن الرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة لنا جميعًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٤)، وإذا كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله في ركوعه وسجوده ويتطلع إلى مرضاته والثناء عليه فواجب المسلم أن يكون كذلك، قال النووي: "ومعنى استعاذته ﷺ الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"، وقال الخطابي: "وفي استعاذته ﷺ وسؤاله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته معنى لطيف حيث إن الرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله ﷻ استعاذ منه لاغير" ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه(٥)، هذا وقد جعل الله في طاعته واتباعه ﷺ الهداية والفلاح قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾(٧).

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٣/٤٦٩-٤٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٨٨.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٧) سورة النور، آية: ٥٤.

والواجب على المسلم الاقتداء بالرسول ﷺ في المحافظة على الأذكار والأدعية، قال ابن القيم: (فإذا فرغ من صلاة الصبح أقبل بكليته على ذكر الله، والتوجه إليه بالأذكار التي شرعت أول النهار؛ فيجعلها وردًا له لا يخل بها أبدًا، ثم يزيد عليها ما شاءَ من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاءَ ركع ركعتى الضحى وزاد ما شاءَ، وإن شاءَ قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعًا إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامنًا عليه متصرفًا فى مرضاته بقية يومه، فلا ينقلب إلا فى شيء يظهر له فيه مرضاة ربه، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قَلَبه عبادة بالنية، وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب.

وبالجملة فيقف عند أول الداعى إلى فعله، فيفتش ويستخرج منه منفذًا ومسلكًا يسلك به فينقلب فى حقه عبادة وقربة، وشتان كم بين هذا وبين من إذا عرض له أمر من أوامر الرب لا بد له من فعله وفتش فيه على مرادٍ لنفسه وغرضٍ لطبعه، ففعل لأجل ذلك، وجعل الأمر طريقًا له ومنفذًا لمقصده، فسبحان من فاوت بين النفوس إلى هذا الحدّ والغاية، فهذا عباداته عادات، والأول عاداته عبادات.

فإذا جاءَ فرض الظهر بادر إليه مكملاً له ناصحًا فيه لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذى قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما، فهو لا يبقى مجهودًا، بل يبذل مقدوره كله فى تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحى العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون فى عمله هكذا، وهو يرى المحبين فى أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون فى إيقاعها على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة، ومن أنصف نفسه وعرف أعماله استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلا فعله.

وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه فى جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفى هذا

المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل وكان النبى ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[1]. قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2])[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يؤخذ هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في طاعة الله، والحرص على مرضاته: "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخفيه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي والمطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[4].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[5]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٨٦.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٦) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

الحديث رقم (١٤٣٣)

١٤٣٣- وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقَالَ: ((أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ!)) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: ((يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ ألْفُ حَسَنَةٍ، أوْ يُحَطُّ عَنْهُ ألفُ خَطِيئَةٍ)). رواه مسلم[1].

قَالَ الحُمَيْدِيُّ[2]: كذا هُوَ في كتاب مسلم: ((أَوْ يُحَطُّ)).

قَالَ البَرْقاني: ورواه شُعْبَةُ وأبو عَوَانَة، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عن موسى الَّذي رواه مسلم من جهتِهِ فقالوا: (ويحط) بغير ألِفٍ[3].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

ترجمة الراوي:

يُحَطُّ: يُسقط ويُمحى[4].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الذكر، وهو أيسر الأبواب لكسب الحسنات الكثيرة التي بها يكون العبد من أغنياء الآخرة الذين ليس لهم عملة إلا الحسنة لأن التعامل في الآخرة يكون بالحسنة، أو السيئة، وأسلوب الحديث يقوم على الاستفهام التشويقي بالأمر المحبب، وهو كسب ألف حسنة، لاسيما أن المخاطبين هم الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على تحصيل الحسنات (أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ!) أي لا يعجز أحدكم أن يكسب ألف حسنة، والاستفهام الذي

---

(١) برقم (٢٦٩٨/٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٩).

(٢) الجمع بين الصحيحين (١/١٩٩).

(٣) بنصه في الترغيب للمنذري (٢/٤٠٦).

(٤) النهاية في (ح ط ط).

صدر من السائل كان صدى لاستفهام الرسول ﷺ (كَيْفَ يَكْسِبُ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟) وهذه الاستفهامة بذكر الأجر نصا فيها تعكس لهفته على ما يوصله إليها، وهو أسلوب راقٍ من النبي ﷺ في التمكين للمعنى في وجدان المخاطبين، وقوله في إجابته (يسبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ) والمقابلة بين الكتابة، والحط تؤكد حصول أحد الأجرين، كما أن التعبير بالكتابة يوحي بالثبات، والتحقق، والتعبير بالحط يوحي بزوال ثقل عن حامله، و(أو) معناها التنويع بمعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه خطيئة، وإن كانت عليه فيحط بعض، ويكتب بعض، ويمكن أن تكون، أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما، وفضل الله أوسع من ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف سنة"، وأسلوب الحوار والاستجواب من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو وتحرك فكره وعقله، وتخلق فيه روح المشاركة والحوار، "ولقد كان النبي ﷺ يكثر من الأساليب الحواريةِ والاستجوابية مع أصحابه ومع من يلتقي بهم حين كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى وما ذلك إلا يثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[1].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٧.

ثانيًا- من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة"، والداعية الحكيم الموفق هو الذي يستطيع أن يخلق روح التنافس في نفوس المدعوين لتكون عندهم همة عالية نحو الطاعة وهذا ما علمنا الله إياه من الحث على المسارعة والمسابقة إلى الخيرات للفوز بالجنة والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. ومدح الله سبحانه أنبياءه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[3]. وحث الله على التنافس لنيل الجنة فقال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[4].

قال السعدي: "وفي ذلك النعيم المقيم الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله فليتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال"[5]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: "وعلو الهمة مندوب إليه في العبادة والاستقامة ولقد فقه سلفنا الصالح عن الله أمره وتدبروا في حقيقة الدنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وارتفعت همتهم عن سفاسفها، فلا تراهم إلا صوامين قوامين وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات"[6].

قال العز بن عبدالسلام: (التنافس في الطاعات: طلب أنفسها وأفضلها. ومن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٨٤٧.

(٦) موسوعة نضرة النعيم ٢٩٨٩/٧.

المأمورات الباطنة للعبد طلب الحرص على طاعة الله فالحرص يشرف بشرف المحروص عليه، ومراتبه في الشرف مبنية على مراتبه، فالحرص على المعرفة والإيمان أفضل من كل حرص لأنه وسيلة إلى أفضل الأعمال وأشرفها، ومن المأمورات الباطنة للعبد الحزن على فوات الطاعات. قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1]، فالحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها لأن المرء لا يحزن إلا على ما عزَّ عليه)[2].

ولا يخفى أن نجاح الداعية يتوقف على مدى تأثيره في نفوس المدعوين وإثارة روح الإقبال على الطاعة مما يكون له أثره الحميد على الفرد والمجتمع.

"يترتب على وجود مبدأ التسابق في الخيرات في الحياة الإسلامية الكثير من المصالح الدنيوية والأخروية للفرد والمجتمع، في وقت واحد.

١- سترتفع المعاصي من المجتمع، فالكل يتسابق في فعل الخير، والكل يبحث عن خير، يرتفع به عن الآخرين، ومن باب أولى فالكل يعمل على البعد عن الخطايا، والذنوب.

وهذه الفائدة لا يستهان بها، فكون المعاصي ارتفعت من المجتمع يعني أن الخيرات تواجدت في كل مكان، وهذا أمر يريد منا الإسلام أن نصل إليه.

٢- أن بالتسابق في الخيرات سيشعر كل فرد أنه مسئول عن إصلاح شأنه، والتحلي بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وأنه مطالب بالتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

وهذا يعني صلاح الفرد، وفي صلاح كل فرد ونقائه، صلاح كل المجتمع وطهارته من كل خبيث.

٣- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني شيوع المحبة بين أبناء المجتمع، وهذا مما يساعد على استقرار المجتمع، وأمنه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٦٥-٦٧.

٤- التسابق في الخيرات، سيجعل من كل فرد يعمل على إجادة عمله، والتفنن فيه، مما يساعد على زيادة الإنتاج، فيحيا المجتمع حياة سعيدة، وعيشة هنيئة.

٥- التسابق في الخيرات سيجعل من أبناء المجتمع متراحمين، لأن كل منهم يتسابق في كسب ود أخيه ومحبته، والعمل على سروره، وبهجته.

وإذا تراحم أبناء المجتمع شاعت بين أفراده المحبة والسرور، وارتفعت البغضاء والخصام، وعاش الجميع يعمل الخير ويتسابق عليه.

٦- التسابق في الخيرات سيحرك همم أفراد المجتمع للعمل للآخرة، والبعد عن ما يجلب الخسارة، فيشعر المرء بمعنى التسابق في الخيرات الباقية، لا الخيرات الفانية.

٧- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني التخلي عن الحقد والحسد، والبعد عن البغضاء والشحناء.

وفي كل ذلك خلاص المجتمع من آفات عظيمة، وأمراض سقيمة.

٨- أن المجتمع ستأتي عليه اللحظة التي يشعر فيها أنه يستطيع أن يكون على قلب رجل واحد، وهذا من المعاني الطيبة التي تراد في الإسلام.

٩- أن التسابق في الخيرات سيجعل من السهل على المسلمين الذين اجتمعوا من قبل في الخيرات أن يقفوا صفًا واحدًا أمام كل محنة وبلاء.

١٠- سيخلوا المجتمع من البطالين، والعاطلين بعد أن وجد كل منهم طريقه السليم، وعمله الدائم الذي لا يفارقه سواء كان يعمل أولاً، صحيحًا أو مريضًا، فالتسابق في الخيرات قد فتح أمام الكل آفاق أوسع، وأشمل لمعنى كلمة الحياة[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "كيف يكسب ألف حسنة"، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجعه على السؤال والاستفسار، وقد أمر الله تعالى بالسؤال فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

---

(١) المسابقة إلى الخيرات، مجدي فتحي السيد، ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

"وعلى حامل الرسالة الدعوية أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، محترمًا لأسئلة السائلين ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن، وإذا لم تحضره الإجابة الصحيحة على السؤال فلا يجوز له أن يجيب بغير علم، وليحذر أشد الحذر من ذلك فإن أجاب بغير علم عرّض نفسه للسقوط من الاعتبار والاحترام والتقدير بين الناس، وعرّض نفسه لسخط الله وغضبه"(١).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح:

حيث جاء في الحديث: "يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة"، قال المباركفوري: "ويحصل الإنسان على ألف حسنة من مائة تسبيحة لأن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها، وهو أقل المضاعفة الموعودة في القرآن، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٢)، وفي قوله "وتحط" قال القاري: "كأن المعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه فيحط بعض ويكتسب بعض ويمكن أن تكون أو بمعنى الواو أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما وفضل الله أوسع من ذلك"(٣).

قال ابن حجر: (التسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عمّا لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل. ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وجماع معناه)(٤).

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/ ٦٠.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.
(٣) تحفة الأحوذي ٢/ ٢٤٦٥.
(٤) فتح الباري ١١/ ٢١٠.

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَالْحَمْدُ للّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَاللّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[١].

ومن فوائد التسبيح أنه يصل المؤمن بربه، ويعمق الإيمان في القلب بالاستحضار الدائم لعظمة الله، ووسيلة قربى إلى الله واستزادة من فيض عطائه، ووسيلة الفقراء في إدراك درجات ثواب الأغنياء، وصدقة على جوارح الإنسان، ومن الوسائل العالية في تحصيل الثواب، والتحلي به يؤدي إلى الجنة والرضوان وفيه كسب لحب الله ومرضاته، ويبقى اللسان رطبًا بذكر الله[٢].

وقال الفيروز آبادى: (والتسبيح: تنزيه الله تعالى، وأصله المَرّ السّريع في العبادة. وجُعل ذلك في فعل الخير، كما جُعل الإبعاد في الشرّ، فقيل: أبعده الله. وجُعل التسبيح عامًا في العبادات، قولاً كان أو فعلاً أو نية. وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[٣].

وقوله تعالى: "تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن" ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[٤]. وذلك يقتضي أن يكون سجودًا على الحقيقة، وتسبيحًا له على وجهٍ لا نفقهه، بدلالة قوله: "ولكن لا تفقهون"، ودلالة قوله: "ومن فيهن" بعد ذكر السماوات والأرض. ولا يصح أن يكون تقديره: يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض، لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله: "ومن فيهن".

والأشياء تسبح وتسجد، بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف أن السماوات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير، من حيث إن أحوالها تدل على حكمة

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١٠٠٣/٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

الله تعالى، وإنما الخلاف في السماوات والأرض هل تسبح باختيار، والآية تقتضي ذلك.

وسبحان الله أي تنزيهًا لله من الصاحبة والولد. وهي معرفة ونصبها على المصدر، أي أبرئ الله من السوء براءة، أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته. وسبحان من كذا: تعجب منه. وأنت أعلم بما في سبحانك، أي: بما في نفسك. وسبح تسبيحًا: قال: سبحان الله. وسبوح قدوس - وقد يفتح أولهما - من صفات الله تعالى؛ لأنه يسبح ويقدس.

وتسبيح نبينا محمد ﷺ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1].

وقد ذكر الله تعالى (سبحان) في القرآن في خمسة وعشرين موضعًا، في ضمن كل واحد منها إثبات صفة المدح، ونفي صفة من صفات الذم[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/١٧٢-١٧٦ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٤)

١٤٣٤- وعن أَبي ذر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وامْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيجْزِئُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول ﷺ أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه ، وقوله (وَيُجْزِيء مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٨٤/٧٢٠)، وتقدم برقم (١١٨)، و (١١٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨، ١١٤٢).

الحديث رقم (١٤٣٥)

١٤٣٥- وعن أم المؤمنين جُويْرِيَةَ بنت الحارث رضي الله عنها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِها ، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ ، فقَالَ: ((مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارقْتُكِ عَلَيْهَا ؟)) قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: ((سُبْحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

وفي رواية الترمذيِّ[3]: ((ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا ؟ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٤٧٩).

غريب الألفاظ:

بكرة: البكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس[4].

مسجدها: موضع صلاتها[5].

---

(١) برقم (٢٧٢٦/٧٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٢٩).

(٢) لمسلم بعد حديث رقم (٢٧٢٦/٧٩ ، بدون رقم). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٣) برقم (٣٥٥٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٤) المعجم الوسيط في (ب ك ر).

(٥) اللسان في (س ج د).

أضحى: دخل في وقت الضحى[١].

لوزنتهُنَّ: لفاقتهُنَّ في الوزن [٢].

مِدادَ كلماتِه: مثل عددِها وكثرتها؛ وقيل: قَدْرَ ما يُوازيها في الكثرة عِيارَ كيلٍ أَو وزن أَو عَدَد أَو ما أَشبهه من وجوه الحصر والتقدير؛ قال ابن الأَثير: وهذا تمثيل يراد به التقدير لأَن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن وإِنما يدخل في العدد[٣].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، ويحكي بأحداثه مدى حرص الثلة الطاهرة من أصحاب النبي ﷺ على كل خير أخروي مهما كان بسيطا كحرصنا اليوم على كل خير دنيوي، مهما كان بسيطا، فأم المؤمنين جويرية بنت الحارث ظلت على حالة الذكر لله حتى أضحت، وعاد النبي ﷺ فوجدها على حالها، فسألها إيناسا لها، وتلطفا بها، وتمهيدا لتعليمها المزيد لما وجد عندها من شدة الحرص على ما يقربها من الله تعالى : (ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها؟) ثم يُلقى على سمعها جملا من التشويق تبعث في نفسها الطامحة علامات الترقب، وتبلغ بدرجة الانتباه لديها منتهاها (لقد قلت بعدك كلمات - ثلاث مرات - لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن - سبحان الله، وبحمده، عدد خلقه، ورضي نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) وأي شيء يساوى عدد خلق الله؟ أو يبلغ رضى نفسه، أو يزن عرشه، أو يبلغ مداد كلماته، قال النووي: قوله : (مداد كلماته) قال: العلماء: واستعماله هنا مجاز؛ لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد، ولا غيره، والمراد: المبالغة به في الكثرة؛ لأنه ذكر أولا ما يحصر العدد الكثير من خلق الله، ثم زنة عرشه، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك، إنها كنوز هي نفسها مثال لبساطة العمل في انبساط

---

(١) النهاية في (ض ح ى)، ودليل الفالحين ١٤٩٦.

(٢) الوسيط في (و ز ن).

(٣) النهاية واللسان في (م د د).

لثواب غير محدود للأجر، وعلى الجملة: فإن باب الذكر من أيسر الأبواب مؤنة؛ وأعظمها ثواباً.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

الحديث دليل على فضل هذه الكلمات، وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

أولاً - من ميادين الدعوة: المسجد:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، مما لا شك فيه أن المسجد من أهم ميادين الدعوة لأنه مكان العبادة اليومية والصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3]، وحرص الرسول ﷺ على بناء المساجد فعند وصوله المدينة المنورة مهاجرًا كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء وما إن حطت رحاله داخل المدينة إلا وبدأ في إقامة مسجده الشريف بل وشارك ﷺ مشاركة فعلية في بناء المساجد.

قال د. البوطي: "فقد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة

---

(١) سبل السلام ٤/٢٧٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين، الأنصار والمهاجرين الذي جمعتهم المدينة المنورة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر: بناء المسجد.

ولا غرو ولا عجب، فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما كان يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه. وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين. ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميًا، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم.

إن من نظام الإسلام وآدابه، أن تشيع روح المساواة والعدل فيما بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم. ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن يتم ما لم يتلاق المسلمون كل يوم صفًا واحدًا بين يدي الله عز وجل، وقد وقفوا على صعيد مشترك من العبودية له، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد جلّ جلاله، ومهما انصرف كل مسلم إلى بيته يعبد الله ويركع له ويسجد دون وجود ظاهرة الاشتراك والاجتماع في العبادة، فإن معنى العدالة والمساواة لن يتغلب في المجتمع على معاني الأثرة والتعالي والأنانية.

وإن من نظام الإسلام وآدابه، أن ينصهر أشتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه، ولكن ما لم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بهما عن معرفة وعلم، فإن وحدتهم تؤول إلى شتات، وسرعان ما تفرقهم عن بعضهم الشهوات والأهواء.

فمن أجل تحقيق هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة، أسرع رسول الله ﷺ قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد"[1].

---

(١) فقه السيرة ٢١٣ - ٢١٤.

ومن خلال هذا يتضح أن المسجد ميدان هام من ميادين الدعوة، "إن المسجد مكان عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح والعبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وأخراه، ومن المسجد تحصل منافع كثيرة لدعوة الإسلام من خلال الحصول على العلم وطلبه، وتحقيق الإخاء والمحبة من خلال التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد، والبلاغ عن الدين لمن يأتي إلى المسجد وتعليم القرآن والحديث وإعداد الدعاة الذين يحملون الدعوة لناس كافة"(١).

جاء في الموسوعة الفقهية: "وأما بناء المساجد وعمارتها ووظائفها فإنه يجب بناء المساجد في الأمصار والقرى والمحال -جمع محلة- ونحوها حسب الحاجة وهو من فروض الكفاية.

والمساجد هي أحب البقاع إلى الله تعالى في الأرض وهي بيوته التي يوحّد فيها ويعبد، يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾(٢).

قال ابن كثير: "أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها. كما قال ابن عباس: نهى الله سبحانه عن اللغو فيها، وقال قتادة: هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها و عمارتها ورفعها وتطهيرها. وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: مكتوب في التوراة ألا إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر"(٣).

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ))(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْمَسَاجِدِ أَنْ تُبْنَى فِي الدُّورِ،

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ١٩٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩٣/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

وَأَنْ تُطَهَّرَ وَتُطَيَّبَ))[(١)].

وقد بنيت المساجد لذكر الله والصلاة فيها كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: ((إنَّ هذهِ المساجدَ لا تَصلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هِيَ لِذكْرِ الله تَعَالَى والصلاةِ وقراءَةِ القرآنِ))[(٢)]. فهي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه[(٣)].

وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٤)].

ولذا يستحب لزومها والجلوس فيها لما في ذلك من إحياء البقعة وانتظار الصلاة، وفعلها في أوقاتها على أكمل الأحوال"[(٥)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه:

حيث جاء في الحديث: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)، وهذا ذكر له وثناء عليه سبحانه وفي هذا فضل كبير وأجر عظيم.

قال النووي: "والمراد بـ (مداد كلماته) مثلها في العدد، وقيل: مثلها في أن لا تنفد، وقيل: في الثواب، قال العلماء: واستعمله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره والمراد: المبالغة به في الكثرة لأنه ذكر أولاً ما يحصره العد الكثير من عدد

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٥٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٩٣/٣.

(٤) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٩٥/٢٧ - ١٩٦.

الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أي ما لا يحصيه عد، كما لا تحصى كلمات الله"[١].

وقال المباركفوري: "والحديث دليل على فضل هذه الكلمات وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور ولا يتجه أن يقال: إن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله وأرشدهم ودلهم عليه تخفيفًا لهم وتكثيرًا لأجورهم من دون تعب ولا نصب"[٢]، وقال تعالى في فضل الذاكرين: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

هذا والواجب على المسلم أن يكثر من ذكر الله تعالى، "ولقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا وينفث شذى، تغمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس.

ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته، وأكد لهم ذلك بقوله وفعله، فكان أعظم الناس ذكرًا، وأشدهم دعاء، وأكثرهم ثناء، فسار الصالحون على نهجه، واقتفى العُباد أثره، فأثمر الذكر في حياتهم، وارتفعت به درجاتهم، وعظمت مكانتهم.

لقد كان كثير من العباد بمجرد أن يسمع أحدهم ذكر خالقه يرتجف خوفًا ويطرب شوقًا لسماع الحبيب:

وَداعٍ دَعَا إذْ نَحْنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنىً ... فَهَيَّجَ أَطْرابَ الفُؤادِ ولَمْ يدْرِ
دَعَا باسْمِ لَيْلَى غَيْرِها فكأنَّما ... أطَارَ بِلَيْلَى طائِرًا كانَ في صَدْري

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٦٠١.

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٠٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

وقال الربيع بن أنس عن بعض أصحابه: علامةُ حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره.

وقال فتح الموصلي: المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

وقال ذو النون: من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل إلا أفاد منه حب الله، وكان بعض السلف يقول في مناجاته: إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأما فلسفة الذكر: فليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصر على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا هم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. وقال بعض السلف: ليس الذاكر من هَمْهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقًا ولم يعط إلا حقًا.

يا طول حزن الغافلينا ... عن ذكر رب العالمينا

يا هضمهم يومًا يرون ... ثواب ذكر الذاكرينا

ستطول حسرتهم لما ... كانوا به متشاغلينا

يتحسرون على فوات ... من فعال الطائعينا

يا حسرة يصلون ... جمرتها خزايا نادمينا [1]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، قال ابن عبدالبر: "هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ، زوج النبي ﷺ سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع وهو غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها وكانت امرأة جميلة، وكان اسمها برة فغير رسول الله ﷺ اسمها وسماها جويرية"[2].

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٣٤ - ٣٤٣ بتصرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٨٠.

وقال ابن الجوزي: "تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية ست وخمسين وهي بنت خمس وستين"[١].

وقال ابن حجر: "ولما تزوجها رسول الله ﷺ قال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، قالت عائشة رضي الله عنها: "فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها، وروت جويرية عن النبي ﷺ أحاديث"[٢].

قال محب الدين الطبري: "تزوجها النبي ﷺ، وكانت قبله تحت مُشافع بن صفوان -المصطلقي- وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس -الأنصاري- في غزاة بني المصطلق، فكاتبها. وعن ابن شهاب قال: سبى رسول الله ﷺ جويرية يوم "المريسيع" فحجبها وقسم لها. قال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة. قال غيره: وهي ابنة عشرين سنة"[٣].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، أو ابنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ))[٤].

ولقد كانت رضي الله عنها أصغر سنًا من رسول الله ﷺ، وُلِدت جويرية في السنة التاسعة قبل الهجرة (٦١٠م) فهي أصغر سنًا من رسول الله ﷺ بأربع وأربعين سنة.

تزوجت جويرية في سن مبكرة من عمرها، وهي في منتصف العقد الثاني من عمرها، وكان زواجها من مسافع بن صفوان أحد فتيان خُزاعة.

وبعد أن سبيت في غزوة بني المصطلق وتزوجها رسول الله ﷺ عاش رسول

---

(١) صفة الصفوة ٣٦٥/١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ص ١٦٦٠.

(٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، الإمام محب الدين الطبري، اعتناء وتعليق عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٣٥-١٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٣١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٧).

الله ﷺ مع جويرية رضي الله عنها خمس سنوات، ثم انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. وعاشت هي بعده راضية مرضية مُنعمة عند الجميع مدة خمس أربعين سنة إذ توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في المدينة المنورة، وصلّى عليها أمير المدينة يومذاك مران بن الحكم.

وروى الحديث عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وجابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، وروى عنها من بعدهم: كريب مولى عبدالله بن عباس، ومجاهد، والطفيل ابن أخيها، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي"[1].

---

(١) انظر: أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، محمود شاكر، ط١ المكتب الإسلامي، ص ١٨١-١٩٠ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٦)

١٤٣٦- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ ، قَالَ: ((مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)). رواه البخاري[1].

ورواه مسلمٌ[2] فَقَالَ: ((مَثَلُ البَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بينت الأحاديث السابقة فضل الذكر، ورغبت فيه، وأشارت إلى عظمة الأجر الذي يترتب عليه مع قلة الكلفة، وهذا الحديث يقرر أثر الذكر على قلب الإنسان، ويقوم المعنى على أسلوب التشبيه الذي يشبه الذاكر لربه بالحي، والذي لا يذكره بالميت، وحاصل الصورتين تشبيه الذكر بالروح، لأنها الفارقة بين الحي، والميت، وبها كل حركة الحي مما يشير إلى أهمية الذكر في حركة القلب، والذي يحرك بدوره الجوارح في طاعة الله ، وتشبيه الذاكر بالحي يشير إلى النفع، والنصرة، والإفادة بعكس الميت الذي لا يفيد ولا ينفع بل لا يزيده البقاء إلا نتنا ، وإيذاءً لمن حوله كما أنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه عادية عادٍ، وفائدة التشبيه بالميت، والحي الترغيب في الذكر، والترهيب، والتنفير من تركه، وفي الرواية الثانية تشبيه للبيت الذي يذكر الله فيه، والذي لا يذكر فيه بالحي، والميت (مَثَلُ البَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)، والبيت لا يوصف بالحياة، والموت حقيقة، والذي يوصف بهما هو الساكن فيكون هذا من قبيل المجاز بذكر المحل، وإرادة

---

(١) برقم (٦٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

(٢) برقم (٧٧٩/٢١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

الحال ، ووجه الشبه بين الذاكر، والحي الاعتداد به والنفع، والنصرة، ونحوها، وبين تارك الذكر، والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن، وهو تنفير من عدم ذكر الله في البيوت؛ لأن الذكر يطرد عنها الشيطان، وتعمها السكينة من الملائكة الطوافون الذي يلتمسون حلق الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال الطيبي: "وأما قوله: (مثل الذي يذكر ربه) شبه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، وبالتصرف التام فيما يريد، وباطنه منوّر بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مزين ظاهره بنور العمل والطاعة، وباطنه بنور العلم والمعرفة، فعليه مستقر في حظيرة القدس، وسره في مخدع الوصل، وغير الذاكر عاطل ظاهره، وباطل باطنه"[١].

وأسلوب ضرب المثل من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى إلى المدعو، "ومن أغراض ضرب المثل تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، والإقناع بفكرة من الأفكار، والترغيب بالتزيين والتحسين أو التنفير بكشف جوانب القبح، ومن أغراضه أيضًا شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر"[٢].

وأسلوب ضرب المثل يقنع المدعو فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٢٢/٤.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١١٩ - ١٢٠.

الحسية، "إن ضرب المثل يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم وهو يحرك العواطف والوجدان فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات"[١].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب ضرب المثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال ابن حجر: "والمراد بالذكر هنا: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها والذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل.

فإن انضاف إلى ذلك استحضار معني الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائض عنه ازداد كمالاً فإن وقع ذلك في عمل صالح مهمًا فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقد وقع في رواية مثل البيت، وإطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت"[٣].

وقال ابن علان: "وفي التعبير بقوله: (يذكر ربه)، بعث على الذكر والرمز إلى الذم لمن تركه"[٤]، قال العيني: "وجه التشبيه بين الذاكر والحي الاعتداد به والنفع أو

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١ – ٢١٤ بتصرف.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٤٩٧.

النصرة ونحوها وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن"[١].

قال ابن القيم: "في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته، والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل"[٢].

وقال ابن القيم أيضًا: "والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به من قطع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب...، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه مجلؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون..، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلال، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتتقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٣/٢٧.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ضمن مجموعة الرسائل النجدية ٢/٢٣٣ - ٢٣٤.

الصماء، واليد الشلاء"[1].

وقلب المؤمن العامر بذكر الله هو قلب فيه من نور الله ما يباعد بينه وبين المعاصي، قال أبو الفرج بن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾[2]، قال: "مثل ضربه الله المولى البصير السميع لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة في القرآن من نور الملك الرحمن، فقال خالق الطول والعرض، الذي عبد بالنوافل والفرض: (الله نور السماوات والأرض)، أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السماوات والأرض.

ثم قال تبارك وتعالى: (مثل نوره) يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين (كمشكاة) يعني قلب المؤمن، والمشكاة هي الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج لا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذًا فتكون الكوة أكثر نورًا مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن.

ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروبا مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السماوات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام. فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله في كتابه العزيز. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

---

(١) مدارج السالكين ٢٥٨/٣ – ٢٦٠ بتصرف.

(٢) سورة النور، آية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١)، فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدي إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه. فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئًا من المنكرات، ولا يضيع شيئًا من الطاعات"(٢).

ويتضح من خلال ما سبق فضل ذكر الله وأن العبد يثاب عليه بالأجر العظيم، والثواب الكبير، وإذا ما كان الذكر سهلاً على اللسان غير مجهد للأبدان فالواجب على العبد أن يستحضر عظمة وجلال الله حين ذكره فلا يكون قلبه - مع ذكر لسانه - غافل ساهٍ لاهٍ.

قال أبو حامد الغزالي: "فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان، وقلة التعب فيه، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟ فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة.

والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة، أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى. وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضًا قليل الجدوى.

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية، وللذكر أوّل وآخر؛ فأوّله يوجب الأنس والحب لله وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الأنس والحب.

فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

ذكر الله عز وجل. فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور. ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في العادات أن تذكر غائبًا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أوّلاً صار مضطرًا إلى كثرة الذكر آخرًا بحيث لا يصبر عنه.

فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره. ومن أكثر ذكر شيء -وإن كان تكلفًا- أحبه. فكذلك أوّل الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخرًا فيصير الموجب موجبًا والثمر مثمرًا. وهذا معنى قول بعضهم. كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب. ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا. فكيف يستبعد هذا؟ وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أوّلاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقًا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف. هي النفس ما عوّدتها تتعوّد.

أي: ما كلفتها أوّلاً يصير لها طبعًا آخرًا. ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل. فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل، ولا يبقى بعد الموت عائق؛ فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعًا فيه عما به أنسه. وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء. رذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل؟ فإنه لم يعدم عدمًا يمنع الذكر بل عدمًا من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت.

ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة، لأن المطلوب الخاتمة ونعني

بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره. فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقًا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال. فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته، وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى.

ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة. فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه. فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا. وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه. فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة" [١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو في الطاعة والاستقامة.

قال ابن رجب: "لقد كانت مجالس النبي ﷺ مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب فكانت تلك المجالس توجب لأصحابه رضي الله عنهم رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ورقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه"[٢].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٥٤٧ – ٥٤٩ بتصرف.

(٢) لطائف المعارف ص ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٤٣٧)

١٤٣٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ: ((**يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في ملأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الملأ الأولى: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرجع إلى قولهم، والملأ الثانية: الملائكة المقرون[2].

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ) ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ : (يقول الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني ؛لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، وقوله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) ترغيب في حسن الظن بالله؛ لأنه سيعامله بمقتضى ظنه فيه، وإضافة العبد إليه تشريف للعبد، ووصفه بالعبودية فيه مزيد تشريف، وقوله (وَأَنا معه إذا ذكرني) يشير إلى أن الذاكر لله في معيته، وأكرم بها من معية! -مما يعني أنه في تمام الأمان، لا يقربه شيطان، وقوله (فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي) أسلوب شرط يربط ذكر الله للعبد بذكر العبد لله فعلا، وهيئة وأسلوب الشرط هنا له بعد نفسي لأن يجعل يشعر العبد بأن ذكره عند الله مرتبط به هو، وبفعله ويلمح له بأنه إن نسي ذكر الله ينساه الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥/٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٦) بتمامه.

(٢) النهاية في (م ل أ).

من رحمته، وقوله (وإنْ ذَكَرَنِي فِي ملأ ذَكرتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ) وهي جملة شرط ثانية تؤكد ربط ذكر لله للعبد في الملأ الأعلى بذكر العبد لله في ملأ في الأرض، وهو ما يرغب العبد في ذكر الله على حال حتى يحظى بمعية الله، وفضله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى:

إن حسن الظن بالله تعالى طريق موصل إلى الجنة ومرضاة الله واستحقاق ثوابه، إذ أن حسن الظن بالله دليل وبرهان على كمال الإيمان وحسن الإسلام وهو برهان على سلامة القلب وطهارة النفس. إذ أن حسن الظن بالله لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله تعالى ومدى مغفرته ورحمته[1]، وقد ورد في الحديث بيان ما لحسن الظن بالله تعالى من فضل وعطاء، فقال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"، قال ابن حجر: أى قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه، بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر، وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده"[2].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٢) فتح الباري ٣٩٧/٣.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي ترشد وتدعو إلى إحسان الظن بالله تعالى منها ما روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[١].

وعن حيان بن أبي النضر قال: «دخلت مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي في مرضه الذي مات فيه فسلم عليه وجلس قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود: وأشار برأسه أي حسن، قال واثلة: أبشر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[٢].

وإحسان الظن بالله دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وبرهان على سلامة القلب وطهارة النفسي ولا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته وهو طريق موصل إلى الجنة"[٣]، ولله در أحمد بن العباس النمري، حين قال:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع[٤]

لقد غرس الإسلام في نفس المؤمن حسن الظن بالله تعالى، بل إن الرسول ﷺ ليأمر المسلم وهو يدعو ربه أن يعزم في الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ. اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ. فَإِنَّ اللّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ » وفي لفظ «وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المسألة وَلْيُعظِمِ الرَّغْبَةَ، فإِنَّ اللّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أعْطاهُ))[٥].

ولقد كان ﷺ يعظم في نفس الصحابة رضي الله عنهم جانب حسن الظن بالله تعالى مبينًا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٢) أخرجه أحمد ٤٩١/٣، رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٢٩٨/٢٥، والدارمي ٢٧٣١، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٦).

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٤) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٣٩، ومسلم ٢٦٧٩ واللفظ له.

لهم أن الله تعالى أرحم بخلقه من الأم بولدها، روى عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «قَدِمَ على النبيّ ﷺ سَبيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثَديَها تَسقي، إذا وَجدَت صَبيًا في السبي أَخَذَته فألصَقَتْه ببَطنها وأرضَعَتْه. فقال لنا النبيُّ ﷺ: أتُرَونَ هذهِ طارحةً وَلَدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تَقدِر على أن لا تَطرَحهُ. فقال: اللّهُ أرحمُ بعبادِه من هذهِ بولَدِها»[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

لقد جاءت النصوص الكثيرة المبينة لفضل ذكر الله تعالى وبيان أن فضل ذكر الله وعطاء الله للذاكر من جنس عمله وعلى قدر نيته.

إن الإنسان إذا ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله في نفسه وإن ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ، يعني إذا ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسانك سرًا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك؛ فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملأ أي: عند جماعة، فإن الله تعالى يذكرك في ملأ خير منهم، أي في ملأ من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثنى عليك جل وعلا. ففي هذا دليل على فضيلة الذكر، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه؟ إلا أن يخاف الإنسان على نفسه الرياء، فإن خاف الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول: إذا ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فلا أذكر الله. فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عز وجل كما ذكر ربَّه[2].

وجاء ذلك في الحديث في قوله عز وجل: وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" أى إن ذكرني بالتنزيه والتقديس ذكرته بالثواب والرحمة، وقال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩ واللفظ له، ومسلم ٢٧٥٤.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٢٣.

مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[١]، قال الحسن البصري أى: اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله: "أنا عند ظن عبدي بي": قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني والقبول إذا أناب إلي والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوى يقينه. قال القابسي: يحتمل أن يكون تحذيرًا مما يجري في نفس العبد، مثل قوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾[٤]. وقال الخطابي في قوله: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله" يعني: في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون من الرجاء وتأميل العفو[٥].

ويبين ابن القيم فضل الذكر ومنزلته وأهميته، فيقول: والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم التي متى فارقهم انتكست منه القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحيانًا فننتكس[٦]

ثالثًا – من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه:

جاء في الحديث بيان فضل ذكر الله وأنه سبب لمعية الله للعبد وذكره له، يقول

---

(١) سورة البقرة، آية : ١٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٦٥/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٥) إكمال المعلم ١٧٢/٨.

(٦) مدارج السالكين ٤٥١/٢.

الله تعالى: "وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"، وفي ذلك حث وترغيب في الإكثار من ذكر الله تعالى، وقد جاءت الآيات والأحاديث في الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1].

أى اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد (ذكرًا كثيرًا) أي يعم الأوقات والأحوال. في الليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغني والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي في أول النهار وآخره، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل. لأن ذكره وتسبيحه، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال[2].

والتسبيح من جملة الذكر. وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة، ليتبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته، عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال. ومثال فضله على غيره من الأذكار، فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي، والطهر من أرجاس المآثم، على سائر أوصافه، من كثرة الصلاة والصيام، والتوفر على الطاعات كلها. ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره، تكثير الطاعات والإقبال على العبادات. فإن كل طاعة وكل خير، من جملة الذكر. ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا. وهي الصلاة في جميع أوقاتها. لفضل الصلاة على غيرها[3].

ومدح الله عباده المؤمنين، بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان : ٤١-٤٢.

(٢) محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٨/١٣/٢٧٨.

(٣) الكشاف، الإمام الزمخشري، ٨٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٣٥.

يَعْذِر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾[1]، بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، ترغيبًا في إحسان الظن بالله، وترغيبًا في ذكره تعالى، وبيان أن ذلك سبب لمحبة وذكر الله تعالى لعبده، ويقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". وفي ذلك ترغيب في الذكر أيما ترغيب، إن ذكر الله تعالى أفضل أحوال العبد، قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[3]، وهو سبب من أسباب طمأنينة القلوب وإثلاج الصدور، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[4].

وإن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وكذلك بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم[5]، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا ﴾[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٣٣/٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٥) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) سورة النور، آية: ٥٥.

فالترغيب من أوفق الأساليب الدعوية لما جبلت عليه النفس البشرية من حب ورغبة في السعادة وصلاح الأمر ودفع للإنسان إلى طلب أسباب النجاة والتمسك بها، قال ابن القيم: قال صاحب المنازل أبو إسماعيل الهرويّ: الرغبة هي من الرجاء بالحقيقة لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، والرغبة سلوك على التحقيق، أي الرغبة تتولد من الرجاء لكنه طمع، وهي سلوك وطلب[١].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٥٨.

الحديث رقم (١٤٣٨)

١٤٣٨- وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ)) قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ يَا رسولَ الله قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتِ)). رواه مسلم[1].

وَرُوِي: (المُفَرِّدُونَ) بتشديد الراءِ وتخفيفها والمشهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْدِيدُ.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول سبق الذاكرين لله لغيرهم من الغافلين ترغيبا في اللحاق بركبهم، ويقوم المعنى في الحديث على سؤال، وجواب، والحق أن مبعث السؤال هو أسلوب النبي ﷺ التعليمي الراقي الذي يلقى على أسماعهم اللفظ الغريب غير المفهوم لديهم فيستخرج به أسئلتهم، ويجيب عنها. - ولكن بعد أن يثير فضولهم ويجذب انتباههم ويضمن إصغائهم حتى إذا ما ألقى الخبر ألقاه، وقد مهد له تربة أفئدتهم؛ فينبت فيها، ويثمر، وهذه إحدى وسائل التشويق في حديثه الشريف.، وقوله (سبق المفردون)، وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقولهم: (وما المفردون) قال البيضاوي: ولما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لأنهم أرادوا تفسير اللفظ وبيان ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به، وتعريف أشخاصهم فعدل في الجواب عن بيان اللفظ إلى حقيقة ما يقتضيه توقيفا للسائل بالبيان المعنوي على المعنى اللغوي إيجازا فاكتفى فيه بالإشارة المعنوية إلى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية، وقوله (الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيراً والذَّاكِرَاتِ) وفيه إيجاز بالحذف أي هم الذاكرون.. والتقييد بالكثرة إلى أن الذي يستحق هذه الصفة هو من أكثر من الذكر، وداوم عليه.

---

(١) برقم (٢٦٧٦/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٦) بتمامه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدون، قالوا: وَمَا المُفَرِّدونَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ))، قال النووي: وأصل المفردون الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقال ابن الأعرابي، يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهى، وقد فسرهم رسول الله ﷺ في الحديث بالذاكرين الله كثيرا والذاكرات"[1]، فسبقوا إلى مرضاة المولى والدرجات العلى والشهود الأكمل والحال الأفضل[2]، وبين الحق تبارك وتعالى أن ذكر الله من صفات عبادة المؤمنين وأنها من الصفات التي يجزى عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3]، قال مجاهد: لا يكون ذاكرًا لله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا[4]، أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيما أى هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا

(١) شرح صحيح مسلم، ص ١٥٨٤.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج١٨٦/١٤/٧.

عظيما وهو الجنة[1].

إن ذكر الله تعالى يولد الطمأنينة في القلب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]. وسبب لذكر الله للإنسان، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3].

وبين الله تبارك وتعالى أن الذكر سبب للنجاة من الضيق والشدة، وذكر مثلاً لذلك بما حدث ليونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4].

وجعله الله عز وجل من أسباب النصر والفلاح عند اللقاء، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

وجاء في السنة النبوية أن أهل الذكر من أهل السبق، كما جاء في الحديث: "سبق المفردون، قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات".

وبين النبي ﷺ أن ذكر الله يجلب الملائكة والرحمة والسكينة روي عن الأغر أبي مسلم، قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[6][7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦/٤٢١.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٧) انظر: رياض الدعاة والمصلحين، بهاء الدين عقيل، د. عبدالعزيز مصطفى، ٢٩٧-٣٠٢.

إن ذكر الله له من الفضائل والثواب ما لا ينكره أحد، وبالجملة فإن ذكر الله سبب للفلاح وتركه سبيل الخسران، بل إن الله سبحانه ليعلق الفلاح على استدامة ذكره وكثرته، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]. وأخبر سبحانه بخسران من غفل عن ذكره ولهى عنه بغيره، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله "قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات"، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة وذلك لعدة أسباب منها:

أ- أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على الفهم، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه.

ب- أن طارحي الأسئلة إذا كانوا لا يعانون من مشكلة ولكن يريدون اكتساب معرفة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك.

فيجب على الدعاة أن يستثمروا هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن لما في ذلك من فائدة ونفع ونشر للمعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[٣].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين وترغيبهم من الإكثار من ذكر الله

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١/٥٨-٦٢.

تعالى، وذلك ببيان فضله وأثره، كما جاء في الحديث من بيان أنه سبب لمحبة وذكر الله له، " وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" إضافة إلى ما في الذكر من ارتباط العبد بربه ومراقبته وقربه من الله تعالى، ويورث الهيبة والإجلال لله تعالى فيبتعد عن المعاصي والآثام، وقد ذكر ابن القيم ثمان وسبعين فائدة، منها أنه يطرد الشيطان ويقمعه، ويرضى الرحمن عز وجل وأنه يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويجلب الرزق إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[1].

وقد وردت هذه المعاني في كثير من آيات القرآن، وبيان أن أهل الذكر هم أهل الانتفاع بآيات الله وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[2][3].

ومما يدل على أهمية الذكر أن الله سبحانه قرنه بكل عبادة ورغب فيه بعد الفراغ من كل عبادة كالصلاة والحج وغيرهما، فعن الصلاة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]. وعن الحج قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[5].

بين ابن القيم أهمية الذكر وأنه لا يقتصر عند مجرد تحريك اللسان بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الحياة وكل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال فيقول،

---

(١) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، الإمام ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، السعودية ط١، ١٩٨٩، ص ٨٣-١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٤٤٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

ومنزلة الذكر هي: منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل؛ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[1].

قال ابن حجر: والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك

---

(١) مدارج السالكين، ٣/٤٤٠، ٤٤١.

والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحَّ التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرا فقال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[1]. ونقل عن بعض العارفين قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء[2].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٢) فتح الباري ٢١٢/١١، ٢١٣.

الحديث رقم (١٤٣٩)

١٤٣٩- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ، يقولُ: ((**أفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ**)). رواه الترمذي[(١)]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وتوحيده، وحده وسخر لهم الكون كله يعينهم على أداء المهمة، وهو معهم مسبح لله على وجه يعلمه الله، وعبارة التوحيد هي بوابة الدخول في الإسلام لأنها تحقق غرض العبودية الذي خلق من أجله الخلق، فقوله (لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ) هي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، ، وهذا ما أكده هذا الحديث بأسلوب التفضيل بأفعل مع دلالة الكلمة على الأفضلية بمدلولها مع صيغتها، وإضافتها للذكر تعطيها بعدا إيحائيا يرتقي بها قمة الكلم الطيب، والباقيات الصالحات من الكلمات لما تضمنت من معانٍ.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله.

---

(١) برقم (٣٣٨٣). وقال: حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٤٦)، وقال الحاكم (٥٠٣/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٥٨).

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى:

إنَّ من أهم صفات الداعية الواجب التحلي والاتصاف بها التبيين والتوضيح، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]،[2]، ومن ذلك الإيضاح الواجب ما جاء في الحديث من البيان والإيضاح لأفضل أنواع الذكر في قوله ﷺ "أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إن البيان والإيضاح أهم المؤهلات اللازمة للداعية، التي تؤهله للقدرة على الدعوة والقدرة تشمل البيان باللسان والشجاعة النفسية الأدبية، إذ كثير من الناس يعوزهم البيان وتنقصهم الجرأة[3].

إن البيان والإيضاح وإقناع المدعوين بما يلقيه الداعية على المدعوين من الأهمية بمكان.

إن القيام بأعباء الدعوة من البيان والإيضاح والإقناع وما شاكل ذلك يستلزم أن يكون عند الداعية من قوة البيان وفصاحة اللسان ما يمكنه القيام بدعوته خير قيام وإلا كان النفع بعيدًا فإن مدار الأمر على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبين كان أقوى وأجمل. كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد وأكمل. وقد سألها موسى عليه السلام ربه حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته. فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه، والحُبسة التي كانت في بيانه ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾[4]. الحُبسة بالضم تعذر

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٨.

(٣) مرشد الدعاة، الشيخ، محمد نمر الخطيب، ٧٩، ٨٠.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

الكلام عند إرادته. وقال: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾[١]، وقال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾[٢]، رغبة منه عليه السلام في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة. لتكون الأعناق إليه أميل. والعقول عنه أفهم. والنفوس إليه أسرع. فإن خصمه فرعون كان مشاغبًا سبابًا مذهب كل جاحد معاند. وشأن كل مختال مكايد، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٣]. أي ضعيف حقير لا يكاد يبين الكلام. قال افتراءً عليه وتنقيصًا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام؛ من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾[٤].

وذكر الله عز وجل عظيم منته في تعلم البيان. وجميل نعمته في تقويم اللسان. فقال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٥]. أي مكنه من التعبير عما في ضميره لإفهام الغير، كما مكنه من فهم بيان غيره، وضرب لنا مثلاً لعي اللسان ورداءة البيان حيث شبه أهله بالنساء والولدان فقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٦].

أي: أو جعلوا له تعالى من شأنُهُ أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى أمره بنفسه وهو مع هذا القصور في الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه إنسان في العادة غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه لقبح ما يحدث عن العي

(١) سورة القصص، آية: ٣٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٣.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٥٢.

(٤) سورة طه، آية: ٣٦.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤.

(٦) سورة الزخرف، آية: ١٨.

من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة، وأصل البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى. والعي صد البيان والحصر كالفرح ضيق الصدر عند النطق؛ وبالجملة فقوة البيان وفصاحة اللسان من جلائل نعم الله تعالى على الداعي، بهما يملك القلوب، وبهما يؤثر في الأرواح[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله:

جاء في صريح الحديث أن لا إله إلا الله أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء، وهى الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنها أجمع للقلب مع الله وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث النفس وأطرد للشيطان[٢]، لذا كانت "لا إله إلا الله من أحب الكلمات إلى الله تعالى"، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الكلام إلى الله أربع: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت"[٣].

إن أفضل الكلمات كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" إذ أن هذه الصيغة جامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلهية لله تعالى، فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر، وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النفي والإثبات ولا انضمام لفظ آخر.

إن كلمة "لا إله إلا الله" أبلغ الألفاظ في إثبات الوحدانية لله تعالى ونفيها عمن سواه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الخصائص واللطائف لكلمة "لا إله إلا الله" منها:

أ- أنه بدأ فيها بالنفي، وأهل المعاني يقولون في ذلك إنما بدأ بالنفي لأن النفي تفريغ القلب فإذا كان خاليًا كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه، وإشراق نور الله تعالى عليه.

---

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ٩٧، ٩٨.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢١٣٧.

ب- أن قول لا إله إلا الله فيه خاصيتان:

إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين.

الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

وفي ذلك أيضًا إشارة إلى من قالها بحق وعمل بمقتضاها وداوم عليها لا يبقى على قلبه نقطة من سواد الكفر والذنوب. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1][2].

ثالثًا- من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله:

من آداب المدعو ملازمته والإكثار من ذكر الله تعالى، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[3]، وأفضله لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" وهى خير الأقوال، كما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ. قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [4]، قال الطيبي: قال بعض المحققين إنما جعل التهليل أفضل الذكر، لأن لها تأثيرًا على الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هى معبودات في باطن الذكر، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[5]، فيفيد نفى عموم الإلهية بقوله "لا إله" ويثبت الواحد بقوله: "إلا الله" ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قالبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه، وجد حلاوة هذا من ذاق"[6].

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) انظر: معنى لا إله إلا الله، الإمام بدر الدين الزركشي، ص: ٨٨-٩٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٤) اخرجه الترمذي، ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (الصحيحة، ١٥٠٣، وصحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٧).

(٥) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥/٧٩.

لذا ينبغي على الذاكر استحضار معاني الذكر ومرامي ألفاظه، قال ابن القيم وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده[١].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي عن فضل قول "لا إله إلا الله": وأما التهليل وحده فإنه يصل إلى الله من غير حجاب بينه وبينه، وخرّج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما قال عبد: "لا إله إلا الله" مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر[٢].

وقال أبو أمامة: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش وورد أنه لا يعد لها شيء في الميزان كما جاء في حديث البطاقة، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي، عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فينشرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وتسعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظونَ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»[٣].

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا

---

(١) الفوائد ٢٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٢١٣/٢، رقم ٦٩٩٤، وقال محققو المسند إسناده قوي ٥٧١/١١.

يعقل؟، ثم قال: إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن، لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر، قال: قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمص الناس»[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في قول "لا إله إلا الله" بتصريحه أنه أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إنها كلمة إن قالها الإنسان بصدق ويقين رزق الجنة ونجي من النار فقد بشر رسول الله ﷺ من قالها موقنًا بالجنة وتحريم الله له على النار.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ. فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٠/٢، رقم ٦٥٨٣، وقال محققو المسند إسناده صحيح ١٥١/١١.

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لإِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لإِسْتِي. قَالَ: ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عُمَرُ! مَا حَمَلك على ما فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَخَلِّهِمْ»[1].

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النبيَّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ـ قال: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ. قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللهِ وسَعدَيك. قال: يا مُعاذُ. قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ وسَعدَيك (ثلاثًا). قال: ما مِنْ أَحَدٍ يَشهدُ أن لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأن محمدًا رسولُ اللّهِ، صِدْقًا مِن قَلبِه إِلاّ حرَّمهُ اللّهُ عَلَى النَّار. قال: يا رسولَ اللّهِ أَفَلا أُخبرُ بهِ النّاسَ فيَسْتَبْشِروا؟ قال: إِذًا يَتَّكِلوا. وأَخبرَ بها مُعاذٌ عندَ مَوتِه تَأَثُّمًا»[2].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوة نفعًا وأشدها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في العبادة والعمل الصالح مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[3].

ومما يدل على أهمية الترغيب في الدعوة إلى الله أن ما جاء به الشرع الحنيف كله

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

-بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[1]، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

الحديث رقم (١٤٤٠)

١٤٤٠- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: (**(لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله)**). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

شرائع الإسلام: جمع شريعة: ما شرع الله تعالى وأظهر لعباده من الفرائض والسنن[2].

أتشبث: أتعلق به وألزمه[3].

رطبًا من ذكر الله: طريًا مشتغلاً قريب العهد منه وهو كناية عن المداومة على الذكر[4].

الشرح الأدبي

تنكير السائل لعدم تعلق غرض بتعريفه وقوله (إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ) هو خبر أريد به لازم فائدته، وهو التمهيد لما يريد أن يرتبه عليه من طلب، وشرائع الإسلام أحكامه، وقوله (فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ) الأمر لطلب الاسترشاد، وتنكير شيء للتقليل أي شيء قليل، لأنه عجز عن الكثير، وجاء يشتكي منها قال الطيبي التنكير في (بشيء) للتقليل المتضمن لمعنى التعظيم كقوله تعالى (ورضوان من الله

---

(١) برقم (٢٣٧٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨١٤)، وقال الحاكم (٤٩٥/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٠).

(٢) القاموس المحيط في (ش ر ع)، وتحفة الأحوذي ٢٤٢٣/٢.

(٣) الوسيط في (ش ب ث).

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٢٤٢٣/٢).

أكبر) ومعناه أخبرني بشيء يسير مستجلب لثواب كثير، وقوله (أتشبث به) أي أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه، ويوحي بحرص الرجل على تعلم شيء يمكنه إتقانه، وقول الرسول ﷺ (لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله) كناية عن دوام ذكر الله تعالى، والتعبير بالفعل الدال على الاستمرارية بصيغته، ودلالته (لا يزال) يقرر التواصل مع الذكر والاستمرار عليه، ودلالة الفعل المضارع تشير إلى التجدد كلما قطعه عن الذكر قاطع، وهو حال المؤمنين مع ربهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران١٩١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى.

ثانيًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى:

جاء في الحديث ما يدل على وجوب التشبث بشرع الله تعالى، فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ، «يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ» أى أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه[1]، فإن التمسك بالإسلام وشرائعه فيه صلاح المجتمع الإسلامي، بل صلاح المجتمع الإنساني كله لا يتحقق إلا بالإسلام[2]، الذي فيه صلاح للمجتمعات وحياة الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٢٣/٢.

(٢) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان عبدالله الأشقر، ص١٩.

ﱡ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﱠ[١] ففي الآية: "تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة والحرية حياة واستقامة أحوال العيش حياة"[٢].

ثانيًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال:

قد جاءت الدلالة على ذلك في سؤال الرجل للنبي ﷺ. إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله" والمعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني عنها غيرها فالفرائض لابد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به الخلل[٣]، لذا ينبغي على المدعو السؤال عن شيء من النوافل يلائم إمكاناته الجسدية والمادية يتشبث به ويحافظ عليه، ليزداد المؤمن بها قربًا من الله وعلو منزلته عنده، وليجبر النقص أو الخلل الذي قد يحدث في أدائه للفرائض، قال ابن رجب الحنبلي: "درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب محبة الله[٤]".

ثالثًا- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنِهم من العلماء العاملين والهداة المرشدين إرشاد الناس ودلالتهم على كل خير، فإنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين[٥]، ومن ذلك الدلالة على ذكر الله تعالى، وليكن في ذلك القدوة

---

(١) سورة الأنفال، آية:٢٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٤/٩/٣١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٢٤/٢.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٣٣٧/٢.

(٥) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٧٢.

الحسنة في رسول الله ﷺ. الذي لم يجد فرصة للحث على ذكر الله إلا اغتنمها، كما جاء في الحديث من سؤال الرجل عن شيء يتشبث به، فقال له ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله".

ودلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير وإيقافهم عليه، وتلك وظيفة الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١]. قال أبو عبدالله القرطبي في تفسير الآية: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المعنى: بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أن لا يكتم شيئًا من وحيه"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى:

لقد جاء الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٣]، وجاء في الحديث الإشارة إلى الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"، قال الطيبي: رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر[٤]، فإن مداومة الذكر حياة حقيقية للإنسان، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "مثل الحي والميت"[٥]، ومن فوائد ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٦]، ولو

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، مج٣/٦/٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٤١-٤٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٤١/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا[١].

إن دوام ذكر الله تعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده وأن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق[٢].

وإن مداومة ذكر الله تعالى تؤهل صاحبها إلى الانتفاع بآيات الله، وكمال العقل وحسن التدبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٣].

لقد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]. وأهل ذكر الله تعالى هم أهل السبق والفوز، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول ﷺ مر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا ومن المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[٥]. ولقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس ذكرًا فكان يذكر الله على جميع أحواله، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[٦].

إن كثرة ذكر الإنسان لربه علامة على محبته لربه، قال الربيع بن أنس: عن بعض أصحابه علامة حب الله كثرة ذكره فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثر ذكره.

---

(١) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ٨٣، وقد ذكر ابن القيم في الكتاب ثماني وسبعين فائدة لذكر الله تعالى انظر ص ٨٢-١٥٣، صحيح الوابل الصيب، تحقيق: سليم بن عيد هلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام.

(٢) انظر: مدارج السالكين، الوابل الصيب، لابن القيم، ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٦٧٦.

(٦) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

قال إبراهيم الجنيد كان يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان وكلما ولع المرء بذكر الله إلا أفاد منه حب الله وكان بعض السلف يقول في مناجاته إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبك من مناجاتك وذكرك.

وقال أبو جعفر المحولي ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه ولا يسأم من خدمته وقد ذكرنا قول عائشة كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والمعنى في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه وشئونه كلها.

إن المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه فلو كلف أن ينسي تذكره لما قدر ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر.

كيف ينسي المحب ذكر حبيبه — اسمه في فؤاده مكتوب

لقد كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول أحد أحد فإذا قالوا له قل واللات والعزى قال لا أحسنه.

يراد من القلب نسيانكم — وتأبي الطباع على الناقل

فكلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه، الله، الله، ولهذا يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس وتصير لا إله إلا الله لهم كالماء البارد لأهل الدنيا كان الثوري ينشد.

لا لأني أنساك أكثر ذكراك — لكن بذاك يجري لساني[1]

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٥١٤-٥٢٤.

الحديث رقم (١٤٤١)

١٤٤١- وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((من قَالَ: سُبْحان الله[١] وبِحمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ)). رواه الترمذي[٢]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في تسبيح الله، وتحميده جاء في أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربطه بالجواب، وترك العاقل لكي يختار فعلا بعاقبته، ولذلك عبر بأداة الشرط (من) التي تنادي من له عقل باغتنام هذا الجزاء بالتزام التسبيح، والتحميد، وهذا الحديث يربط غرس نخلة في الجنة بقول هذه العبارة اليسيرة، واختيار النخلة التي تشبه المؤمن الذاكر في طيب كلامه بطيب ثمرها؛ لأنها كلها منافع بكل جزء فيها، وليس هذا لشجرة غيرها مع طيب ثمرها، وكثرة جناها، وصلاحيته لأن يكون طعاما، أو فاكهة، وسهولة نقله، وقلة تلفه، وغيرها كثير، مما يشير إلى عظمة العبارة الموجدة لها، وهي قوله (سُبْحان الله وبِحمدِهِ) فهي مثلها في العطاء من المعاني الدالة على التقديس، والتنزيه المتضمن نفي الشريك، والمثيل، وتأكيد الوحدانية، مع الثناء، والحمد المتضمن الاعتراف بكل النعم، وغيرها من المعاني التي يصعب استقصائها فجدير بقارئها أن يتخذها وردا له يزرع بها بستانا في الجنة كل يوم يصير له به ملكا في الجنة، لا بد يوم أن يبلغه، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

---

(١) عنده زيادة: (سبحان الله العظيم).

(٢) برقم (٣٤٦٤) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، و(٣٤٦٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٢٧)، وقال الحاكم (٥٠١/١): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده:

إن ذكر الله تعالى أسهل الأعمال وأكثرها ثوابًا وصاحبه أشد قربًا من الله تبارك وتعالى، ولقد جاءت النصوص آمرة ومرشدة بالتسبيح، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[١]، وفي هذه الآية يأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب[٢].

وأصل التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص[٣]، ومن ألفاظ التسبيح المستحبة والتي حث عليها النبي ﷺ، سبحان الله وبحمده كما جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة " ولا ريب أن التسبيح يعد من الأصول المهمة والأسس المتينة التي ينبنى عليها المعتقد، من إبعاد صفات النقص من أن تضاف إلى الله، وتنزيه الرب سبحانه عن السوء وعما لا يليق به[٤].

وتسبيح الله دليل على إيمان الإنسان وفقهه، قال ابن رجب الحنبلي وكان الحسن البصري كثيرًا ما يقول إذا لم يحدث ولم يكن له شغل: سبحان الله العظيم، فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة، فقال: إن صاحبكم لفقيه[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٣١/٦.

(٣) النهاية في (س ب ح).

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرازق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الأول والثاني، ١٩٥.

(٥) جامع العلوم والحكم ٢٨٨/١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

لقد صرح النبي ﷺ. في الحديث بفضل قول سبحان الله وبحمده وثواب ذلك، فقال ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" أى المعدة لقائلها، وخصت النخلة لكثرة منفعتها وطيب ثمرتها، ولذلك ضرب الله تعالى مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرتها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]".

فقوله كلمة طيبة يراد بها كلمة التوحيد، كشجرة طيبة وهى النخلة[2]، كما جاء في حديث آخر بيان أن هذه الصيغة حبيبة إلى الله تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلى الرَّحمن سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيم»[3]. فهذا من جملة الأحاديث الواردة في التسبيح والدالة على عظيم فضله وثوابه عند الله، وفي أكثر هذه الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تعالى، وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد فيه إثبات المحامد كلها لله عز وجل والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا لكن ورد مقرونًا بما يدل على إثبات الكمال فتارة يقرن بالحمد كما في قوله: "سبحان الله وبحمده" وتارة يقرن باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال، كقوله سبحان الله العظيم، وقوله سبحان ربي الأعلى، ونحو ذلك[4].

إن فضل التسبيح يظهر في كونه تنزيهًا لله تعالى عملاً يليق به.

قال ابن حجر: التسبيح يعني قوله سبحان الله ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٦٦.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٤٠٦، ومسلم، ٢٦٩٤.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٢٠٤.

به جميع ألفاظ الذكر وجماع معناه[١].

وقال الجرجاني: التسبيح تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث[٢].

إن الكون كله وجميع ما خلقه الله يسبح الله تعالى، كما جاء في صريح قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[٣]. أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغتكم، وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد وهذا أشهر القولين[٤].

وقال القاسمي: وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[٥]. أي تنزه الله وتقدسه وتجلّه السماوات والأرض ومن فيهن من المخلوقات عما يصفه به المشركون، وتشهد جميعها له بالوحدانية في إلوهيته وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾[٦][٧].

فما من شيء إلا يسبح بحمد ربه بلسان الحال ولسان المقال "ولكن لا تفقهون تسبيحهم" لأنها على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب[٨].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في تسبيح الله،

---

(١) فتح الباري ١١/٢١٠.

(٢) التعريفات ٥٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٧٩.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٦) سورة مريم، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٧) محاسن التأويل، مج٦/١٠/٢٣٢.

(٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٤١.

فقال ﷺ:"من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة"، أي نخلة على كل مرة[١]، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، "ولقد حفلت آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة بالترغيب فيما عند الله من ثواب ونعيم، ترغيبًا للمؤمنين وحثا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٢]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها، وكان من عباد الله المتقين المحسنين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣]،[٤]. أى خوفًا من وبال عقابه وطمعًا في جزيل ثوابه[٥]، "فهم يجمعون بين الوصفين، الخوف والرجاء فهم يعبدون الله وحالهم الخوف من أن ترد أعمالهم والطمع في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم، ٢١٢٧/٦..

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٣/٦.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٠٣.

الحديث رقم (١٤٤٢)

١٤٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((لَقِيتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاء، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكْبَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

قيعان: جمع قاع وهو المكان المستوي الواسع في وطأةٍ من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته[2].

غراسها: الغِراسُ: ما يغرس من شجر ونحوه[3].

الشرح الأدبي

لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بإبراهيم عليه السلام لقاء حبيب لحبيب، وأخ لأخ، وقوله (ليلة أسري بي) يشير إلى زمان اللقاء، وأنه ليس لقاءً في رؤية منامية، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع، وسيلة نقل

---

(١) برقم (٣٤٦٢). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/١٠٢): حسّنه لشواهده، ومن ثمَّ قيّد الغرابة، وإلا فعبد الرحمن بن إسحاق ضعّفوه، وهو أبو شيبة الواسطي، وله شاهد أخرجه أحمد (٢٣٥٥٢)، قال الحافظ ابن حجر: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٤).

(٢) النهاية في (ق ي ع).

(٣) الوسيط في (غ ر س).

فيه هي الإبل، والخيل -كما أسلفنا الذكر-، وقول إبراهيم عليه السلام (يَا مُحَمّدُ أقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ) نداء تودد ومحبة، وقوله (أقريء) يشير إلى محبته للرسول ﷺ، وأمته، يدل على ذلك تحيته، لأمة لم يرها، وحرصه على نفعها بالخبر الذي نقله عن حال الجنة، وغراسها، ووصفه لها في قوله (وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ) وهو أمر أراد به التكريم للرسول ﷺ ولأمته، والترغيب في ذكر الله الموصل للجنة، لذلك وصف الجنة بما يداعب النفس، ويشغل الوجدان بما يحقق الغرض، ويدفع للعمل الذي هو الذكر الوارد في وصية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والتي تضمنت تنزيه الله - تعالى، والثناء عليه، وتوحيده، ثم تكبيره، وهو من الأحاديث الجامعة لجملة من الأذكار التي تحقق الأجر العظيم، والتي ينبغي لكل من يقرأها أن يضعها من نفسه المنزلة التي تغيب عنها شمس فكره حتى يلقى بها جزاءه عند ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ. نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء:

وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث في قوله ﷺ، لقيت إبراهيم ﷺ، ليلة أسرى بي، وكان الإسراء في السنة العاشرة من سني البعثة النبوية، وكان مكافئة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ، من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، لقد كان الإسراء بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة رضي الله عنها، إنه كان بعد إعراض وصدود ثقيف وما

ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها، بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه، فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونَصَبٍ وتعب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ﷺ[١].

ومعجزة الإسراء حادثة ثابتة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فلقد نص الكتاب العزيز على أن معجزة الإسراء قد تمت ليلاً حين تم انتقال الرسول ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف بأرض فلسطين[٢]، قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

إن من الآيات البينات والمعجزات الخارقات إسراء الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إمامًا، ومن هناك عرج به إلى السماوات العلا، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق وكلمه الرحمن وقربه: ﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٤].

وقد استعظمت قريش الإسراء برسول الله ﷺ فقد كانت القوافل تمضي الأسابيع في الذهاب إلى بيت المقدس والعودة منها، فكيف يتسنى لرجل أن يمضي ويعود في جزء من ليلة! ذلك عجيب، وهو حقًا عجيب، ولكن العجب يتلاشى إذا علمنا

---

(١) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، ١٠٧.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٢٤٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٢-١٨.

أن الذي أسرى به هو الله تعالى، والله على كل شيء قدير[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به:

جاء بالتصريح بذلك في قول رسول الله ﷺ: "لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسرى بي" قال ابن علان: لا مانع من رؤية له على ما كان عليه حال حياته، لأن الأنبياء أحياء والأرض لا تأكل أجسادهم، فلا حاجة لجعل اللقاء بالروح لأن في الحديث مضافًا مقدرًا[٢]. وقد ورد التصريح بذلك في أكثر من رواية ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أتيت البراق... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ. مسندًا ظهره إلى البيت المعمور..."[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث وذلك في قول إبراهيم عليه السلام: "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" والمعنى أعلمهم بأن هذه الكلمات ونحوها سبب لدخول قائلها الجنة ولكثرة "أشجار" منزله فيها، لأن كلما كررها نبت له أشجار بعددها[٤]، وأن الله سبحانه بفضله أوجد في الجنة أشجارًا وقصورًا على حسب أعمال العاملين، لكن لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ثم إن الله تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال به ذلك الصواب، جعله كالغارس لتلك الأشجار[٥]، وتلك من فوائد ذكر الله تعالى، فهو غراس الجنة، وأن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي للسائلين، إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[٦].

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٣٤.

(٢) دليل الفالحين ١٥٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٢.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٦٤/٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٨٦/٥.

(٦) ذكر الإمام ابن القيم ثماني وسبعين فائدة للذكر، في كتابه القيم: "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ص٨٢-١٥٣.

إن ذكر الله تبارك وتعالى من أفضل الأعمال وأعظمها أجرًا وأسهلها على العبد، وقد حث الله تبارك وتعالى على ذكره والإكثار منه، وذكر الله لا يقتصر على مجرد تحريك اللسان به وإنما هو أوسع من ذلك بكثير فيشمل أعمال القلب واللسان والجوارح.

قال ابن عثيمين: " وليُعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، وذكر الله تعالى بالقلب: أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر: ويشمل كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل والتسبيح والتكبير، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة السنة، وقراءة العلم، كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر لله عز وجل.

وأما الأفعال: ذكر الله بالجوارح، فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلاً ﴾[1]. فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى ذكرًا كثيرًا في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلاً ﴾. أى قولوا: سبحان الله في البكور والأصيل، يعني: في أول النهار وآخر النهار، ويحتمل أن يراد بالنهار كله وفي الليل كله، وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]. وهذا ذكره الله عز وجل في سياق لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب، وقال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]. قيل: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، وقيل: المعنى ذكر الله عمومًا أكبر، وهو أن الإنسان إذا صلى كان ذلك سببًا لحياة قلبه وذكره لله عز وجل كثيرًا، وقال تعالى في وصف الخلق من عباده: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3]. والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على فضيلة الذكر والحث عليه، وقد أثنى الله تعالى على الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وبين أنهم هم أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]. فالمهم أن نحث أنفسنا وإياكم على إدامة ذكر الله، وهو لا يكلف اللسان شيئا، واللسان لا يعجز ولا يتعب، بل يبقى دائمًا: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ليس فيه تعب فهو سهل ولله الحمد

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩١، ١٩٠.

وأجره عظيم. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات إنه على كل شيء قدير"[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا بالترغيب في كلمات من الذكر في كونها غراس الجنة "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" فهذه الكلمات سبب لدخول قائلها الجنة، وكثرة أشجار منزله فيها، لأنه كلما كررها نبتت له أشجار بعددها[٢].

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣]، وحثه على الطاعات وتحمل مشاق العبادات رغبة فيما عند الله، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب ملائمة للنفس البشرية، لما جبلت عليه من رغبتها فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام:

يتضح هذا في وصية إبراهيم عليه السلام التي أمر رسول الله ﷺ. أن ينقلها إلى أمته، "وأخبرهم أن: الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". وهذا إن دل فإنما يدل على أن توحيد الله هو دين الله الذي بعث به رسله من الأزل إلى الأبد، وأن المتتبع للدعوة والناظر في سيرة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليرى اتفاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى الملة الواحدة القائمة على توحيد الله عز وجل ومحاربة الكفر والشرك والأمر بالطاعات والنهى عن المحرمات، فكلهم يدعون إلى الله عز وجل،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٥٠٤، ١٥٠٥.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٥٠٢.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

ويرمون في دعوتهم عن قوس واحدة[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٤]. فما من نبي إلا دعا قومه إلى عبادة الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[٦]، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين.

وتلك هي الغاية التي من أجلها وُجد الخلق، قال ابن رجب الحنبلي: إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه[٧]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٨].

إن عقيدة التوحيد وجدت كاملة منذ اللحظة الأولى، لأنها ليست نابعة من أفكار البشرية كما يرى أصحاب مذهب التطور. وإنما هي فطرة الله التي فطر عباده عليها، فقد خلقهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأضلتهم، هذا ما يقرره القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعليه التصور الإسلامي، فقد أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ليقوم فيها بالخلافة التي اختاره الله للقيام بها، بعد أن تلقى كلمات من ربه فتاب عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله، وأن لا يتبع الشيطان

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمود أبو الفتح البيانوني، ٧٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٦٥.

(٦) سورة هود، آية: ٦٢.

(٧) التخويف من النار ٦، ٧.

(٨) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

فيضله عن سبيله. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

وما من شك أن آدم عليه السلام علَّم بنيه الإسلام، وهو عقيدة التوحيد جيلاً بعد جيل، وأن الإسلام كان أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض، ثم انحرفت عن منهج الله وهديه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ....﴾[2]. أي كان الناس أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

يوضح ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]. فحين اختلفوا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب، وينذرون من عصى الله فكفر به بشدة العقاب وسوء الحساب والخلود في النار.

فكان أول رسول إلى الناس بعد اختلافهم نوح عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

وقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[5]. وقد ردوا عليه دعوته متمسكين

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة يونس آية: ١٩.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢، ٣.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

بعبادة آلهتهم التي اتخذوها من دون الله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾(١).

فنوح عليه السلام أرسل لإعادة الناس إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

ويقول رسول الهدى ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه»(٣). وقوله ﷺ: قال الله تعالى: «خَلَقْتُ عِبادي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ. وأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»(٤).

وهنا نقول كذب علماء الأديان المقارنة القائلين بتطور العقيدة، من التعدد إلى الانتخاب ثم التوحيد(٥). وإنما كانت البشرية على دين الإسلام وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها حتى اجتالتهم شياطين الجن والإنس، فأشركوا بالله خالقهم وعبدوا معه غيره، فأرسل الله إليهم الرسل ليعيدوهم إلى الطريق السوي قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٦).

وقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بأنواع من الأساليب الواضحة المتصلة بحياة الناس ومشاعرهم، وبين لهم أن كثيرًا من أعمالهم التي يتوجهون بها لغير الله هي حق لله لا يجوز صرفها لغيره، حتى استقاموا على أمر الله واتبعوا رسوله الذي تركهم على المحجة البيضاء، ثم اختلط هذا الأمر بعد ذلك على كثير من الناس لا سيما في العصور المتأخرة فخلطوا بين ما هو حق خالص لله لا يجوز صرفه لغيره، وبين أمور من هذا الباب ظنوا أنها من الأمور التي يجيزها الشرع(٧).

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ١٣٥٩، ومسلم ٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

(٥) انظر: كتاب الدين، د. محمد عبدالله دراز، ١١١-١١٩.

(٦) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٧) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، ص١١٧-١٢٠.

الحديث رقم (١٤٤٣)

١٤٤٣- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمَالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((ذِكر الله تَعَالَى)). رواه الترمذيُّ[١]، قَالَ الحاكم أَبُو عبد الله[٢]: (إسناده صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

أزكاها: أطهرها وأنماها وأكثرها بركة[٣].

مليككم: المليك: صاحب الملك. ومليك الخلق: ربهم ومالكهم[٤].

أرفعها: أشرفها وأعلاها قدرًا[٥].

الشرح الأدبي

ألا في قول الرسول ﷺ: (ألا أنبئكم) جاءت للعرض بدليل دخولها على الجملة الفعلية. واكتسب الأسلوب تشويقه من بقية السياق حيث تلي (ألا) بالفعل (أنبئكم) الذي يدعم التشويق بصيغته، كما يصعده بمتعلقاته، والنبأ يشير إلى الخبر العظيم واستعمال هذه الأداة -في الأغلب مع هذا الفعل وأمثاله- كـ (أخبركم، أعلمكم، وأدلكم) تمهيد لشيء. خطير. ثم بدأ في رفع درجة التشويق شيئا فشيئا؛ فقال (بِخَيْرِ

---

(١) برقم (٣٣٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٤).

(٢) المستدرك (١/٤٩٦).

(٣)النهاية في (ز ك و).

(٤) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٥) القاموس المحيط في (ر ف ع).

أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ...) فصعد التشويق بعبارات أثارت فضول النفوس المجبولة على حب الخيرات، وزادها حرصا بأفعل التفضيل متصدرة كل عبارة (خير أعمالكم، خير لكم. أزكاها، أرفعها) كل ذلك بعد أداة (العرض) (ألا) يليها الفعل (أنبأ) الذي يتصدر الأمر العظيم، والخبر الصادق، (وفائدة السؤال والجواب أن يكون الكلام أوقع في النفس بحكم الإبهام والتبيين' ولعل الذي دفع الرسول ﷺ إلى كل هذه الإثارة للخبر، والتشويق إليه وبعث الاهتمام، والترقب له هو: غفلة الناس عن هذا العمل مع أهميته، وشدة حاجة الإنسان إليه مع يسره، وخفة مؤنته، وقدرة جميع الناس على القيام به وكونه عبادة قلبية لا يتعلق بها العجب، ولا الرياء، وملازمة الإنسان له على كل حال مما يثمر اتصال الإنسان الدائم بربه، وبقائه في حضرته، هذا ما جعل الرسول ﷺ يؤكد ويشوق بهذا الإلحاح الشديد على فضل الذكر والتنبيه له؛ ليصرف أعنة القلوب إلى مواطن الفلاح، ومعارج النجاح[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم..)، أي: أخبركم[2]، وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع، والتشريف للمخاطب به[3]، وهذا ما يعرف بالاستفهام

(١) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ص ٢٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

(٣) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، ص ١٣١٨.

التمهيدي، وقد ورد ذلك كثيرًا في آيات القرآن مثل قوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى)، (هل أتاك حديث الغاشية)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة لما له من تأثير في إيجاد الاستعداد الفكري والنفسي عند المدعوين لمعرفة الإجابة على تلك الأسئلة والاستفهامات المطروحة عليهم، كما أن الاستفهام استخدام السؤال والجواب له بالغ الأثر في نشر الدعوة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها:

إن من أهم صفات الداعية الملازمة له الممزوجة في شخصيته البيان والتوضيح، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٣]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة [٤]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان خير الأعمال وأزكاها، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم؟..)، قال: ذكر الله تعالى: فإن الإنسان بعلمه بخير الأعمال يحصل بها على كثير من الأجر دونما شرط للنصب والتعب، قال العز بن عبدالسلام في قواعده: "هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل العمل أكثر مما يأجر على كثيره، فإذًا ترتب الثواب على تفاوت الرتب في الشرف"[٥].

إن بيان الداعية الدين وتوضيح أحكامه للناس وإرشادهم إلى ما فيه من نور وهدى ودلالتهم على فعل الخير له من الأجر والمثوبة عظيمهما ومن أوجه ذلك الثواب أن الداعية

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٦٢٠٠٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦، ٢٧.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان، ١٥٠٢.

يأخذ مثل أجر العامل، فإن الدال على الخير كفاعله، روي عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: مَا عِنْدِي فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[١].

كذلك من أوجه الثواب أن ما يعطيه الله على هدايته للناس ودلالتهم على الخير أفضل من نفيس الأموال فروي عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأُعْطِيَنَّ هـذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)) قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: ((أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟)) فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: ((انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ. حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

جاء في صريح الحديث بيان فضل ذكر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم - أي: أنماها وأنقاها - وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم.

قال المباركفوري: "والمعنى: ألا أنبئكم بما هو خير لكم من بذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله"[٣]، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى، وقد وردت النصوص الكثيرة التي أمر الله سبحانه فيها بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦ واللفظ له.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

كثيرًا[1]، فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2]، وبيّن أنه سبب للمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]، وأنه سبب للفلاح، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

وأخبر سبحانه عن خسران من لهى عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[5]، وجعل سبحانه ذكره لهم جزاءً لذكرهم له كما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[6][7].

إن ذكر الله تبارك وتعالى له من الفضل ما لا ينكر، ومن الثواب ما لا يعلم حده ومنتهاه إلا الذي أعطاه سبحانه وتعالى وله من الفوائد الكثير.

قال ابن القيم: "في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

(١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه.

(٢) أنه يرضي الرحمن عز وجل.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

(٣) أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(٤) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(٥) أنه يقوي القلب والبدن.

(٦) أنه ينور الوجه والقلب.

(٧) أنه يجلب الرزق.

(٨) أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(٩) أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

(١٠) أنه يورثه المراقبة حتى يُدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(١١) أنه يورث الإنابة، وهو الرجوع إلى الله عز وجل.

(١٢) أنه يورث القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه.

(١٣) أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

(١٤) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

(١٥) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: (فاذكروني أذكركم). ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

(١٦) أنه يورثه حياة القلب.

(١٧) أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

(١٨) أنه يورثه جلاء القلب من صدئه.

(١٩) أنه يحط الخطايا ويذهبها.

(٢٠) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

(٢١) من ذكر الله تعالى ذكره ربه، ولذكر الله أكبر. قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ

أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

(٢٢) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

(٢٣) أنه ينجي من عذاب الله تعالى.

(٢٤) أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر.

(٢٥) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

(٢٦) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

(٢٧) أنه يسعد الذاكر بذكره ويُسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان.

(٢٨) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

(٢٩) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

(٣٠) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

(٣١) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

(٣٢) أنه غراس الجنة.

(٣٣) أن العطاء والفضل الذي رُتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

(٣٤) أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.

(٣٥) أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط.

(٣٦) لما كان الذكر متيسرًا للعبد في جميع الأوقات والأحوال فإن الذاكر وهو مستلق على فراشه يسبق -في الفضل والخير- القائم الغافل.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣٧) الذكر يفتح باب الدخول إلى الله عز وجل، فإذا فُتح الباب ووجد الذاكر ربه فقد وجد كل شيء.

(٣٨) في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة.

(٣٩) أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها وانفراطها له والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويُفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه. ويُفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل. ويُفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.

(٤٠) أن الذكر يُنبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته.

(٤١) أن الذكر شجرة تُثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون.

(٤٢) أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق.

(٤٣) أن الذكر يعدل حتى عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل والضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

(٤٤) أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

(٤٥) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكر الله[1].

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٠٠/٢ وما بعدها.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينًا، في ترغيبه ﷺ في ذكر الله ببيان أنه خير الأعمال وأحبها إلى الله، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله)، والترغيب من أهم الأساليب الدعوية، وأجداها نفعًا، وهو من الأمور المحببة إلى النفس، فتميل بطبعها إلى موافقة من أحبته، فيكون له أثره في استجابة المدعوين، وهذا مما يسبب نجاح الدعوة، والقرآن الكريم والسنة النبوية يكثر فيهما تطبيق هذا الأسلوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))، وفي رواية: ((سبَقَتْ غَضَبِي))[2].

وأسلوب الترغيب أوفق الأساليب الدعوية للنفس البشرية، إذ أن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله -بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ- لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري٧٤٢٢، ومسلم ٢٧٥١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٤٤٤)

١٤٤٤- وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه، أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: ((1) أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ افْضَلُ -)) فَقَالَ(2): ((سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ، واللهُ أكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ (وَلاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ) (3)، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ مِثْلَ ذَلِكَ)). رواه الترمذيُّ(4)، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على الباقيات الصالحات وحال هذه المرأة ينبيء ببعض ما كانت تنشغل به النساء في البيوت في عصر الراشدين، والراشدات، ويصور بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام ثباتهم على الطاعة، ولزومهم للباقي، وبالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث تجدد الذكر كلما قطعه قاطع في قوله (أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ) فجملة (وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً) تشير إلى ما شغلها وما عكفت عليه، وجملة (تسبح به) تشير إلى تجدد الذكر والانقطاع عليه، وقول الرسول ﷺ (أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أَفْضَلُ؟) استفهام عرض، وتشويق وتعليم لما رآه من

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ألا)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) (فقال) لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود.

(٣) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود، والمنذري.

(٤) برقم (٣٥٦٨) بدون الزيادات. واللفظ لأبي داود (١٥٠٠). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٣٧)، وقال الحاكم (١/٥٤٧): بإسناد أصحّ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٢٠).

استعدادها، وحرصها على ما يرضي الله تعالى، وقوله (سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ) هذا الدعاء مجمع للخيرات، والفضائل عوضها عن عد الحصى القليل بعد ما لا يحصى إجمالا لما يحقق الثواب مع قلة الألفاظ، وهو من رحمته بها، وحرصه على تحقيق الثواب لها كما تريد، وأضعاف أضعاف ما تريد، وتكرار لفظ (سبحان) لأنه المعنى المقصود من ذكر الأعداد، وهو تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وقوله (وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ) قال الطيبي أي ما هو خالق له من الأزل إلى الأبد والمراد الاستمرار فهو إجمال بعد التفصيل؛ لأن اسم الفاعل إذا أسند إلى الله تعالى يفيد الاستمرار من بدء الخالق إلى الأبد كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان، وقوله (والله أكبر مثل ذلك)، والمشار إليه جميع ما ذكر فيكون التقدير الله أكبره عدد ما خلق في السماء والله أكبر عدد ما خلق في الأرض والله أكبر عدد ما بين ذلك والله أكبر ما هو خالق والحمد لله مثل ذلك أي على هذا المنوال ولا إله إلا الله مثل ذلك أي على هذا الحال ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك أي كذلك، والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم التسبيح بالنوى والحصى: يجوز عند التسبيح بالنوى والحصى وكذا المسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأة على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى.

---

(١) حاشية رد المحتار ١/٦٥٠-٦٥١، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٩/٨٠.

أولاً - من أصناف المدعوين: النساء:

أشير إلى ذلك في الحديث، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، والنساء صنف لا يستهان به، فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1]، وهي تحظى بدور كبير واحترام عالٍ في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجل، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهنَّ راعيات الأطفال، وهنَّ المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها[2].

لقد حظيت النساء بدعوة النبي ﷺ ولهذا شواهد كثيرة، ومنها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: ((يا نساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاةٍ[3]))[4].

والمراد بالحديث -كما قال ابن حجر-: "لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئًا، ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب"[5].

وقال أيضًا: ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت. فيتساوى في ذلك الغني والفقير"[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٥٧.

(٣) فرسن شاة: بكسر الفاء وسكون الراء وكسر السين ثم النون: حافر الشاة، فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٧، واللفظ له، ومسلم ١٠٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٦) فتح الباري ١٠/٤٤٥.

وأما حكمة تخصيصهن بهذا التوجيه النبوي الكريم ﷺ فقال عنها ابن حجر: "وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منها"(١).

ب- نهي النساء عن رفع الرؤوس قبل الرجال: روى الإمام أحمد عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا تَرْفَعْ رَأْسَهَا حَتَّى يَرْفَعَ الرِّجَالُ رُؤُوسَهُمْ)) قالت: وذلك أن أُزرهم كانت قصيرة، مخافة أن تنكشف عوراتهم إذا سجدوا(٢).

وواضح في الحديث أنه ﷺ قام بتوجيه النساء المسلمات بأن يمتنعن من رفع رؤوسهن في الصلاة قبل الرجال.

ج- موعظة النساء يوم العيد: أخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قَامَ النبيُّ ﷺ يومَ الْفِطرِ فصلَّى، فبدأَ بالصلاةِ ثمَّ خَطبَ. فلما فرَغَ نَزَلَ فأَتى النساءَ فذكَّرهنَّ. الحديث(٣).

وقد ترجم البخاري عليه بقوله: "باب موعظة الإمام النساء يوم العيد".

وأخرج البخاري نحو هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، وترجم عليه بقوله: "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن".

فخلاصة الكلام: كان النبي الكريم ﷺ يقوم بدعوة النساء(٤).

ثانيًا- من آداب الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر:

إن الوظيفة الرئيسة للداعية: هي إرشاد المدعوين وحثهم على الخير وتحذيرهم من الشر، وتلك هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سننهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين(٥).

والوعظ والإرشاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وتأتي أهمية الوعظ

---

(١) المرجع السابق ٤٤٥/١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٩/٦، رقم ٢٦٩٥١، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره أحمد ٥١٤/٤٤.

(٣) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٩٧٨، واللفظ له، ومسلم جزء من حديث رقم ٨٨٥.

(٤) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٥١ - ١٥٣.

(٥) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

والإرشاد في أن الناس تصيبهم غفلة ونسيان فينغمسون في الدنيا وينسون الآخرة والعمل لها، وهنا تأتي مهمة الواعظ في تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وربطهم بربهم من جديد(١).

ومن ألوان الخير الذي يرشد إليها الداعية: إرشاد مدعويه إلى أفضل الذكر وكما جاء في الحديث: (ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك)، فإن الدلالة على أفضل أنواع الذكر حث عليها وإرشاد إلى ما هو أفضل وأعظم أجرًا، وطاعة لله وذكره، فذلك من حق تقاته، ودلالة على قوة معرفة العبد بالله تعالى، قال ابن رجب الحنبلي: "كلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله، ولهذا يُلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس، وتصير (لا إله إلا الله)، لهم كالماء البارد أهل الدنيا، كان الثوري ينشد:

لا لأنـي أنسـاك أكثـر ذكـرا ... ك ولكـن بـذاك يجـري لسـاني(٢)

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى:

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم الأنموذج التطبيقي والمثل الحي الأمثل في الاقتداء برسول الله ﷺ وذلك لم يكن مقتصرًا فيهم على شريحة دون أخرى وإنما كان نمطًا عامًا وأسلوب حياة، يعم الجميع الرجال والنساء، الكبار والصغار كما جاء في الحديث من تسبيح تلك الصحابية الفاضلة رضي الله عنها، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ عل امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، لذا ينبغي على المسلم الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى والإكثار من ذلك.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات، حسني ادهم جرار، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٧٤.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

قال ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون وفيها يتجرون وإليها دائمًا يترددون، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته"[١]، والذكر حياة القلب، قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[٢]، وهذه إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلوب، قال ابن تيمية: "الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا خرج من الماء؟"[٣].

وقد أمر الله تعالى بالذكر في كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلاً﴾[٤]، ونهى عن ضده من الغفلة والنيسان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٥][٦].

إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٢٣ - ٤٢٤، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٣ - ١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[١].

الذكر.. دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[٢]، والصلاة ذكر: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[٣]، والحج شرع للذكر: ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[٤].

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء ولا يوازيه شيء"[٥].

به يسبق أصحابه، ثبت عن أبي هريرة ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَـٰذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[٦].

وعن أبي عبدالله بن بسر ﵁: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: ((لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله))[٧].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٣) سورة طه، آية: ١٤.

(٤) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٥) انظر: كتاب (الله) أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٧) أخرجه الترمذي ٣٣٧٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٧).

الحديث رقم (١٤٤٥)

١٤٤٥- وعن أَبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((**ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**)) فقلت: بلى يَا رسولَ الله قَالَ: ((**لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب بليغ في الذكر بصيغة (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) وقول أبي موسى رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) يشير إلى اعتزازه، وسروره بما خصه به رسول الله من إخباره بهذا الكنز؛ لأنه صار كنزا له - وإن كان كنزا لكل من قال به - ولكن الأمر مختلف بالنسبة له؛ لأنه هو الذي أخبر به عن الرسول ﷺ فهو الذي دل على هذا الخير، فله أجر من عمل به إلى يوم القيامة، أرأيت كيف صار كنزا له ؟ ولذلك نجده في بناء العبارة يقدم الجار والمجرور (لي) على الفاعل لإفادة الاختصاص أي اختصني بهذا القول دون غيري، ثم إن صيغة الماضي (قال) تدل على الثبات، والتحقق، وقول الرسول ﷺ (ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟) استفهام عرض وتشويق أما العرض فيفهم من أداة العرض (ألا) وأما التشويق فيفهم من قوله (أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟) لأن الدلالة هداية إلى الخير، والتعبير بالكنز يوحي بخير كثير ليس فيه جهد كبير مع غلوه، وارتفاع قيمته وقوله (من كنوز) يشير إلى الكثرة وإضافة الكنوز إلى الجنة تعطيها أبعادا إيحائية تتخطى به حدود الكنوز المعروفة في الدنيا، لأن كل ما يتصل بالجنة ينصبغ بصبغة الخلود، وهي أهم صفات النعيم التي تمنع تنغيصه بفكرة زواله لاسيما مع عظمته التي تجعل فكرة التخلي عنه، وفقدانه من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤/٤٤) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه من حديث أبي ذر (٢٣٥٠)، ومعاذ بن جبل (٢٣٤٧).

أكبر المنغصات ثم إن اتصاله بالجنة يجعل العقل يذهب في تخيله كل مذهب مع اعتقاده بأنه فوق ما تصور، وقول أبي موسى - رضي الله عنه- (بلى يا رسول الله) إجابة متوقعة مفعمة بالشوق لما تفضي عنه مما يتعلق بالكنز، وقول الرسول ﷺ (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ) يحمل تفويضا لله في التصرف، والملك والقوة يتضمن اعترافا بصفات كماله ونعوت جلاله يتهالك المؤمن معها في إحساسه بذله، وضعفه مع مطالعة قدرة الله، في بسط سلطانه، وقهره، وتضؤل كل قدرة بجانب قدرته إلى درجة الخفاء، والعدم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من لفت نظر المدعوين إلى ما يريد الداعية إبلاغهم به، وتقرير حقيقة من حقائق الدعوة، وقد ورد هذا الأسلوب في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[3]، قال النسفي: "وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع،

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة الصف، آية: ١٠.

(٣) سورة النازعات، آية: ١٥.

والتشريف للمخاطب به"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير:

إن ما جاء في الحديث من دلالته ﷺ على كنز من كنوز الجنة: (ألا أدلك على كَنزٍ من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله)، دلالة قوية على ما ينبغي أن يكون عليه أتباعه الدعاة إلى هديه من حرص على المدعوين ودلالتهم على الخير، فذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سَنَنِهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين، والعظماء والمجاهدين[٢].

فإن دلالة المدعوين على الخير والحرص على منفعتهم تتبوأ في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجد وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية، وعد تعليم الناس العلم وتوجيههم، أفضل من الصلاة النافلة باعتبار نفعها يقتصر على صاحبها ونفع العلم له ولغيره، من أجل ذلك حرصت تعاليم الإسلام على ضرورة القيام بالدعوة إلى الله تعالى والأخذ بيد الناس نحو المنهج الأقوم والسبيل الأرشد[٣]، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤]، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((فو اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً واحدًا خيرٌ لكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

قال النووي: "(فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن تكون لك حمر النعم)، هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وهذا التشبيه لأمور الآخرة بإعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الإفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو

---

(١) تفسير النسفي ص ١٣١٨.

(٢) هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٦.

تصورت"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله:

جاء في الحديث التصريح ببيان فضل قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، بأنه كنز من كنوز الجنة، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال القاضي عياض: "وقوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز، وأن العبد لا يملك مع الله شيئًا، ولا يملك من دونه كما قال أهل اللغة: معناه: لا حول، لا حيلة، يقال: ما للرجل حيلة ولا حول ولا احتيال ولا محالة ولا محال ولا محتال، وقيل: الحول: الحركة، أي لا حركة، ولا استطاعة إلا بالله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: معناه: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله. ومعنى (كنز الجنة): أي: أجر مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك، وتبرأ من حوله وقوته، وفوض أمره إلى الله تعالى، ولمن قالها عن صدق نيته وتحقيق ضميره" [٢].

وقال ابن حجر: "سميت هذه الكلمة كنزًا لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس"[٣]، وقال النووي: "قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنى الكنز هنا: أنه ثوابٌ مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم"[٤]، وهي من الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٥].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٤٧١.

(٢) إكمال المعلم ٧/٢٠٠.

(٣) فتح الباري ١١/١٩٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٣.

(٥) سورة الكهف، آية: ٤٦.

وقال محمد تقي العثماني: "قوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) سمى النبي ﷺ الحوقلة كنزًا من كنوز الجنة، لأنها كلمة استسلام وتفويض واعتراف بأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شرّ ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: معناه: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله تعالى، ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله تعالى، حكاه الأبي عن القاضي عياض.

والحول: الطاقة، وقيل: معناه: لا يحول العبد عن معصية الله إلا بتوفيق الله ومعنى كون هذه الكلمة من كنوز الجنة أن قولها يحصل ثوابًا نفيسًا يدخر لصاحبه في الجنة"[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ))، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((التَّكْبِيرُ، والتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ))[2].

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]: "كثيرًا من الأقوال في بيان أن الحوقلة من الباقيات الصالحات، منها ما قاله محمد بن عجلان، عن عمارة قال: سألني سعيد بن المسيب عن (الباقيات الصالحات) فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[4].

وقد جاءت النصوص الكثيرة في بيان فضل قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) منها ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن تَعارَّ مِنَ الليلِ فقال: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير. الحمدُ

---

(١) تكملة فتح الملهم ١١/٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٢٧٥، رقم ١٧١٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن لغيره ١٨/٢٤١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢.

للَّـهِ وسبحان الله ولا إلـهَ إلا اللّـهُ واللّـهُ أكبرُ، ولا حـولَ ولا قـوَّةَ إلاّ باللّـهِ. ثـم قـال: اللـهمَّ اغفِرْ لي - أو دَعا - استُجيبَ لهُ. فإنْ توضَّأَ قبلَتْ صلاتُه))[1].

والحوقلة يراد بها إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمـور، وهو حقيقـة، وقيـل المعنـى: لا حـول عـن معـصية الله إلا بعـصمة الله، ولا قـوة علـى طاعـة الله إلا بمعونة[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في: (لا حول ولا قـوة إلا بـالله)، قـال: "لا حـول بنـا علـى العمـل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٤.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٣٩٨/٤.

(٣) الدر المنثور، السيوطي ٣٩٢/١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الروحية:

إن وشيجة ارتباط المتربي بالله تعالى، من أعظم دعائم التربية في ثبات النفس وحفظها من شواغل الدنيا وزوالقها، وذكر الله من أعظم هذه الوشائج الروحية التي يناط بالمربين والمعلمين إقامتها ورعايتها في نفوس المتعلمين، وهذا ما بينته أحاديث الباب.

"وقد حرص الإسلام على ربط قلوب أتباعه بالله عز وجل، فشرع لهم العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، منها ما يتكرر في اليوم مرارًا، ومنها ما يتكرر كل عام، ومنه ما تجزئ منه مرة في العمر.

ولكن الذكر يتصل في كل أحيان الإنسان وأحواله، ويطيقه الكبير والصغير والصحيح والمريض، وهو يكفل دوام الصلة القلبية بالله عز وجل، ويمنع قساوة القلب، ويزيل ما يعتريه من الغفلة، ويغسل عنه الران، ويملؤه بحب الله ورسوله وحب الإيمان، ويرغبه في التقرب إلى الله بشتى الطاعات.

كما أن تنوع الأذكار حسب المناسبات والأحوال يولد الترابط بين المؤمن وما حوله من أشياء وأحداث، فتكون سببًا في تذكيره بعظمة الخالق وقدرته وحوله وقوته، وقد وصفت عائشة رضي الله عنها دوام ذكر رسول الله ﷺ لله تعالى، فقالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1]. أي في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو لم يكن.

وقد اقتدى به أصحابه والتابعون، ومن بعدهم من أجيال الصالحين، فكان بلال رضي الله عنه يذكر الله، والمشركون يعذبونه بالرمضاء، يقول: أحد أحد، وكان الحسن البصري يقضي وقت فراغه بالذكر، يقول: سبحان الله العظيم، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

كان عامة كلام محمد بن سيرين: «سُبْحَانَ اللّه وَبِحَمْدِهِ. سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ»[(١)(٢)].

"وكان من الأمور التي تساعد دعاة التربية والتوجيه على غرس ذكر الله في قلوب المتعلمين، هو اصطحابهم لمجالس الذكر: كالمحاضرات، والندوات التي تعقد في المساجد وغيرها؛ فهي ما يثري الولد بالمعلومات، ويمده بالخير، ويعده لمواجهة الحياة، ويجيب على أسئلته التي تتردد في ذهنه، كما أنها تغذيه بالإيمان، وتربط على قلبه، وتربيه على أدب الاستماع"[(٣)].

ثانيًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن من أبرز معالم التربية الإسلامية، والتي تراءت في أحاديث الباب هي التربية بالترغيب والترهيب، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله بعظيم الثواب، وجزيل الأجر، كما ورد في مجمل الأحاديث، ورهب ﷺ في هجر الذكر وتركه بقوله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

والتربية بالترغيب والترهيب، من أعظم الأساليب التربوية التي تتماشى مع الطبيعة البشرية، والتي لا يستغنى عنها المربي في كل زمان ومكان إذا لا يمكن أن تجدي التربية، وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه. فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة. مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر. والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي، وتحض المعلمين والمربين على استخدامه بقدر ما يناسبه[(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٥١٦، ٥١٧.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٨٧-٨٩.

(٣) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم محمد، ١٥٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

ثالثًا- التربية بالتلقين والتعويد:

نقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية، ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد، وقد ورد التلقين كأسلوب تربوي في أحاديث الباب من قول سعد بن أبي وقاص ﷺ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ «قُلْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ......الحديث»، وقوله ﷺ لأم المؤمنين جويرية ﷺ: «ألاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقولينَها: سُبْحَان الله عَدَدَ خَلْقِهِ... الحديث»، وقوله ﷺ عندما دخل على امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ فَقَال: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ فقَال: سُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في السَّمَاءِ... الحديث».

أما التعويد كجانب عملي في التكوين والإعداد فقد ورد في حديث الباب من قوله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ... الحديث».

والتلقين والتعويد من مناهج التربية الإسلامية في إصلاح وتوجيه النشء المسلم، والتي يجدر بأهل التربية انتهاجها في بناء وإصلاح النفس.

"ولما كانت قابلية وفطرة النشء منذ صغره في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى... كان لزامًا على المربين من آباء وأمهات ومعلمين... أن يركزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة، وفي ذلك قال الإمام الغزالي: "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن النبي ﷺ أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لقوله ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[1]. وهذا هو الجانب النظري.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، ٤٦٦).

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة، وأدائها في المسجد بجماعة.. حتى تصبح الصلاة في حقه خلقًا وعادة.

فعلى المربين أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل، ويعطوا لتربية أولادهم حقها في التلقين والتعويد، والتأديب والتهذيب... فإذا فعلوا ذلك.. يكونون قد اضطلعوا بمسؤولياتهم وقاموا بواجباتهم، وبرّؤوا ذمتهم أمام الله، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام، ورسخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن، والمجتمع المسلم، والأمة الصالحة....، وما ذلك على الله بعزيز"[1].



(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٧٨-٦٨٣.

٢٤٥- باب ذكر الله تَعَالَى قائمًا أَوْ قاعدًا ومضطجعًا

ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلاَّ القرآن فلاَ يحل لجنب وَلاَ حائض

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

الحديث رقم (١٤٤٦)

١٤٤٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتناول في إجمال حال الرسول ﷺ مع ذكر الله ترويه الحبيبة المقربة إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأنها أكثر الناس ملازمة له بحكم علاقتها كزوجة من ناحية، ولكونها الأحب من ناحية أخرى، وإن كان يعدل بين أزواجه في المبيت، وقد كانت أكثر زوجاته نقلا عنه وقد اختصت بنقل دقائق حياته التي لا تطلع بها إلا من كانت لها هذه الصفة من القرب منه، وقولها (كان رسول ﷺ) يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، وفي هذا الحديث تشير كان إلى العادة حتما، وعلى الدوام، لأنها تقرر اتصال ذكر الرسول ﷺ في كل حين حتى، وإن نام فإن عينه تنام، وقلبه لا ينام، لأنه على اتصال دائم بالله تعالى وقول أم المؤمنين (يذكر الله على كل أحيانه) الفعل المضارع الذي يفيد التجدد، والحدوث لا يعني انقطاعه عن الذكر ثم تجديده، وإنما يشير التجدد إلى الانتقال من نوع من أنواع الذكر إلى نوع آخر

---

(١) برقم (٣٧٣/١١٧)، وأورده البخاري عقب الحديث رقم (٦٣٣، كتاب الأذان، باب ١٩) معلقًا.

كانتقاله من الذكر بالصلاة إلى الذكر بقراءة القرآن أو إلى الذكر بصيغة من الصيغ التي سبقت في أحاديث الباب فهو متقلب في أنواع الذكر لا يخلو عنها من واحد، وهو ما صوَّرته أم المؤمنين بالمضارع (يذكر) ويؤكد ذلك لفظ الشمول (كل) الدال على الشمول، والمضاف إلى الظرف المجموع (أحيان) المضاف إلى الضمير العائد على الرسول ﷺ تأكيدا على هذا الدوام في الذكر وعدم الانقطاع عنه، فعلى وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان أن يتمثلوا حاله بدوام الاتصال بالله على قدر الطاقة فهو الفلاح المبين، فما ترك هذا العمل من تركه لمشقته، وكلفته فإنه أيسر الأعمال، وإنما الموفق من وفقه الله تعالى-.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه:

جاء ذلك في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، قال ابن عثيمين: "أي على كل الأزمان، في كل زمن يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، ففي هذا دليل على أنه ينبغي لك أن تكثر من ذكر الله في كل حال"(١)، ولقد نقل الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أذكارًا متنوعة، في أوقات مطولة ما يدل على ذكره ﷺ لربه في غالب أحيانه، من ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنّا معَ النبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ من عُسفانَ ...، فلما أشرَفنا على المدينةِ، قال: ((آيبونَ، تائبونَ، عابدونَ لربنا حامِدون. فلم يَزَلْ يقول ذلكَ حتّى دَخَل

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٢٧.

المدينة))[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبيُّ ﷺ صلاةً بعدَ أن نزلت عليه (إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ) إلا يقول فيها: ((سبحانك ربَّنا وبحمْدِك، اللّهُم اغفرْ لي))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ))[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت:

لقد أرشدنا تعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سننه، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٥]، ومنها مداومته ﷺ على الذكر، كما جاء في قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، فكان ﷺ يذكر الله تعالى متطهرًا ومحدثًا وقائمًا وقاعدًا ومضطجعًا وماشيًا اللهم إلا ما استثنى بكراهة الذكر عليه من جلوس على البول والغائط، وفي حالة الجماع وغير ذلك[٦]، فإن الإكثار من الذكر من الآداب التي تنبغي للذكر، فالإكثار من الذكر والإخلاص وحضور القلب وتواطؤ القلب واللسان عليه من آدابه[٧].

قال ابن القيم: "وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩١/٦.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٣٢٤.

(٧) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٠.

(٨) الوابل الصيب ص ٢٦٠.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وإن الإقتداء برسول الله ﷺ في ذلك لمن الآداب الدعوية التي تعين على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى.

قال القاضي عياض: "وقوله: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)، دليل أنه لا يمنع من على غير طهارة من ذكر الله تعالى"[2].

إلا أن الأولى والأفضل أن يكون الذاكر لله تعالى على أفضل الأحوال وأكمل الصفات.

قال النووي: "ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسًا في موضع استقبل القبلة وجلس متذللاً متخشعًا بسكينة ووقار مطرقًا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك - أي ترك الذاكر ذلك - بغير عذر كان تاركًا للأفضل، وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خاليًا نظيفًا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة، وقد جاء عن أبي ميسرة رضي الله عنه قال: «لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب»، وينبغي للذاكر أيضًا أن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغيُّرٌ أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، فإن ذكر ولم يفعل فهو مكروه، وليس بحرام، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس وغيره"[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الإكثار من ذكر الله تعالى ببيان أن ذلك كان حال النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) إكمال المعلم ٢/٢٢٧.

(٣) الأذكار، النووي ص ١٧ - ١٨.

أحيانه، وأسلوب الترغيب من الأساليب المجدية في الدعوة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفعل الطاعات والحث عليها، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[1].

ولقد حفلت آيُ الذكر الحكيم بالآيات المرغبة في عمل الخير بالجنة وما فيها من أجر عظيم وثواب جزيل، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

كما وردت الأحاديث الكثيرة أيضًا في الترغيب فيما عند الله، ومنها ما ري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ)). قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: ((قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ))[3].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية وأعظمها نفعًا، ولا أدلّ على ذلك من أن الإسلام هذا الدين العظيم، والنهج الأكمل يربي الناس على الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، فكما أن هنالك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس، ويهز الأفئدة، ويرهب القلوب، فإن هنالك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٧، ومسلم ٢٧١٠ واللفظ له.

ما يطمئن النفس، ويسلي القلب ويؤنس الخاطر، ويبعث على الأمل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[4].

إن الواجب على العالم في علمه، والمربي في تربيته، والواعظ في وعظه أن يجمع بين الأمرين، ويقرن بين الحسنيين، ويمزج بين الغرضين، فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج، وأداة للتقويم، وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل، والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب، ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا، وألذ سماعًا، وأطرب استمتاعًا.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة، ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل، مقرونًا بالطاعة، ممزوجًا بالعطاء، فليس معنى الرجاء أن ينغمس المرء في الذنوب، ويتقاعس عن الطاعة، ويتنكر للعبادة، ويفرط في الحقوق، ويضيع الواجبات، ثم يرجو النجاة من النار والفوز بالجنة، بل هو يعمل ويرجو، ويجتهد ويطمع، ويبذل ويرغب، وهو معترف بتقصيره مقرٌّ بذنوبه، مؤمل في نيل غفران ربه.

وإذا تأملت الآيات القرآنية أدركت هذه الحقيقة وآمنت بهذا المبدأ:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٤) سورة القارعة، الآيات: ٦ - ٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2][3].

---

(١) سورة فاطر، الآيتين: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) انظر: كتاب الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤ - ٦٦٥.

الحديث رقم (١٤٤٧)

١٤٤٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((لَوْ أنَّ أحَدَكُمْ إذَا أتَى أهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرُّهُ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

من عظمة الإسلام أنه أحاط المسلم برعايته، وعنايته حتى قبل أن يخلق يوم كان ماءً في ظهر أبيه يرعى انتقاله في سلامة من الشيطان إلى بطن أمه ليكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يتم مراحل حياته في أطوار نموه محفوظا من عدوه في عالم الغيب بالاستعانة بالله، وحفظه، وقد جاء حديث الرسول ﷺ لينبه على فكرة لا تخطر على قلب إنسان، ولا يتحدث بها إلا نبي، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط لربط قول الدعاء المذكور في التوقيت المحدد وقت إتيان الأهل بتحقق الحفظ من ضرر الشيطان لما قدر بينهما من الولد، وقوله يعلق امتناع الضرر على تحقق القول، ولفظ (أحدكم) يفيد تعميم هذا الحكم وقوله (إذا أتى أهله) كناية عن الجماعة، والمقصود بالأهل الزوجة خاصة، وهو مشهور في تعبير العربي وقوله (بسم الله) أي ابتدأ باسم الله، وتتضمن الاعتراف بالنعمة التي أنعمها على العبد برزقه لذة من حلال ومتعة مع أجر، في الآخرة، ورجاء فضل في الدنيا بالرزق بالولد، وقوله (اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا) هو حماية لهذا المولود من الشيطان، ومنع للشيطان من مشاركة الإنسان في جماعه، فإذا كان المؤمن يغار من أن يشاركه حلاله، - ولو بأقل القليل - أي إنسان، فكيف يرضى بأن يشاركه زوجه، وولده شيطان، والعياذ بالله، وَقَوْلُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١) واللفظ له، ومسلم (١٤٣٤/١١٦).

عَلَيْهِ السَّلَامُ " لَمْ يَضُرَّهُ " يُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ عَامًّا يَدْخُلُ تَحْتَهُ الضَّرَرُ الدِّينِيُّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ خَاصًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الضَّرَرِ الْبَدَنِيِّ بِمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَبَّطُهُ، وَلَا يُدَاخِلُهُ بِمَا يَضُرُّ عَقْلَهُ أَوْ بَدَنَهُ وَهَذَا أَقْرَبُ وهذه الجملة هي جواب الشرط تقضي بتحقق الحماية في عالم غيبي لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيه بحماية إلا بهذا الدعاء، والله خير حافظا، وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل أن يأتي الرجل أهله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل أن يأتي الرجل أهله:

إن ذكر الله تعالى مستحب في جميع الأوقات والأحوال، ومن ذلك ذكر الله تعالى قبيل الجماع فإن في ذلك سبب لتحصيل البركة في المولود وصلاحه، وأن ترك الذكر يكون سببًا في سيطرة الشيطان عليه[1]، وهذا ما ورد في قوله ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره).

قال النووي: "قال القاضي: قيل: المراد: بأنه لا يضره أنه لا يصرعه شيطان، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره، قال: ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والوسوسة والإغواء، هذا كلام القاضي"[2].

وقال القرطبي: "وقوله: (لو أن أحدهم إذا أتى أهله...) قيل: معنى لم يضره: لم يصرعه الشيطان وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته، ومقصود هذا الحديث والله تعالى أعلم أن الولد الذي يقال له ذلك يُحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه، ولا يكون للشيطان عليه سلطان، لأنه يكون من جملة العباد المحفوظين، المذكورين في قوله

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ٨٩٧.

تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[١]، وذلك ببركة نية الأبوين الصالحين، وبركة اسم الله تعالى، والتعوذ به، والالتجاء إليه. وكأن هذا شوب من قول أم مريم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢]، ولا يُفهم من هذا نفي وسوسته، وتشعيثه، وصرعه. فقد يكون كل ذلك، ويحفظ الله ذلك الولد من ضرره في: قلبه، وعاقبة أمره. والله تعالى أعلم[٣].

وقال ابن علان: "لم يضره: أي: الشيطان، وحذف المعمول ليعم، والمراد: أن الضرر الناشئ من تسلط الشياطين كالصرع وإلقاء الوسوسة في الصدر يندفع بقوله هذا عند إرادة الجماع"[٤].

فإن لجوء الإنسان إلى ربه في هذه الحال واستعاذته به من الشيطان من أن يضره أو يضر أهله أو يضر ما يقدره الله له من ولدٍ من الأمور المستحبة التي تجعل الإنسان في حصن حصين من الشيطان، فالاستعاذة صمام أمن في الحياة وُجّنة من كل خطر وتجنب الإنسان الضرر سواء كان حسيًا أو نفسيًا[٥].

والحكمة في ذلك أن الشيطان له مشاركة في الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٦].

قال ابن كثير: قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله ووأده وغير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخصص بقوله

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٦.

(٣) المفهم ٤/١٥٩ - ١٦٠.

(٤) دليل الفالحين ص ١٥٠٦.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢/٢٢٦.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٦٤.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَٰلِ والأَوْلَٰدِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصي الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة.

وهذا الذي قاله مُتَّجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول الله عز وجل: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ. فجاءتهم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ))[1] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((لو أنَّ أحدَهم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلهُ قال: باسم اللّه، اللهمَّ جنِّبْنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزَقتنا، فإنه إن يُقدَّرْ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا))[2]"[3]. فإذا دعا المسلم بهذه الدعوة سلم من هذه المشاركة ووُقي من شره"[4].

وتتجلى أهمية الاتباع للهدي النبوي في ذلك في الامتثال والاتباع لهدي النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[6]، وذكر الله عند إتيان الرجل أهله من أكبر الأسباب في وقاية الولد من الشيطان، كما جاء في الحديث: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

فما أروع هذا التوجيه النبوي الذي يدعو إلى البدء بذكر الله عند هذه الحال للإعلان عن هدفها السامي وطهارتها بخلاف نظرية بعض الأديان الأخرى التي تعتبر

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١، ومسلم ١٤٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٩٤/٥ - ٩٥.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر القسمان الثالث والرابع ص ٣٠٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

هـذه العملية قـذارة ولوثـة ممـا هـو يـصطدم مـع الفطـرة الـسليمة [١]، فمـا أجمـل تعـاليم الإسلام إذ تصبغ كل شيء في الحياة بذكر الله تعالى واستحضاره، إضافة إلى ما في ذكـر الله تعـالى مـن اعـتراف بنعمـه المتواليـة، وآلائـه المتتاليـة، وشـكر لـه علـى تفضله وإنعامه وجوده وإحسانه، وفيه لجوء إليه وحده، واعتمـاد عليـه دون مـا سـواه بـالتعوذ بـه سبحانه من نزغات الشيطان[٢]، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يبنى ذلك المقام عليها، كما بني الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد ذلـك في الحـديث في الترغيـب في ذكـر الله إذا أتـى الرجـل أهلـه ببيـان أن ذلـك وقاية من ضرر الشيطان للولد، فقال ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

وفي ذلك ترغيب للمسلم أنه ينبغي عليه الإكثار من ذكـر الله في كل حـال، ومـن ذلك عند إتيان الرجل أهله"[٤].

إن أسلوب الترغيب من أنفع الأساليب الدعوية وأجداها وذلك لملائمته لطبيعة النفس التي لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرهـا، ومـا جـاء بـه الـشرع الحنيـف كلـه - بعـد الإقـرار بالوحدانيـة وصـدق الرسـول ﷺ - لا يعـدو أن يكـون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبـة فيمـا عنـد الله تعـالى والرهبة من عقابه [٥].

والترغيب له بالغ الأثر في غرس الطموح وعلو الهمة في قلب المؤمن وتطلعه دائمًا إلى الأفضل والأحسن وإحراز الخير ولا سيما الذي رغب فيه الشرع ودعا إليه الإسلام.

---

(١) تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، ط/٦ دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٢٥.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع ص ٨.

(٣) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ١٣٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٥٢٧/٢.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الانشغال بذكر الله:

إن منهج التربية الإسلامية يّرقُبُ في المسلم أن يكونَ ذا يقظة دائمة، فلا تختلجه وهده في أخلاقه، ولا تعتريه سقطه في سلوكه وآدابه، فهو منهج رفيع ينشد الكمال في تربية أبنائه، وحتى يتسنى تحقق ذلك رغم ما تعتريه الدنيا من فتن وشواغل، فقد أوجب هذا المنهج التربوي الفريد عدم الغفلة عن ذكر الله؛ "لما فيه من إنقاذ النفس من آلامها وأتعابها واضطرابها"(١).

وهذه ما جسده المربي الأول محمد ﷺ في حديث الباب من قول عائشة رضي الله عنها: «كانَ رسول الله ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الانشغال بذكر الله في نفوس المتعلمين كان عليهم ما يلي:

١ - مطالعة القلوب لأسمائه تعالى وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبها في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله انشغل بذكره في كل حالة"(٢).

٢ - تعاهد المتعلمين والمتربين بسيرة السلف الصالح في انشغالهم بذكر الله.

يقول أبو بكر الكتاني:

إنه قد جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى - أيام المواسم - فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا. فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني، ص٣٥ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٤٩/٣.

فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين"[١].

٣ - مراعاة التدرج في غرس الانشغال بذكر الله في قلوب المتعلمين، فلا يُكلف المتربي من أول وهلة بضرورة بلوغه الكمال في ذلك، بل التدرج أبلغ في الثبات وأقوى على المداومة.

ثانيًا: التربية على التحرز من الشيطان:

لقد ناصب الشيطان العداء لبني آدم، ولذا فإن النبي ﷺ حرص على تربية المؤمنين على التحرز من الشيطان، وذلك من خلال ذكر الله والاستعاذة بالله منه، وأوجب ما يكون به التحرز من الشيطان هو ذكر الله تعالى. وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب في قوله ﷺ: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره".

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله:

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة - أي التحرز من الشيطان - لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه. وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي "الوسواس الخناس" أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي: كف وانقبض، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس[٢].



(١) المرجع السابق، ٣/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٩٥.

٢٤٦- باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه

الحديث رقم (١٤٤٨)

١٤٤٨- عن حُذَيفَةَ، وأبي ذرٍ رضي الله عنهما، قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا أوَى إلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((باسْمِكَ اللَّهُمَّ أحْيَا وَأموتُ)) وَإذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

النشور: الحياة بعد الموت، يقال نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه[2].

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث صحابيان جليلان هما حذيفة، وأبو ذر - رضي الله عنهما - وهو ما يزيد الخبر الذي يرويانه توكيدا وقولهما (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى أنها العادة الغالبة عند نومه أن يدعو بهذا الدعاء ويؤكده أسلوب الشرط في قوله (إذَا أوَى إلَى فِرَاشِهِ) والعبارة كناية عن إرادة النوم، والتهيؤ له وجملة الشرط قول هذا الدعاء (باسْمِكَ اللَّهُمَّ أحْيَا وَأموتُ) أي لا أنفك عن اسمك في حياتي ومماتي وهو إشارة إلى مقام

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٢، و٦٣١٤) من حديث حذيفة. والسياق للحميدي في جمعه (٢٨٥/١، رقم ٤٠٤): حيث قال: عن ربعي بن حراش، قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه، قال: (باسمك اللهمّ أحيا وأموت). وإذا أصبح. وفي رواية: إذا استيقظ قال: (الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور). وهذا لفظ حديث أبي حذيفة وتقدم برقم ٨١٧، وسيكرره المؤلف برقم (١٤٦٨)، الشطر الأول منه فقط.

(٢) النهاية في (ن ش ر).

التوحيد وقيل الاسم مفخم من قبيل سبح اسم ربك يعني أنت تحييني، وتميتني أراد به النوم، واليقظة فنبه على إثبات البعث بعد الموت، والتعبير بالإحياء، والإماتة عن النوم، واليقظة له بُعد نفسي وهو مقبل على النوم يشعره بالموت الأكبر لأنه في النوم يفارق روحه، ويغيب عن دنياه إلى عالم آخر ليس له فيه حول ولا قوة، وهو ما يشيبه في كثير من الوجوه حال الموت، وهذا الشعور يقرب له فكرة الموت، والبعث عن تجربة تقربه من اليقين مع بعثه على الاستعداد بصالح العمل، والاستغفار قبل كل نومة ينامها لا يدري إن كانت ستعاد إليه روحه أم لا، وقوله (وَإذَا اسْتَيقَظَ قَالَ :((الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ) أسلوب شرط آخر يشير إلى عادته في الدعاء عند اليقظة، وقد بدأ بالحمد المنبيء عن النعمة برد الروح والطباق بين الإحياء والإماتة يقرر الحمد على نعمته المستغرقة للحالتين، وقوله، (وإليه النشور) تكميل بلاغي قرر معنى يضاف إلى ما سبق وهو أن المرجع إليه عند البعث، وهو تسليم للقلب والروح لله خضوعا وذلا يحقق راحة نفسية تقابل تسليم الجسد خلودا إلى الراحة بما يحقق للمؤمن التوازن المعين على تحقيق الغاية بعد.

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتأمل:

إن من حكمة الله تعالى، أن جعل للإنسان في حياته أمورًا تشابه ما يحدث له في آخرته؛ ليكون دائم التذكر والاتصال بالله خوفًا ووجلاً وترقبًا للقائه تعالى، ولعل أبلغ ما جعله الحق في ذلك هو نوم الإنسان واستيقاظه، ففي النوم تذكر للموت، وفي الاستيقاظ تشبه بالنشور، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله ﷺ: إذا أوى إلى فِراشِهِ قالَ: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وأحْيا» وإذا اسْتَيْقَظَ قالَ: «الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أحيانا بَعْدَما أماتَنَا وإليهِ النُّشُورُ».

فيجب على المتربي والمتعلم "أن يتأمل ويتذكر عند نومه أنه نوع وفاه، وأن استيقاظه هو نوع بعث، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[2].

قال لقمان لابنه: يابني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت؛ وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد موتك فكذلك تبعث بعد موتك، وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن، واستقبل القبلة بوجهك، فإنها هي وفاة.

لذا يجب على المتربي والمتعلم أن يفتش عن ثلاثة عند نومه:

١- على ماذا ينام.

٢- ما الغالب عليه!! هل حب الله تعالى وحب لقائه أم حب الدنيا.

٣- ليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب"[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، ٢/٦٢٢ باختصار.

ثانيًا- التربية على شكر الله تعالى:

إن أعظم الناس شكرًا لله محمد بن عبدالله ﷺ، فهو إمام الشاكرين وسيد العابدين، لقد امتزج الشكر بأنفاسه، وسار في عروقه، ورسخ في وجدانه، وهذا ما تراثى في حديث الباب من قول حذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ.. إِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن أعظم البلايا التي تصيب المرء، عدم استشعاره نعم الله تعالى عليه، وفي ذلك قال الشاعر:

وَمِنَ الرزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِي صَامِتٌ ... عَمَّا فَعَلْتَ وأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ

أَأَرَى الصَّنيعةَ منكَ ثُمَّ أُسِرُّها ... إنِّي إذًا لنِدَى الكِرامِ لَسَارِقُ

والمرء إن نظر في نفسه وحاله ومن حوله، تربى على شكر الله جلَّ وعلا، فالله هو الذي خلقك -أيها المتربي-، وهو الذي رزقك، وهو الذي هداك للإيمان، وجمّلك بالإسلام، وأعانك على ذكره، ووفقك لشكره، فكل الفضل والمن والثناء والحمد والشكر له جل وعلا، ولكن مع ذلك فمن تمام نعمته، وعظيم بره، ووافر كرمه، ولطيف جوده، أن ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويوفقك إلى الثناء عليها، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك له، ويجعله سببًا لتوالي نعمه عليك، واتصالها إليك، ويمن عليك بالزيادة في الدنيا، والمغفرة في الآخرة، فهو يحب منك الشكر، ويرضاه لك، ويثيبك عليه، ومنفعته لك، وثمرته لك ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[1][2].

لذا وجب على المتربي والمتعلم أن يعي عظيم شكر الله، بعدم الغفلة عن حمده تعالى، والثناء على جميل إحسانه، وعظيم امتنانه سبحانه.



---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٦٢٢.

٢٤٧- باب فضل حِلَقِ الذكر

والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (١٤٤٩)

١٤٤٩- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أعْلَم[١] -: مَا يقولُ عِبَادي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: يقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً[٢]، واكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً. فَيَقُولُ: فماذا يَسْألونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فَكيفَ لَوْ[٣] رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وأشدَّ لَهَا طَلَباً، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ[٤] مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأَوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)). متفق عَلَيْهِ[٥].

---

(١) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٢) عند البخاري زيادة: (وتحميدًا) وليست عند المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٣) عند البخاري زيادة: (أنهم). وهي ليست عند المنذري.

(٤) (يتعوذون) لا توجد عند البخاري، وهي عند المنذري.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

وفي رواية لمسلمٍ[1] عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إن للهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا، فإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ﷻ - وَهُوَ أعْلَمُ[2] -: مِنْ أيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أيْ رَبِّ. قَالَ: فكيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالوا: ويستجيرونكَ. قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأوْا نَارِي؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَومُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يلتمسون أهل الذكر: يطلبونهم[3].

هلموا: تعالوا، وأصلها من ها التنبيه، ومن: لُمّ أي: ضم نفسك إلينا[4].

فيحفونهم بأجنحتهم: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[5].

يمجدونك: يحمدونك ويعظمونك ويشرفونك[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩/٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

(٢) عند مسلم زيادة: (بهم).

(٣) النهاية في (ل م س).

(٤) القاموس المحيط في (هـ ل م).

(٥) فتح الباري (٢١٥/١١).

(٦) النهاية في (م ج د).

يتعوذون: يستجيرون ويعتصمون ويلجأون[١].

ملائكة سيارة: ملائكة سياحون في الأرض[٢].

فُضُلاً: زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق[٣].

عرجوا: صعدوا[٤].

ويهللونك: يوحدونك، يقال: هَلَّلَ الرجل قال: لا إله إلا الله[٥].

ويستجيرونك: يطلبون الجوار أي الأمان[٦].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما ورد في باب الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى جاء في حوار علوي بين الله والملائكة يقوم على السؤال، والجواب ومن المعلوم البين أن الاستفهام الصادر عن الله لا يقصد به حقيقته، وهي طلب الفهم لإحاطة الله بدقائق الكون، وإنما يقصد منه معاني بلاغية بحسب ما يقتضيه المقام وقوله تعالى، (ما يقول عبادي...؟) وقوله: (وهل رأوني ؟...) وقوله: (... وكيف لو رأوني؟...) هو استفهام إشادة، وتنويه بفضل الذاكرين من بني آدم، وتنبيه للملائكة إلى هذا الفضل وتلك المنزلة لأنهم ظنوا أنهم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء، وأنهم هم الملائكة الذين يسبحون، ويقدسون، فلقد نبههم إلى خطأ ما اعتقدوا، وصدق الله فيما أخبر، وأن بني آدم يسبحونه، ولم يروه، فأشار إلى هذا بقوله :(وهل رأوني؟...) فإذا أجابوه بالنفي قال (فكيف لو رأوني؟...) والملائكة يسبحون الله، ويقدسونه عن علم يقين بخلاف إيمان بني آدم الصادر على غيب، وهكذا يكرر هذا الاستفهام زيادة في التنبيه، والتأكيد على فضل الذاكرين فيسألهم (فما يسألونني؟...)

---

(١) النهاية في (ع و ذ).

(٢) شرح مسلم، النووي (١٥٨٨).

(٣) النهاية في (ف ض ل).

(٤) النهاية في (ع ر ج).

(٥) المعجم الوسيط في (هـ ل ل).

(٦) ينظر شرح مسلم، النووي (١٥٨٩).

فيجيبون (الجنة) فيسألهم (وهل رأوها؟...) وهكذا يكرر الاستفهام التقريري للملائكة تأكيدا على أن إيمان بني آدم وكلفهم بذكر الله مع أنهم لم يروه، ولم يرو جنته ليطمعوا فيها، ولم يروا ناره ليخافوا منها، ولكنه كان إيمان، وحب لله عن غيب، قال القسطلاني في شرح الحديث: (والحكمة في سؤال الله الملائكة عن العباد بيان فضل بني آدم للملائكة الذين قالوا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1] أي: (فهم الآن يشهدون لبني آدم أنهم أيضاً يسبحون الله، ويمجدونه عن غيب مع وجود الشهوات عندهم، وخلو الملائكة عن الشهوات والصوارف فيكون ذلك اعترافا منهم بفضل بني آدم...)[2] اعترافا ممثل في هؤلاء الذاكرين، وفي هذا تنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة، وحضورها وتكريم لأهلها، ولمن حولهم ببركتهم حيث أنعم عليهم بفيض غامر من المغفرة أحاط بهم في قوله (فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم) ، وفاض على من حولهم ، وهو ما قرره خلال الحوار بين الملك وبين ربه: (يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) وهو ما يشير إلى مدى الحفاوة بالذاكرين، ويرغب غيرهم في الانضمام إليهم ومشاركتهم في هذا الفضل العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) انظر الأحاديث القدسية جـ ١ صـ ١٧: ١٨.

سادساً: من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته.

سابعاً: من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق) والتوكيد من الأساليب الدعوية النافعة المقوية للدعوة، كما قال السيوطي: "إن التوكيد الغرض منه تقوية الكلام وإثبات صحته"[1]، وذلك ما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد كثيراً في تقرير قضاياه، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر:

إن مجالس ذكر الله تعالى تجلب رحمات الله وتستهوي ملائكته، فهم يلتمسونها ويحفون بها، إن مجالس الذكر مجالس الملائكة كما أن مجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة، وقد ورد في صريح الحديث التماس مجالس الذكر ومناداة بعضهم بعضاً لحضورها وشهودها فقال ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا)، وفي رواية مسلم: (فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عبدالرءوف سعد، ط/١ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٩٨٩م، ١/٣١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٩.

قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[١]، ويحدقون بهم ويستديرون حولهم[٢]".

وجاء هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[٣].

وقد عدّ ابن القيم ذلك من فوائد الذكر، فقال في فائدة الذكر الثانية والخمسون: "إن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم إلا مجلس يذكر الله تعالى.

كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يَطوفون في الطرُقِ يَلتمِسونَ أهلَ الذكر، فإذا وَجَدوا قوماً يذكرون الله تَنادَوا هَلمُّوا إلى حاجَتِكم، قال: فيَحفُّونهم بأجنِحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهوَ أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبّحونك ويُكبرونك ويَحمدونك ويُمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لاوالله مارأوك. قال: فيقول: كيفَ لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأَوكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيداً، وأكثر لك تَسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنَّة. قال: يقول: وهل رأَوها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيفَ لو أنهم رأَوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوَّذُون؟ قال: يقولون: منَ النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مخافة. قال: فيقول: فأُشهِدُكم أني قد غَفرتُ لهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٩.

(٣) اخرجه مسلم ٢٧٠٠.

قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلَساء لا يَشقى جَليسهم))[١].

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم. فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[٢]، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين وكل مضاف إلى شكله وأشباهه وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه"[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتجلى هذا الأسلوب في الحديث فيما دار بين الله والملائكة من حوار: (فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا الله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة... قال فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، والحوار من أساليب الدعوة النافعة، وتتجلى قيمته في تأثيره في بناء مفهوم أو غرس قيمة، أو تأثير في النفس حثها على الاستجابة، ومن أشكال الحوار، حوار السؤال والجواب[٤].

ومنه ما جاء في الحديث من حوار بين الله وملائكته على هيئة سؤال وجواب، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٣١.

(٣) الوابل الصيب، ضمن مجموعة كتب الحديث ٢/٣٤٥.

(٤) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص ٤٧، ص ٨١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

إن الحوار العنصر الأساس للعلاقات الاجتماعية الإنسانية، ومنذ خلق الله تعالى آدم فإن كل العلاقات البشرية النافعة منها وغير النافعة ابتدأت بمرحلة الحوار، وبالتالي فإن الحضارات الإنسانية المترتبة على هذه العلاقات، إنما هي نتائج طبيعية للحوار الإنساني المعبر عن التفاعل والفكر المتبادل لبني آدم عليه السلام.

ولا شك أن أرقى أنواع الحوار هو حوار الدعوة إلى الله تعالى، ذلك هو حوار الرسل وأتباعهم، لفطرة الإنسان، ليجلو عنها ما ران وغبر ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[1].

ومن جنس هذا الحوار: حوار الدعاة بينهم، للقيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، ولكي يكون هذا الحوار متجانساً في رقيّه مع مقصوده، ولكي يحقق التفاعل اللازم؛ لتكامل عناصر القوة والخير في الوجود الإسلامي، فلا بد من فهم واستيعاب الضوابط الشرعية التي تحقق هذا المقصد العظيم، ومن مقاصد الحوار:

أ/ قصد نفع الآخرين للتفاعل مع الرأي المقابل: وهذا هو المشروع الذي يكتمل فيه الخير ويزدهر.

والمقصود بالتفاعل هنا هو: مراجعة محاور الرأي، أو الاجتهاد المعروض من قبله بالنظر والاعتبار إلى ما يعقب عليه الآخرون من معارضة أو تقييد أو نحو ذلك، مما يقتضي التعديل، والصيرورة إلى حقيقة ما تقتضيه هذه التعقيبات من تعديل أو الإجابة عليها، وإثبات عدم اقتضائها لذلك التعديل.

إن هذا التفاعل هو من أعظم أسباب رقي المعرفة والأخلاق، كما أن فيه تحقيق معنى الأخوة والتناصح، وتحقيق قوله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ مِرآةُ الْمُؤْمِنِ))[2].

وفي هذا التفاعل يتحقق معنى الجماعة، وما فيها من الرحمة: في التناصح

---

(١) الكهف، الآيتان: ٣٧ - ٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١٠).

والتسديد، وما فيها من القوة: في إضافة الصواب إلى الصواب، وفي تحويل الخطأ إلى صواب.

ب/ قصد نفع الآخرين بلا تفاعل مع الرأي المقابل: فهذا يريد أن يلقي كلمته ويمضي، وهذا لا شك فيه قصور مع ما قد يكون فيه من النفع، بغض النظر عن مستوى هذه المحاور، فقد كان رسول الله ﷺ يتفاعل في حواره مع أبسط الناس:

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرَ الرأْسِ يُسمعُ دَوِيُّ صَوتِه ولا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتى دَنا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عنِ الإِسلامِ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: ((خَمسُ صَلَواتٍ في الْيَوْمِ والليلةِ. فقال: هَل عَلَيَّ غَيْرُها؟ قال: لا، إلاّ أنْ تَطَوَّعَ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: وَصِيامُ رَمَضانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيرُهُ؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال وَذَكرَ له رسولُ اللّهِ ﷺ الزَّكاةَ، قال هلْ عَلَيَّ غَيرُها؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال فأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يقولُ: وَاللّهِ لا أزِيدُ عَلَى هذا ولا أنقُصُ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أفلَحَ إنْ صَدَقَ))[1].

فمن لا يتفاعل فإنه يسور عقله وأخلاقه بسور يمنعه التصحيح إن كان مخطئاً، ويمنعه الارتقاء والإبداع فيما عنده من الخير، ثم يمنعه معرفة حقيقة قدره فيوقعه ذلك في أخطاء أخرى[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار:

لقد جاءت النصوص متضافرة على أهمية سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وذكر أن ذلك من صفات المؤمنين، كما هو واضح في الحديث، (قال: فيقول: فما يسألون؟، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، فيقول:

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١.

(٢) انظر: افتتاحية مجلة الحكمة، العدد: الثامن ص ١١ - ١٢.

فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم).

وذكر القرآن استعاذة أهل الإيمان من النار وسؤالهم الجنة وإجابة الله لهم بذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1].

وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم سؤال الله الخير، والجنة والاستعاذة من النار[2]، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ علمها هذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ، قَضَيْتَهُ لِي، خَيْراً))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١ - ١٩٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/٢٠٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٠٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ١٤٥٢).

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات:

إن فضل الله تعالى على ذاكريه عظيم لا يدانيه فضل ولا يجاوزه عطاء، وفي الحديث إشارة إلى بعض أشكال هذا الفضل والتي منها:

أ/ مباهاة الله بهم الملائكة وذلك في سؤاله لهم عن أحوال عباده الذاكرين، فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال ابن حجر: "وقيل إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(1)، فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك؟ وضاهوكم في التسبيح والتقديس، وقيل: إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة، لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف الملائكة في ذلك كله"(2).

"وقد جاء التصريح في بعض الأحاديث بمباهاة الله الملائكة بذاكريه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد... وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))(3). أي: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"(4).

ب/ مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم.

---

(1) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(2) فتح الباري ٢١٧/١١.

(3) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(4) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

جاء ذلك في قوله: (فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، فيقول: وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

جاء في القرآن أن الذكر من بين الأعمال التي يثيب الله عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً وهو الجنة[2].

سادساً- من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته:

أشير إلى ذلك في الحديث من التبشير للذاكرين بالمغفرة لذنوبهم بل ولمن جالسهم ولو لغير الذكر، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم، لذا ينبغي على الداعية ألا يهمل في دعوته جانب التبشير، فإن التبشير من الأهمية بمكان، ففيه انشراح الصدر وسعادة القلب واستقرار النفس، وراحة البال، ومن بواعث حب المبشَّر لمن يبشره، واستئناسه به[3]، مما يعود بالنفع على الداعي ودعوته.

وقد كان التبشير أحد الركائز الرئيسة في دعوته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4]، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة في الآية على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[١].

لقد بعث الله النبيين عليهم السلام لهداية الناس وجعل منهجهم في الدعوة إليه التبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

والآيات في ذلك غير ما ذكر كثيرة، وعن عطاء بنِ يَسارٍ قال: لَقيتُ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: ((أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التَّوراة، قال: أجَل، والله إنَّه لَموصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتهِ في القرآن: يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلناكَ شاهِداً ومبَشِّراً ونَذيراً وحِرْزاً للأمِّيّن، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكلَ، ليس بفَظٍّ ولاغليظٍ ولاسَخّابٍ في الأسواقِ، ولايدفعُ بالسَّيِّئةِ السيِّئةَ، ولكن يَعفو ويَغفِرُ، ولن يَقبضَهُ الله حتّى يُقيمَ بهِ المِلَّةَ العَوجاءَ بأنَ يقولوا: لا إلهَ إلاّ اللهُ ويُفتحُ بها أعيُنٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غُلْفٌ)).

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٥.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٦) سورة هود، آية: ٢.

(٧) سورة مريم، آية: ٧٩.

(٨) سورة الأحقاف، آية: ١٢.

تابَعَهُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلَمَةَ عن هِلال عن عطاء عن ابن سَلامٍ[(١)].

سابعاً- من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في شمول مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم، قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، (قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، لذا ينبغي على المسلم الحرص على مجالسة أهل الخير والصلاح واتخاذهم القدوة، فإن من آداب الذاكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله تعالى، الذين يذكرون الله تعالى ويعينون على ذكره ويذكّرون المسلم بمولاه[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[(٣)].

ولله در القائل:

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً أهدوك من نورهم ما يتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم بوصفهم ذكروك الواحد الباري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرت، والسيئ المفلس من إذا ذكرك الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك[(٤)].

ثامناً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً بيناً، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى بما ورد في الحديث من مباهاة الله لملائكته بذكر الذاكرين له، وبمغفرته سبحانه وتعالى لهم ولمن جالسهم، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم).

---

(١) اخرجه البخاري ٢١٢٥.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي أبو عراد ص ٣٨.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الرئيسة في الدعوة التي لا غنى للداعية عنها، لما فيها من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والعمل الصالح من مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١]، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله، وعدم إهماله من قبل الداعية المسلم[٢].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب، كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[٣].

ينقل ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال: "خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي ١/٥٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/١٩٣.

الحديث رقم (١٤٥٠)

١٤٥٠- وعنه وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وغشيتهم الرحمة: عَلَتْهم الرحمة[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى عطايا الله تعالى للذاكرين، وحفاوته بهم، وحفاوة ملائكته، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة بغرض الذكر لله - عز وجل - على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، ونزول السكينة مع ذكر الله لهم في الملأ الأعلى، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وألفاظ الحديث تفيض بسيل من المعاني الغامرة بأنواع الفيوضات الإلهية منها الفعال (يذكرون - حفتهم - غشيتهم - نزلت - ذكرهم) ، والأفعال تصور الحركة الدائمة الدؤوبة لهؤلاء في الذكر وللملائكة بأنواع الإتحاف من ربهم ومن السماء التي اشتملها الحديث والتي تقرر هذا الفيض (الله - الملائكة - الرحمة) مما يشيع الطمأنينة، والخشوع، والسكينة، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيَتْهُمُ

---

(١) برقم (٢٧٠٠/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٣٨).

(٢) النهاية في (غ ش ي).

الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأكثرها ثواباً فهو سبب لنزول الرحمة والسكينة، كما جاء في الحديث: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

قال النووي: "وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا - أي مذهب الشافعية - ومذهب الجمهور، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، فإن الحديث جاء مطلقاً دون تقييد لمسجد وغيره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل...)، أما الأحاديث التي جاءت بتقييد الذكر في المساجد فإنها خرجت مخرج الغالب"[1]، وذلك مثل قوله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبَطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[2].

قال ابن القيم مبيناً فضل الذكر وعلو منزلته: "والذكر منزلة القوم الكبرى التي

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه[١]، وإن ذكر الله يشعر المؤمن دائماً بمعية الله، ويجعله في أنس دائم بربه ونعيم موصول بقربه، يحس أبداً بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاقرين، ينشد ما قاله العبد الصالح يناجي ربه:

إن قلباً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج[٢]

وكفى بذكر الله فضلاً ذكره لمن يذكره، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[٣].

إضافة إلى ثناء الله على الذاكرين وما أعده الله لهم من كريم الأجر وجزيل الثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٤].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٠١ - ١٠٢، تاريخ دمشق قافية الجيم ٦٦/٧٧، المدهش لابن الجوزي ١/٢١٥، والأبيات للشاعر: عبدالصمد ابن المعذل.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه:

جاء في الحديث جانباً من جوانب عطاء الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة)، أي: طافوا وداروا حولهم يحدقون بهم تشريفاً لهم وتنويهاً لما هم فيه من الذكر، (وغشيتهم الرحمة)، أي: آثارها من الفيض والفضل[١]، (ونزلت عليهم السكينة)، أي: الطمأنينة والوقار[٢].

وقال ابن علان: "قال التوربشتي: هي الحالة التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب، وقيل: هي ملكة تسكن قلب المؤمن وتؤمنه"[٣].

(وذكرهم الله فيمن عنده)، ففي مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة، وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فربما رُحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنباً، وربما بكى فيهم باكٍ من خشية الله فوُهِب أهلَ المجلس كلُّهم له، وهي رياض الجنة[٤].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا))، قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[٥].

والرياض: جمع الروضة، وهي: أرض مخضرة بأنواع النبات، وجعلت حلق الذكر رياضاً للجنة، بناء على أن العبادة سبب للحصول في رياض الجنة.

قال الطيبي: "اعلم أنه كما يستحب الذكر، يستحب الجلوس في حِلَق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، والذكر قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان والأفضل منهما ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل. وينبغي أن لا يترك الذكر باللسان مع القلب بالإخلاص خوفاً من أن يظن به الرياء. وقد نقل عن

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٣) دليل الفالحين ص ١٥١٢.

(٤) لطائف المعارف ص ٤٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٧).

الفضيل ترك العمل لأجل الناس رياء. وقال: لو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والإحتراز عن طرق ظنونهم الباطلة لا نسد عليه أكثر أبواب الخير،وأضاع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين، وليس هذا من وظيفة العارفين. وأن يكون على أكمل الصفات بأن يكون جالساً مستقبل القبلة، متخشعاً مع سكينة ووقار، مطرقاً رأسه، وأن يكون الموضع خالياً نظيفا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور.

وينبغي أن يدوم على الذكر إلا زمان قضاء الحاجة، والجماع، وسماع الخطبة في الجمعة وغيرها، وفي القيام للصلاة، وفي حالة النعاس، ولا يكره في الطريق، ولا في الحمام. وينبغي أن يحضره قلبه؛ لأنه هو المقصود في الذكر فيتحرى في تحصيله، ويتدبر ما يذكره. والمذهب الصحيح أن أولى الأذكار قول: لا إله إلا الله، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة. وإذا اعترضت للذاكر أحوال يستحب له قطع الذكر، ثم الإعادة بعد زوالها، منها رد تسليم الداخل عليه، وتشميت العاطس، وجواب المؤذن في الأذان والإقامة، ورفع المنكر والإرشاد إلى المعروف عند رؤيتهما، وإجابة المسترشد، وما أشبه ذلك كله في الأذكار"[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث الترغيب في ذكر الله ومجالسه ببيان أنه سبب لنزول الرحمة والسكينة وحف الملائكة فضلاً عن العطاء الأعظم وهو ذكر الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وحثه على الطاعة والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها[2].

كذلك سنة رسول الله ﷺ؛ فلقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٣٦/٤ - ٢٣٧.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢٧.

عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه العزيز أن يذكر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]"[2].

ولأهمية الترغيب وقوة تأثيره في النفوس قدم الله في الآية التبشير على الإنذار فقال: (مبشراً ونذيراً)، قال الطاهر بن عاشور: "وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين ولكثرة عدد المؤمنين من أمته، والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم.

وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير مج٩/٢٢/٥٣.

الحديث رقم (١٤٥١)

١٤٥١- وعن أَبي واقدٍ الحارث بن عوف ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَى رسولِ الله ﷺ. فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: **((ألاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ: أمَّا أحَدُهُمْ فَأوَى إلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ، فَأعْرَضَ، فَأعْرَضَ اللهُ عَنْهُ))**. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

الحارث بن عوف: وهو أبي واقد الليثي.

له صحبة برسول الله ﷺ.

وقد شهد بدراً، وقيل إنه لم يشهدها، وكان قديم الإسلام، وكان معه لواء بني ليث، وحمزة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وقد شهد اليرموك بالشام، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر وعن أسماء بنت أبي بكر ﵃ ويعدُّ من أهل المدينة، وكان قد خرج إلى مكة فجاور بها سنة، ومات بها، ودفن في مقابر المهاجرين، وتوفي سنة ٦٨هـ وهو ابن ٧٥ سنة وقيل ٨٥ سنة[2].

غريب الألفاظ:

فُرجَة: ثغْرةٌ بين الصفّ[3].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦/٢٦) ولفظهما سواء.

(٢) الإصابة (١٥٧٨-١٥٧٩)، الاستيعاب (٨٦٥)، سير أعلام النبلاء (١٣٥٢/١)، تهذيب التهذيب (٦٠٤/٤)، تهذيب الكمال (٤٥٤/٨)، أسد الغابة (٢١٩/٦-٢٢٠).

(٣) النهاية في (ف ر ج).

ولا واحد له من لفظه[١].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي نموذجا واقعا يصور حال الناس في تعاطيهم لذكر الله تعالى، منقولا عن قصة وقعت في أفضل المجالس، وهو مجلس الذكر، وفي أفضل مجالس الذكر مع رسول الله ﷺ والقصة شخصياتها ثلاثة مع رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وهو ما صوره الصحابي بقوله (بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ) وقوله، والناس معه يشير إلى أنه حدث مشهود ومجلس علم وذكر قائم، وقوله (فأقْبَلَ اثْنَانِ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ) يشير إلى التباين في المواقف بين الرغبة في الخير العميم، أو الإعراض عنه جهلا، وتكاسلا أو تكالبا على الدنيا، وهو ما قسم الثلاثة إلى قسمين واحد أعرض، واثنين وقفا، وقد وصف تصرفهم وتعاملهم مع الموقف في قوله (فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً) فما كان لرسول ﷺ أن يدع الموقف يمر دون أن يستثمر الحدث في التعليم، والإرشاد إلى أبواب الخير فجاء استفهامه تنبيها للحدث، وتشويقا للنتيجة المترتبة عليه (ألاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ) وهو إجمال في العدد ثلاثة يتلوه تفصيل لحالهم يحقق التشويق، ويحقق التوكيد ثم فصل حالهم بقوله (أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأوَى إلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ) وفي العبارة جناس بين قوله فَأوَى، وقوله: فآوَاهُ، وبين قوله فاسْتَحْيَى وبين قوله فَاسْتَحْيَى، وأيضا بين قوله فَأعْرَضَ، فَأَعْرَضَ، وهذا الجناس بين هذه الكلمات يؤكد المعنى من جهة، ويقرر أن الجزاء من جنس العمل من جهة أخرى، ونسبة الإيواء، والاستحياء، والإعراض لله في مقابلة فعل الثلاثة لهذه الأفعال إشارة إلى قوة الأثر المترتب على الفعل لأن إيواء الله لها أبعادا تفارق ما في علمنا، وكذلك إعراضه، كما يوحي بأن الإنسان هو الذي يقرر نتيجته بالمقدمة التي سبقتها، والقصة تقرر عظمة مجالس الذاكرين التي تستلزم إيواء الله لأهلها، وحياءه منهم الذي يستلزم مغفرته لهم.

---

(١) النهاية في (ن ف ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى.

ثالثاً: من آداب الداعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها.

رابعاً: من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً -من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم:

إن مجالس العلم وذكر الله تعالى رياض من رياض الجنة، كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مَرَرْتُمْ برِيَاضِ الْجَنَّةِ فارْتَعُوا))، قالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[1]، والحديث ينقل لنا صورة من صور مجالس العلم والذكر التي كان يعقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم، فعن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر.

وقد وردت الإشارة في القرآن إلى فضل مجالس العلم، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾[2]، قال سفيان والضحاك في هذه الآية: "يعني: مجلسهم يتفقهون"[3].

فالتفقه في الدين والعلم هادٍ لصاحبه،وهو تركة الأنبياء عليهم السلام وتراثهم، وأهله عصبتهم وورّاثهم وهو حياة القلب ونور البصائر وشفاء الصدور، وبالعلم تعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال والحرام، وغير ذلك[4].

وقال أبو بكر الآجري: "العلماء في كل حال لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ٩٦/١.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٤٦٩/٢.

العلم وفي مجالستهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيم تعلموا العلم لهم فيه فضل، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعنا الله وإياهم بالعلم"[١].

إن العلماء تحملوا على عاتقهم تعليم الأمة وتفقيهها استجابة لمراد الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢].

إن المعرفة والعلم في مفهوم الإسلام وصريح السنة النبوية؛ أمانة يسأل عنها الفرد وتستنطق لها الجماعة، وليست القضية سلعة للاحتكار ولا وسيلة للسيطرة وأداة للبغي والعدوان والتغلب؛ بل هي مسؤولية تؤدى ورسالة تبلغ من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، تنمو مع الأيام، وتكثر خيراً ونفعاً مع الأعوام.

وقد وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، والتف الناس حوله منصتين متعلمين فذكر وعلّم وأرشد، وقال لهم بعد ذلك: ((لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ))[٣].

لقد وقف في حجة الوداع في العام العاشر للهجرة، وجاءه العرب من كل مكان وأحاطوا به صلوات الله وسلامه عليه وأصاخوا للخطبة وأصاخ معهم الزمن، فعلّم وفهّم، وسدّد وقوّم، ثم قال: (ألا لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ).

وجاءه وفد عبدالقيس من البحرين، فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة بيننا وبينك هذا الحي من مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمُرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع... وقال لهم: ((احفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ))[٤].

---

(١) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن حسين الآجري، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الإسماعيلية، مصر بدون تاريخ، ص ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٣.

وقوله ﷺ (احفظوه)، وفي رواة: (احفظوهن وأخبروهن من وراءكم)، فيه دليل على الأمر بحفظ العلم، والوصية عليه والحض على حمله وشد الرحلة في سبيله، ونشره وتبيينه لمن لم يحضره، وكذلك عملهم هذا دليل على النيابة في العلم.

إن الذين يقومون بمهمة البلاغ للأجيال وأداء الأمانة للآتين، هم جمال الأمة، وأنوارها المضيئة، ومشاعلها المتقدة، فإذا كثروا استنارت جنبات المجتمع، وعمّه الهناء والضياء، وإن ندروا وانقرضوا أظلمت حياة الأمة، وتردّت في وهاد وأودية سحيقة[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى:

وردت الإشارة إلى فضل الحياء في الحديث: (وأما الآخر فجلس خلفهم)، أي: خلف أهل الحلقة[2]، وذكر النبي ﷺ الدافع لهذا الصحابي وجزاء الله له، فقال ﷺ: (وأما الآخر فاستحيا)، أي: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي ﷺ وممن حضر، قاله القاضي عياض، وقيل: المعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث، فاستحيا الله منه، أي رحمه ولم يعاقبه[3].

والحياء أفضل الأخلاق، ولا أدلّ على ذلك من كونه من الإيمان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ على رجُلٍ منَ الأنصارِ - وهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحياء - فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فإنَّ الحَياءَ مِنَ الإيمانِ))[4]. وذلك أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها ويحول بين المؤمن وبينها[5]، وقال ابن الأثير: "وإنما جعله بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان"[6]، فالحياء من خصال الإيمان وحسن الإسلام، وينتج عنه إقبال العبد على الطاعة وهجر المعصية

---

(١) أسس العلم وضوابطه في السنةالنبوية، د. فاروق حمادة، ط/ دار طيبة، الرياض: ١٤١٧هـ، ص ٥١، ٥٢.
(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.
(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٨٩.
(٤) أخرجه البخاري ٦١١٨، ومسلم ٥٩.
(٥) لسان العرب في (ح ي ي).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٢٠٦.

خجلاً من الله سبحانه وتعالى، كما أن الحياء دليل على كرم السجية وطيب المنبت[١].

قال الماوردي: "سمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاءة وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاءة شراً أن يكونا إلى الشر سبيلاً، وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وقال بعض البلغاء: حياء الوجه بحيائه، كما أن حياء الغرس بمائه"[٢]، وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قَلَّ مـاءُ الوَجْهِ قَلَّ حياؤه	ولا خيرَ في وجهٍ إذا قَلَّ ماؤه
حياءك فاحفظه عليك وإنما	يدل على فعل الكريم حياؤه

وجاء في الخبر: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئتّ وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء حيث ورد في أصول الفقه أن من لم يستح دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستح المرء فإن الحياء يردعه".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ))[٣].

فالتخلق بالحياء فيه خير للفرد والمجتمع حيث يحض على فعل الحسن وترك القبيح، هذا عن الحياء الشرعي، وأما الحياء الذي ينشأ عنه إخلال بالحقوق والخوف من مواجهة من يرتكب المنكرات فليس شرعياً، بل عجز وخور وإن سمي حياء لمشابهته للحياء الشرعي في الصورة الخارجية[٤].

والحياء أنواع:

أ/ الحياء من الله تعالى بالامتثال لأوامره تعالى والكف عن زواجره، وذلك لأن

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٨١٤/٥.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦٨.

(٤) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم عيد الهلالي ١٠/٢.

الحياء من الإيمان بوصف أنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنعه الإيمان ذاته، يقول رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: ((اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الحيَاءِ)). قالوا: إنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالحمدُ لله، قَالَ: «لَيْسَ هذا وإنما الحياء: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ، وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ المَوْتَ وَالبِلَى))[1].

ب/ الحياء من الناس بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وهو من كمال المروءة وحب الثناء، وقد وردت الأحاديث كثيرة في هذا المعنى، منها:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ...))[2].

ج/ الحياء من النفس وذلك بالعفة وصيانة الخلوات، وهو من الفضيلة وحسن السريرة، يقول الله تعالى موضحاً أنه مطلع على كل صغيرة وكبيرة في النفس: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[4]، ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5].

وبكمال الحياء طبقاً لما سبق فقد كملت أسباب الخير والسعادة[6].

ثالثاً – من آداب الدعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها:

إن من الوظائف الرئيسة للدعاة بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[7]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٥٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

(٢) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٣) سورة غافر، آية: ١٩.

(٤) سورة ق، آية: ١٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١١ – ٢١٤.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[1]، ومن ذلك بيان وتفصيل الأمور التي تغيب عن المدعوين وتبيههم عليها، ومثال ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لحال النفر الثلاثة ونتائج أحوالهم، قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه).

وفي ذلك بيان الإقبال على الله سبحانه والاستحياء منه وثمرتهما وبيان الإعراض عن الله وعاقبته، وفي ذلك البيان دعوة للمدعوين لأخذ الحيطة والحذر، ومن أجل ذلك كانت الدعوة للعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾[2]، أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[3].

رابعاً- من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم:

وردت الإشارة في الحديث إلى العاقبة الوخيمة للإعراض عن العلم ومجالسه، فقال ﷺ عن ذلك الذي أعرض عن مجلس علمه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه، قال ابن حجر: "أي: سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون منافقاً واطلع النبي ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ (فأعرض الله عنه)، إخبار أو دعاء"[4].

وقال ابن علان: "وفيه ذم الإعراض عن مجلس العلم بغير عذر، وأن من أعرض كذلك فقد تعرض لسخط الله فإنه أخبر بأن الله أعرض عنه"[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٣١٢.

(٤) فتح الباري ١/١٨٩ - ١٩٠.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.

وقد ذم الله الإعراض عن الهدي والحق وبيّن أن ذلك سبب للشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

"أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره، وقوله: (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فتلك غاية من لا خير فيه والإعراض عن منهج الله وعن العلم الذي يوصل إليه ويدل عليه دليل نقص الإيمان سفاهة الأحلام، ودليل الكبر والحسد، وهما الدافعان إليه في العادة"[3][4].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جاء أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث في معرض بيان رسول الله ﷺ أحوال النفر الثلاثة وتفاوت جزائهم، فرغب النبي ﷺ في الإقبال على الله والاستحياء منه ببيان أن ذلك سبب لإقبال الله على العبد ورحمته به، ورهّب من الإعراض عن الله ببيان أن ذلك سبب لسخط الله وانتقامه، فقال ﷺ: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعاً وأنفذها إلى القلوب، ولقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/١٦٤.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٩/٣٩٢٦.

وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر ويعظ ويقصُّ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر، وسماه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رضي الله عنهم رقة القلوب، الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة[2].

والترغيب والترهيب هما ركنا الموعظة الحسنة التي هي أبرز وسائل الدعوة، وقد أمر الله تعالى بهما في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، قال ابن القيم: "والموعظة الحسنة: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5]، قال السعدي: "أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون فيكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله"[6].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم ص ٢٤٤.

(٥) سورة النور، آية: ٣٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٧.

الحديث رقم (١٤٥٢)

١٤٥٢- وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قَالَ: خرج معاوية ﵁ عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. قَالَ: آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذاك؟ قالوا[١]: مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أما إنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أقَلَّ عَنْهُ حَديثاً مِنِّي: إنَّ رسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: ((**مَا أجْلَسَكُمْ؟**)) قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسْلاَمِ؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((**آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟**)) قالوا: واللهِ مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((**أمَا إنِّي لَمْ اسْتَحْلِفكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أتَانِي جِبرِيلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ**)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

حلقة: الحلقة كل شيء استدار، ويقصدون بها هنا مجلس العلم والذكر[٣].

تهمة: وهماً وظناً[٤].

مَنَّ: أنعم وأعطى من المَنّ: أي العطاء لا من المِنَّة وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه[٥].

يباهي: يفاخر[٦].

---

(١) عند مسلم زيادة: (والله).

(٢) برقم (٢٧٠١/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧) بدون ذكر القصة.

(٣) الوسيط في (ح ل ق).

(٤) النهاية في (ف ر ج).

(٥) النهاية في (م ن ن).

(٦) النهاية في (ب هـ و).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين انتقال النور من جيل جيل في سلسلة الأطهار ويروي الحديث أبو سعيد ﷺ عن معاوية ﷺ الذي يمثل أحد أطراف الحوار في الجيل الثاني من الذاكرين في الحديث، وقد صدر استفهامه متابعة للرسول ﷺ في سؤاله لأصحابه (مَا أَجْلَسَكُمْ ؟) وهو استفهام يرصد به لما يريد أن يقرر من فضائل الذاكرين وقوله (آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذاك) تقرير، وتوكيد، للمعنى الذي قرروه بجلوسهم للذكر لا لغيره مع ما يوحي به من تعظيم لحالهم، وقول معاوية ﷺ (أما إِنِّي لَمْ استَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ) قال الطيبي رحمه الله أي فأردت أن أتحقق ما هو السبب في ذلك فالتحليف لمزيد التقرير والتأكيد لا لتهمة كما هو الأصل في وضع التحليف فإن من لا يُتَّهم لا يُحلَّف، وقد قص معاوية ﷺ ما كان من الجيل الأول للذاكرين مع رسول الله، وقد خرج عليهم فسألهم (مَا أَجْلَسَكُمْ ؟) تقريرا للصحابة بما هم عليه ليرتب عليه ما يرصد له من تقرير فضل الذاكرين، وتأمل إجابة الجيل الأول، وشدة إحساسهم بنعمة الإسلام وتقديرهم للنعمة في قولهم (جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا) بينما أجاب الجيل الثاني بقوله (جلسنا نذكر الله) وفرق بين الذكر مع عمق الإحساس بالنعمة، والذكر المجرد ثم تأمل إحساسهم العميق الدقيق المرهف بطريقة التعبير وموازنة الرد للسؤال توكيدا، وتقريرا حيث أجابوا بقولهم (واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ) حيث ردوا بما يتساوق مع صيغة السؤال المؤكدة بالقسم فردوا بنفس درجة التوكيد، وفي الجيل الثاني ردوا دون توكيد (مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ)، وقول الرسول ﷺ في نهاية الحديث (ولكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) استدراك لبيان سبب التحليف مع تقرير المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث، والذي اقتدى به معاوية بنفس الصيغة، وقرر هذا المعنى متابعة لرسول الله ﷺ الذي قرر تلك الصورة (أَنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) وهي كناية عن حفاوة الله بهم وعظم منزلتهم، ورضاه عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل معاوية ﵁.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على ذكر الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة.

سادساً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على اتباع هدي النبي ﷺ في تبشير أهل الذكر.

سابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل معاوية ﵁:

جاءت الإشارة في الحديث إلى فضل معاوية ﵁ وذلك في قوله ﵁: (وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني)، قال ابن علان: (قوله: "وما كان أحد بمنزلتي"، أي: بمكانتي وقربي من رسول الله ﷺ، وذلك لكون أخته أم حبيبة، أم المؤمنين، ولتألف النبي ﷺ له لما علم فيه من السر الإلهي المصون)[١].

فكان ﵁ من الصحابة الأجلاء، قال أبو نعيم: "كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً"[٢]، وكان ابن عباس ﵄ يثق به، ويعده من الفقهاء، وقال: ما رأيت رجلاً هو أخلق للملك من معاوية، لم يكن بالضيّق الحصر"[٣].

ومما يدل على فقه معاوية ﵁ في الحديث واتباعه لرسول الله ﷺ حتى في كلامه، قال معاوية ﵁ لمن خرج عليهم في المسجد: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟)، قال الأبي: "أما استحلاف معاوية لهم

---

(١) دليل الفالحين ١٥١٤.

(٢) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣/١٧٩٩.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٢٤/٤٠٠ - ٤٠١.

فهو اتباع لرسول الله ﷺ"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذكر الله تعالى:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على الخير، ومنه ذكر الله تعالى، والحديث ينقل لنا صورة من صور حرصهم واجتماعهم على ذكر الله تعالى وذلك في حياة الرسول ﷺ، (إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا)، وكذلك كان على العهد بعد مماته، خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد، وذلك امتثالاً منهم لأوامر الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢].

أي: اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ذكراً كثيراً يعم الأوقات والأحوال، ذكراً كثيراً بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية، وعلى كل حال وسبحوه في أول النهار وآخره ليسري أثر التسبيح فيهما بغية النهار والليل لأن ذكره وتسبيحه يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال"[٣].

ولما علموه من فضل الذكر وما وعد الله عليه من المغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً، وهو الجنة[٥].

لقد جعل النبي ﷺ الفرق بين الذاكر لربه وغير الذاكر كذاك الفارق بين

---

(١) إكمال إكمال المعلم، نقلاً عن كتاب: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ٤٣٢/١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي مج ٢٧٨/١٣/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

الحي والميت، فعن أبي موسى ﵁ قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[١].

إن الذي لا يذكر الله تعالى مثل الإنسان الميت، والذي يذكره مثل الإنسان الحي، لأن الذكر فيه حياة للقلوب والأرواح فهو غذاؤها تحيا به وتموت بانقطاعه عنه وفي ذلك تحذير من الغفلة ونسيان الله تعالى الذي يميت القلب والروح وحث على فضل الذكر لأنه حياة للقلوب والأرواح[٢].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استعمال هذا الأسلوب في الحديث في سؤال رسول الله ﷺ الصحابة ﵃ وجوابهم عليه، فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا..)، وأسلوب طرح الأسئلة والإجابة عليها من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لما توجده عند المدعوين من الاستعداد الفكري والنفسي لمعرفة الإجابات على تلك الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك[٣].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في دعوة الناس وتوجيههم وإعدادهم إعداداً إسلامياً صحيحاً.

وأسلوب الاستفهام يدفع بالمدعو إلى المشاركة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٤٢٥ بتصرف.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٥٨/٢ - ٥٩.

ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[1].

إن أسلوب الاستفهام والمناقشة، يساعد على التوضيح والتفهيم ويستخدم كوسيلة إيضاح للعقيدة وأحكامها، بعرضها عرضاً بسيطاً وسهلاً خالياً من التعقد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة[2].

ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما استخدمه النبي ﷺ من استفهام ومحاورة مع معاذ بن جبل رضي الله عنه فروي عنه أنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ. ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْلِ. فقال: ((يا معاذ بن جبل)) قلت: لبيك رسول اللّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هل تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ))[3].

وذكر ابن حجر من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه[4].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ رضي الله عنه الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم. ومثل هذا يقول الرسول ﷺ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟)) قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني بركة ص ١٧٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٨٧.

(٤) المرجع السابق ١١/٤١٢.

أَعْلَمُ. قَالَ: ((ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ((إِن كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ))[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ أما إني لم استحلفكم تهمة لكم...)، والقسم أسلوب دعوي يرد استعماله تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء أو جمعاً للانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم، وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء[٢]

وقد حفل القرآن بالقسم في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٤].

ولقد جمع بعض العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتفصيل ومن ذلك كتاب: (التبيان في أقسام القرآن، للإمام ابن القيم)، وذكر في مقدمته لهذا الكتاب أن من أهداف إيراد القسم والإتيان به التوكيد والتحقيق[٥].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة:

ورد ذلك في قوله ﷺ لمن خرج عليهم وهم يذكرون الله تعالى، "ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩، والبيت لزهير بن أبي سلمى - العصر الجاهلي - قافية الهمزة البحر الوافر التام، انظر: لسان العرب ٢٢٦/٥، والعقد الفريد ٢٤٦/٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٥) انظر: التبيان في أقسام القرآن ص ١٥.

قال القاضي عياض: "وقوله في أهل الذكر: (إن الله يباهي بكم الملائكة)، أي: يظهر للملائكة فضلهم ويريهم حسن عملهم ويثني عليهم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال"[١].

قال النووي: "معناه: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"[٢].

قال ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: "ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله"[٣]، فإن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخذ العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة[٤].

وقد وصف الله عباده الذاكرين بكامل الصفات والتي منها ملكة العقل والتفكير في ملكوت الله والانتفاع بآياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥].

سادساً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ في تبشير أهل الذكر:

جاء ذلك واضحاً فيما قام به معاوية رضي الله عنه من تبشير أهل الذكر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم)، وساق لهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من تبشير لأهل الذكر، فقال: (إن رسول الله ﷺ

---

(١) إكمال المعلم ١٩٦/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ٢٦٧/٢.

(٤) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٤.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: آللّه ما أجلسكم إلا ذلك، أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته).

وذلك بيان لمدى أهمية وقيمة البشارة، فهي سبب لاستقرار النفس وراحة البال وجلب الطمأنينة وسكون النفس ورفع الروح المعنوية، فضلاً عن أن لها أثرًا طيبًا في تحبيب المبشَّر لمن يبشره واستئناسه به[1].

ولذا كان التبشير صفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهجاً في تبليغ دعوته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، فالنبي صلى الله عليه وسلم مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[3].

سابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً جلياً، وذلك في ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر بمباهاة الله ملائكته بذاكريه، (ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة).

والترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لملائمته لما جبلت عليه النفس البشرية، فالنفس البشرية لها خاصيتها التي فطرها الله عليها، والنوازع التي جبل عليها البشر من أهم ما تجب معرفته لمن يريد التعامل مع تلك النفس، وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٥٣.

سلوكهم(١)، واستخدم القرآن أسلوب الترغيب في كثير من آياته، من ذلك ما جاء في مجال الذكر مثل قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(٣).

قيل في تفسيرها:

أ/ فاذكروني أذكركم بإعطاء الآلاء والنعماء، لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٤).

ب/ فاذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥).

ج/ فاذكروني بالاستغفار أذكركم بالغفران، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٦).

د/ فاذكروني بالصبر أذكركم بأوفى الأجر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٧).

هـ/ فاذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٨).

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.
(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.
(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.
(٦) سورة النساء، آية: ١١٠.
(٧) سورة الزمر، آية: ١٠.
(٨) سورة الطلاق، آية: ٣.

و/ فاذكروني بالمجاهدة أذكركم بالهداية، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[1].

ز/ فاذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2][3].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية:٧١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي مج١/٢/١٧١ - ١٧٢، وانظر: كتاب: "الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العقيدة الصحيحة:

إن التربية على العقيدة الإسلامية وغرسها في نفوس المتعلمين، من أهم الأسس التربوية التي يربي عليها النشء المسلم، والعقيدة الإسلامية التي يجب على المربين تعميقها في نفوس الأفراد والجماعات هي: الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أصول الدين وأموره وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع[1].

وقد ورد في مُجمل أحاديث الباب ما يشير إلى أهمية وضرورة التربية العقائدية في نفوس المتعلمين كالإيمان بالله تعالى وملائكته، وما في اليوم الآخر من الجنة والنار، وذلك في قوله ﷺ: "إن لله تعالى ملائكة"، وقوله ﷺ: عن رب العزة: «فَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، ... قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ».

"وتربية العقيدة الإسلامية في نفوس المتعلمين والمتربين من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى، واستشعار عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون عبدًا لشهواته، ولا أسيرًا لأطماعه وأهوائه.... بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله، وكما أوحى إلى رسوله ﷺ... دون تردد أو حرج، وشعاره في هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

وميزانه في ذلك... ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3][4].

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٧٢، ٦٧٣.

وحتى يتسنى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء المسلم وتربيتهم عليها يجب ما يلي:

١ - تعليم النشء لعقيدة أهل السنة والجماعة، وخصائص تلك العقيدة، وأنواع التوحيد وأقسامه، وفضائله.

٢ - تعليم النشء أركان الإسلام والسنة وأسس العقيدة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره وشره.

٣ - تحذير النشء من نواقض الإسلام التي بها يخرج المسلم من الملة.

٤ - الإجابة على التساؤلات والاستفسارات التي قد يتعرض لها المتعلمون صغيرهم أو كبيرهم في مسائل العقيدة، على أن تكون الإجابة من المعلمين شافية كافية صحيحة صريحة بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

ثانيًا: التربية الروحية:

إن النفس البشرية بطبيعتها تضعف ويصيبها الفتور والتقصير، لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه من الصلاح والتوفيق يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه؛ لذا كان الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر - كما ورد في نص أحاديث الباب - من أعظم طرق التربية الروحية من خلال الوعظ والتذكير في نفوس المتعلمين[2].

حيث التفكر في نعم الله تعالى وآلائه وعظيم فضله وإحسانه مما يستتبع حمده تعالى وتمجيده وتسبيحه وتكبيره، فيعلو بذلك الإيمان في القلوب ويعظم أثره في النفوس.

ثالثًا: التربية بالإثارة الوجدانية:

إن تحريك العاطفة الإنسانية عند المتربي والمتعلم بالإثارة الوجدانية وبتحريك كوامن الرغبة والرهبة، لمن أهم الطرق التربوية في تحقيق الغايات التربوية أو العلمية،

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٦٣، ٦٤.

(٢) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد عبدالله الدويش، ٤٦، ٤٧.

وهذا ما ترائى من مجمل الأحاديث؛ حيث استجاشة الهمم وإثارة الوجدان لتربية الأنفس على ذكر الله، كما في قوله ﷺ عن رب العزة لملائكته: «هَلْ رَأَوْنِي فَيَقُولُونَ لا وَاللَّه ما رَأَوْكَ فَيَقُولُ كَيْفَ لوْ رَأَوْنِي فيقولونَ لوْ رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لَكَ عِبادَةً وأشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا». وأيضًا في قوله ﷺ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».

وقد استمر هذا الأسلوب التربوي الفريد في إثارة الواجدان للترغيب في الجنة والترهيب من النار، كما في حديث الباب من قوله تعالى لملائكته: «فَماذا يَسْأَلُونِي فيَقولونَ يَسأَلُونَكَ الجَنّةَ فيَقولُ وهَلْ رَأَوْها فيقُولونَ لا وَاللَّه يا رَبُّ ما رَأَوْها فيقُولُ فَكَيْفَ لوْ أنّهُمْ رَأَوْها فَيَقُولونَ لوْ أنّهُمْ رأوْها كانُوا أشَدَّ علَيْها حِرْصًا وأشَدَّ لها طَلَبًا وأعْظَمَ فِيها رَغْبَةً قال فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ فَيقولونَ مِنَ النّارِ فَيقولُ اللَّه هَلْ رَأَوْها فَيقولونَ لا وَاللَّه يا ربِّ ما رَأَوْها فيقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْها فَيَقولونَ لوْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنها فِرارًا وأشَدَّ لها مَخافَةً».

"فإثارة الوجدان إذًا طريق تربوي إلى غاية تربوية أو علمية، وليست هدفًا تربويًا مستقلاً بذاته.

ولهذه الوسيلة التربوية أخطارها الجسيمة إذا أسيء استعمالها، كما أن لها فوائدها العظيمة إذا أحسن استعمالها.

ويتلخص المنهج التربوي الإسلامي في استخدام هذه الوسيلة، لمراعاة الأمور التالية:

١ - أن لا تكون بديلاً عن حركة العقل وحكمه بل عونًا على حركته ونشاطه ثم عونًا له لإخضاع النفس لحكمه"(١).

"ولإيضاح ذلك نقول: إن المربي أو المعلم عليه أن يثير عقل المتعلم أولاً إلى معرفة الحقيقة بالأدلة العلمية والعقلية المختلفة، ثم يثير كوامن الوجدان في النفس، كي تقضي على معوقاتها التي قد تقطع سبيل العقل إليها. فيثير فيها دواعي الرهبة والرغبة

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، سورية، ص٦٤.

وأسباب المحبة، طبق ميزان دقيق من الاتساق. وهذا ما بينه القرآن الكريم في نصوصه والتي منها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[1].

فالشطر الأول من النص تنبيه للعقل إلى دلائل وجود الخالق عز وجل ودفع له إلى الإيمان به. والشطر الثاني إثارة للنفس عن طريق كوامن الرغبة والرهبة، أن تتفاعل مع فهم العقل وحكمه فلا تنفصل عنه ولا تتمرد عليه.

٢ - أن يعتمد سبيلُ التربية بالإثارة الوجدانية قدر الإمكان على التصوير والتخيل، لا على المحاكمة العقلية والنسيج المنطقي، فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري والمحاكمة العقلية.

٣ - أن يعتمد المربي على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، بدلاً من أن يركز على عنصر واحد منها، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ذكر عناصر مرغبة في ذكر الله "كالجنة"، و "والمغفرة" لمن جالس قومًا يذكرون الله، وذكر عناصر وجدانية مرهبة كذكر "النار".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية:

١ - عواطف دافعة: كالفرح، والأمل، والرغبة.

٢ - عواطف رادعة: كالخوف، والرهبة، والإشفاق.

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٤٢.

٣ - عواطف ممجدة: كالإعجاب، والحب، والتقديس.

وإذا تأملت في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان، أدركت أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة. وهي وحدها عمدة المربي عندما يعتمد في عمله التربوي على الإثارة الوجدانية....، فسوق المربي لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه. ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحده سبب خطير لإفساده، وملء إحساسه بمشاعر التقديس والإعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك لتوجيه يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب، لا يحرك فيه ساكنًا ولا يغير منه اعوجاجًا. وإنما يصلح سبيل التربية إذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها. وما فسدت المعالجات التربوية، ولا تخلفت عن إعطاء ثمارها المرجوّة على الأغلب إلا لفقد هذا المزيج المعتدل[1].



(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٦٥، ٨٢، ٨٣، ٨٥.

٢٤٨- باب الذكر عِنْدَ الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥] قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (الآصَالُ): جَمْعُ أصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ. وقال تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالأبْكَارِ﴾[غافر: ٥٥]، قَالَ أهلُ اللُّغَةِ (العَشِيُّ): مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا. وقال تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ الآية [النور: ٣٦- ٣٧]. وقال تَعَالَى: ﴿إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ﴾[ص: ١٨].

الحديث رقم (١٤٥٣)

١٤٥٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ**)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر في أسلوب خبري قيمة التسبيح في الصباح، والمساء وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه: ١٣٠] والطباق بين يصبح،

---

(١) برقم (٢٩/٢٦٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٤).

ويمسي يستوعب أطراف النهار، ويبدأ اليوم بالتسبيح، ويختمه بالتسبيح، وصيغة الفعل المضارع (يصبح، ويمسي) تعطي الفعل تجددا يطرد باطراد الأيام وتفتح باب الفضل كل مطلع شمس، ومغيبها، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزه الله عن كل نقص، وهذا التنزيه يقرر ضمنا وصفه بصفات الجلال، ونعوت الكمال، وقوله وبحمده أي مع حمده أي أنزهه، وأثني عليه، وقوله (لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ) أسلوب قصر بالنفي والاستثناء يقصر المثلية في الإتيان على من فعل مثل فعله لا من أتى بغيره من الأعمال، والعبارة كلها تقرر عظمة الثواب الذي فاق به غيره، وتقييده بيوم القيامة يؤكد هذه العظمة، ويزيدها تأكيدا بالاستثناء في قوله (إلاَّ أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أوْ زَادَ) لأنه لم يقدم عليه عملا غيره بل قدم عليه ما هو من جنسه مما ساواه أو زاد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في الحديث الأول في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به...).

وفي الحديث الثاني: قوله ﷺ: "إذا أصبح: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا وبك نحيا...".

وهذا يدل على فضل أذكار الصباح والمساء. وهما طرفا النهار، فالصباح ما بين طلوع الصبح وطلوع الشمس، والمساء ما بين العصر والغروب[1].

وفضل أذكار الصباح لأن ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس، وقت شريف ويدل

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ضمن مجموعة الحديث، ٢/ ٢٧٣.

على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾(١)، وتمدحه به إذ قال: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾(٣)، وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضًا يَسِيرًا ﴾(٤)، وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس، وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾(٥)، وهو وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى(٦).

والمساء: هو الطرف الثاني وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴾(٧). وقال الحسن: "كانوا أشد تعظيمًا للعشي منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة(٨).

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد".

ففي ذلك إثارة للتنافس على ذكر الله حيث ذكر رسول الله ﷺ أن من يقول سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لا يعدله أحدٌ يوم القيامة إلا من قال مثله أو زاد.

---

(١) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(٣) سورة الفلق، آية: ١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٦.

(٥) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٦) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٥٩٩، ٦٠٠.

(٧) سورة الروم، آية : ١٧.

(٨) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٦١٤.

وإثارة التنافس على ذكر الله من أهداف الدعوة إلى الله، لأن الهدف من الذكر أن يظل المؤمن على صلة قوية بالله في كل حال، وذلك لأن الذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح، عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوض من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتتقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

وقال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم – وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد لا روح فيه[١].

وإثارة التنافس في فعل الطاعات من الأشياء التي أثنى عليها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٢]، قال السعدي: أي: يبادرون إليها ويقضونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها، على الوجه اللائق، الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها[٣].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا ..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا ..." الحديث.

والنبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، فكان يذكر الله في كل حياته، وعلى جميع أحواله، فكلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرًا منه لله سبحانه، وكان إخباره عن ربه في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ذكرًا منه لربه، وكان حمده لربه، وتسبيحه وتمجيده له، وثناؤه عليه، وسؤاله له، ودعاؤه إياه، وخوفه منه، ورجاؤه إياه، ذكرًا منه لربه فصلوات الله وسلامه عليه[٤].

فقد كان رسول الله ﷺ يذكر ربه في كل وقت ومن هذه الأوقات الصباح والمساء، وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين حرصه على أذكار الصباح المساء منها:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: «أَمْسَيْنَا

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢٥٨/٣-٢٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٩.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، ط، بيت الأفكار الدولية، ص ٣٥٧.

وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ. والْحَمْدُ لِلَّهِ. لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للَّهِ»[1].

وقال ﷺ: «لأن أذكر الله تعالى من طلوع الشمس أُكبِّر وأُهلِّل وأُسبِّح أحب إلي من أن أعتق أربعًا من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل»[2].

وعن جابر بن سمرة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٢٣.

(٢) أخرجه أحمد، ٢٥٤/٥، رقم ٢٢١٨٥، وقال محققو المسند حسن لغيره ٥٢٢/٣٦.

(٣) أخرجه مسلم، ٦٧٠.

الحديث رقم (١٤٥٤)

١٤٥٤- وعنه، قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قَالَ: ((**أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ تَضُرُّك**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقرب: دُوَيْبة من العنكبيات ذات سم تلسع[2].

البارحة: أقرب ليلة مضت[3].

بكلمات الله التامات: الكاملات التي لا يدخلها نقص ولا عيب، وقيل النافعة الشافية، وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن[4].

الشرح الأدبي

الحديث يروي قصة عملية تبين قيمة الذكر في حماية الفرد من هوام الأرض ومن الشياطين وقول الرجل: (مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ!) ما استفهامية أي: أي شيء لقيت؟ للتهويل، والتفخيم أي: لقيت وجعا شديدا، أو للتعجب أي أمرا عظيما، أو موصولة والخبر محذوف أي الذي لقيته لم أصفه لشدته، والمعنى لقيت شدة عظيمة من عقرب لدغتني البارحة أي: الليلة الماضية، وقول النبي ﷺ (أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ) أما للتنبيه، ولو شرطية، وفعل الشرط قوله (قلت حين أمسيت أعوذ. ...) وجملة الجواب (لم تضرك) فقد علق عدم الضر من العقرب بقول هذا الدعاء، ووصف

---

(١) برقم (٢٧٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٣).

(٢) الوسيط في (ع ق ر ب).

(٣) الوسيط في (ب ر ح).

(٤) شرح مسلم، النووي (١٥٩٥).

الكلمات بالتامات إشارة تعظيم تؤكد وفاءهن بما يراد من هن لأن كلام الله كله تام والحديث يشير إلى أن هذا الدعاء يحقق الله به الحفظ .

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها :

١-حكم التعوذ بهذه الكلمات: استحباب التعوذ من كل ما يخافه الإنسان بمكان أو ينام فيه فإنه لا يضره شيء[١].

٢-حكم الدعاء بهذا الدعاء: من السنة الدعاء بهذه الأدعية في الصباح والمساء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن لدغته عقرب: (أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضرك).

وقد ورد عن الرسول ﷺ الكثير من الأحاديث التي يستعيذ فيها بالله مما يؤذي، ويحث المسلمين على الاستعاذة منها، قال العلماء: استعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشرعه أيضًا تعليمًا لأمته[٣].

ومن الأحاديث التي تحث المسلمين على الاستعاذة مما يضر:

عن خولة بنت حكيم السلمية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ

---

(١) حاشية العدوي ٤٨٣/٢.

(٢) حاشية العدوي ٤٧٩/٢.

(٣) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٢٦٥/٢.

مَنْزِلِهِ» وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[1].

قال القرطبي: (قوله: "إذا نزل أحدكم منزلاً، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" قيل معناه: الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه الشافية الكافية. وقيل: الكلمات -هنا- هي: القرآن؛ فإن الله تعالى قد أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يُدفع به الأذى، ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى، والتجاء إليه، كان ذلك من باب المندوب إليه، المرغب فيه. وعلى هذا فحق المتعوذ بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه، ومغفرة ذنبه.

وقوله: "فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه" هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات، فقلت لنفسي - ذامًا لها وموبخًا - ما قاله ﷺ للرجل الملدوغ: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم تضرك)[2].

وحث النبي ﷺ المسلمين على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي إنما هو حرص منه على حماية المسلمين مما قد يؤذيهم وهذا لاغرو فيه فهو الحريص على الخير لأمته دائمًا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، قال السعدي: "حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٠٨.

(٢) المفهم، ٧/٣٦، ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فإن الإنسان يقول إذا أصبح وأمسى"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق" فهذا لجوء إلى الله سبحانه وتعالى واعتصام به من شر ماخلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء، فإنه لا يضرك شيء[٢]. والحرص على الاستعاذة بالله تعالى بما ورد عنه ﷺ من أدعية فيه تأسي به ﷺ والتأسي به معناه المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]، فاتباع هدى النبي ﷺ ومنهجه وطريقته، هو سبيل النجاة من كل شر، والفوز بكل خير وبر[٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث والأدعية التي يستعيذ فيها بالله وكذلك يأمر فيها المسلمين بالاستعاذة بالله منها: عن فروة بن نوفل الأشجعي سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللّهَ. قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[٦].

وعنها رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٣١٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٣٥/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٣٦.

(٤) انظر صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ص ٥٨-٥٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧١٦.

مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه)[3].

فالاستعاذة بالله فوائدها كثيرة فمن استعاذ بالله واعتصم به أعاذه الله، فينبغي على المسلم الحرص على الاستعاذة بالله بما ورد عنه ﷺ من أدعية.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

الحديث رقم (١٤٥٥)

١٤٥٥- وعنه، عن النبيّ ﷺ، أنّه كَانَ يقولُ إِذَا أَصْبَحَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ أصْبَحْنَا، وَبِكَ أمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإلَيْكَ النُّشُورُ)). وإذا أمسَى قَالَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ امْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ. وَإلَيْكَ النُّشُورُ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقَال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ذكر من الأذكار التي اعتادها الرسول ﷺ في الصباح، والمساء، دل على ذلك قول الراوي (كان يقول) لأن فعل الكينونة الماضي يشير إلى العادة غالبا والفعل المضارع (يقول) يدل على تجدد الفعل صباح مساء، كما يؤكده أسلوب الشرط في قوله (إذا أصبح) وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور تقدير: يقول اللهم بك. ..)، وأسلوب الشرط يربط الإمساء، والإصباح بقول هذه الكلمات، وبداية الدعاء بصيغة النداء اللهم توجه لله بقلب مخلص خاشع لله تعالى، والمقابلة بين أصبحنا، وأمسينا تؤكد المعنى وتشير إلى أنه المتصرف فيهما يقلّب الزمان بالإنسان، وكل نعمة فيهما هي من عطائه، والطباق بين نحيا، ونموت يشير إلى طلاقة قدرته في القبض، والإرسال، وهذا المعنى يوحي بالخضوع، والذل له، والإقرار بكامل التصرف، والدعاء صيغة مزدوجة للصباح، والمساء.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٤). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٥٠): هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، والحديث تقدم برقم (٨١٧).

تنبيه: لو اقتصر المؤلف على أبي داود لكان أحسن، لأن في رواية الترمذي بلفظ الأمر: (فليقل) قال ابن حجر في النتائج (٢/٣٥٠): وأما الترمذي وابن ماجه فاخرجاه من وجهين آخرين، عن سهيل، ووقع عندهما بصيغة الأمر: (إذا أصبح أحدكم، فليقل) وفي سند كلٍّ منهما مقال.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف الفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٥٦)

١٤٥٦- وعنه: أنَّ أَبَا بكرٍ الصديق ﷺ قَالَ: يَا رسول الله مُرْني بكَلِمَاتٍ أقُولُهُنَّ إِذَا أصْبَحْتُ وإذا أمْسَيْتُ، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ والأرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)) قَالَ: ((قُلْهَا إِذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاطر: خالق ومبدع[2].

ومليكه: المليك بمعنى: صاحب الملك[3].

شِرْكه: أي: ما يدعو إليه ويوسوس به ويروى بفتح الشين والراء أي: حبائله ومصايده. واحدها: شَرَكَة[4].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث خصيصة، وهي أن راويه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو صاحب رسول الله، وحبيبه، وبالإضافة إلى كونه الراوي فهو أحد طرفي الحوار وقوله للرسول ﷺ (مرني بكلمات) الأمر استرشاد، وتعليم وتنكير الكلمات للتعظيم أي

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٢)، وقال الحاكم (١/٥١٢): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٦٣): هذا حديثٌ صحيحٌ.

(٢) النهاية في (ف ط ر).

(٣) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٤) النهاية في (ش ر ك).

كلمات خفيفات في العمل كثيرات في الثواب، وهو حال الأذكار كلها أجر عظيم لا يحتاج إلى مشقة، ولا كلفة، وقوله (إِذَا أَصْبَحْتُ وإذا أَمْسَيْتُ) أسلوب شرط محذوف الجزاء لدلالة السابق عليه تقديره أقولهن، وصياغة المعنى في ثوب الشرط يشير إلى رغبته في اعتيادهن، والطباق بين أمسيت، وأصبحت يشير إلى استيعاب طرفي النهار حيث يعمرهما بذكر الله وكأنه يريد أن يعمل بقول الله تعالى (... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }(طه١٣٠) وقول الرسول (قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. ..) أمر توجيه، وإرشاد لما أراد، وتوجيه الرسول ﷺ لخليفته بهذا الدعاء يفتح أفاق عقله على مظاهر عظمة الله في خلقه للسماوات، والأرض، وربوبيته لجميع المخلوقات مما يشير إلى سعة علمه، وقدرته، وإحاطته، مع توحيده، والاستعاذة به من شر نفسه، والشيطان، لأنهما العدو الملازم للإنسان حتى الموت ولذلك استعاذ بالله من نفسه ومن الشيطان، (وشركه) أي ما يدعو إليه من الإشراك بالله، ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الدعاء عند النوم: يستحب الدعاء بهذا الدعاء وغيره عند إرادة النوم[1].

٢-حكم الوضوء عند النوم: اتفق الفقهاء على استحباب الوضوء عند النوم رجاء أن يموت الإنسان في ليلته فيموت على طهارة[2].

حكم نفض الفراش قبل النوم: يستحب نفض الفراش قبل أن يدخل فيه لئلا يدخل فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، وينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا

---

(١) حاشية العدوي ٢/٤٨٠-٤٨١، مطالب أولي النهى ١/٦٣، كشاف القناع ١/٧٨، شرح صحيح مسلم ٣٣/١٧.

(٢) حاشية رد المحتار ١/٨٩، حاشية الصاوي ١/٢٨، المجموع شرح المهذب ١/٤٩٧، الفروع ١/١٤٠، شرح صحيح مسلم ٣٢/١٧، فتح الباري ١٢٩/١١.

يحصل في يده مكروه إن كان هناك[1].

٤-حكم النوم على الشق الأيمن: يستحب النوم على الشق الأيمن لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى:

يظهر ذلك في قول أبي بكر رضي الله عنه: "يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت". وهذا يدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على التعلم من رسول الله ﷺ واهتمامه بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وحكمها من رسول الله ﷺ، وقد ورد الكثير من الأحاديث التي تدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال رسول الله ﷺ في أمور تخصه وعن الأدعية التي يدعو بها منها:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: "إنك لست تصنع ذلك خيلاء"[4]. ومنها قول أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) مطالب أولي النهى ١/٦٣، كشاف القناع ١/٧٨، شرح صحيح مسلم ١٧/٣٨.

(٢) مطالب أولي النهى ١/٦٣، كشاف القناع ١/٧٨، شرح صحيح مسلم ١٧/٣٣، فتح الباري ١١/١٢٩.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٥٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٥٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا، "وقال قتيبة: كثيرًا" ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم"(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ؟ قَالَ: بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(٢).

ثانيًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه للكلمات التي يقولها في الصباح والمساء وعند أخذ مضجعه..

في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله ... إلخ الحديث"، وفي ذلك تعليم منه ﷺ لأمته لما يقولونه في الصباح والمساء، والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، فلابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق(٣).

فعلى الدعاة إلى الله أن يعلموا الناس أحكام الإسلام ويعرفوهم بحدود الله(٤).

وكذلك الذكر والدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية وأذكار.

ثالثًا- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل:

يظهر ذلك في سؤال أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ فينبغي على المدعو أن يرجع في سؤاله إلى أهل العلم والفضل، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥)،

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٦/١، رقم ١٩، وقال محققو المسند حسن لغيره.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي، ٣٠٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٤٣.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٣.

قال السعدي: فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث، وفي ضمنه، تعديل لأهل العلم، وتزكيه لهم، حيث أمر بسؤالهم.... وأفضل أهل الذكر أهل القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة[1]، وسؤال أهل العلم فيه شفاء العِيِّ.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أَصَابَ رَجُلاً جُرْحٌ فِي عَهْدِ رسولِ الله ﷺ ثُمَّ احْتَلَمَ، فأُمِرَ بالاغْتِسَالِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسولَ الله ﷺ، فقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»[2].

قال العظيم آبادي: والمعنى: إن الجهل داء وشفاؤها السؤال والتعلم[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تعليمه ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأذكار الصباح والمساء.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ لأذكار الصباح والمساء.

ونحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4]، قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، لهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ، "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله[5].

فطاعة رسول الله والاقتداء به سبب الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[6]، أي: إلى الصراط المستقيم، قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٣٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داوود ٣٢٦).

(٣) عون المعبود ١٨٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٦.

(٦) سورة النور، آية: ٥٤.

وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال[١].

وقد أرشد الله عباده إلى ذكره في الصباح والمساء فقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٢]، قال ابن كثير: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعْ هؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إني أَسأَلُكَ الْعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ في دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ استُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وعن يميني وَعن شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[٤].

هذه الأدعية الكريمات كان ﷺ لا يدعها صباحًا ولا مساءً لتكون حصنًا من الآفات، وحذرًا من الشرور وأمانًا من المكاره فعلى المسلم أن يلازمها ولا يدعها اقتداء بنبيه ﷺ، وحفظًا لنفسه من الشرور وأسبابها[٥].

فينبغي على المدعو أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل ما جاء عنه من أدعية وأذكار حتى يُحصّل فضلها وبركتها، فإن كل ما ورد عنه ﷺ خير وكل ما جاء به ﷺ نافع فينبغي علينا التمسك بهديه في الأذكار والدعاء في الصباح والمساء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٥٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٠٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٣٩).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ٤٣٢/٦.

الحديث رقم (١٤٥٧)

١٤٥٧- وعن ابن مسعودٍ ﵁ قَالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمْسَى قَالَ: ((أَمْسَيْنَا وامْسَى المُلْكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)) قَالَ (الراوي) [1]: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: ((لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير، رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ))، وَإذَا أصْبَحَ قَالَ ذلِكَ أيضًا ((أصْبَحْنَا وأصْبَحَ المُلْكُ للهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعرض سنة عملية من سنن الذكر التي اعتاد الرسول ﷺ قولها حين يصبح، وحين يمسي، يدل على ذلك البناء التركيبي لعبارة الراوي وهو ابن مسعود ﵁ فقوله (كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمْسَى قَالَ) فهذا التركيب يشير إلى أنه عادة متكررة في كل صباح، ومساء من حيث أنه استخدم (كان) وهي تشير إلى العادة غالبا ثم إنه صاغ المعنى في أسلوب الشرط، ومن خصائصه أن يربط حدثا بحدث وجودا، وانتفاءً فقد ربط الإمساء بقول الدعاء المذكور في جملة الشرط الأولى، وكذا فعل في ربطه في جملة الشرط الثانية فربط كل وقت بالذكر المناسب له، وقد تضمن هذا الدعاء عدة عناصر تضمن للعبد سعادة الدنيا، والآخرة دون جهد أو كلفة منها الاعتراف بالفضل، والملك لله، والذي صوره الجناس في قوله (أَمْسَيْنَا وأمْسَى المُلْكُ للهِ) كما تضمن الدعاء الثناء على الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، والذي جاء في أسلوب

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٢٧٢٣/٧٥).

القصر بتعريف الطرفين قصرا للمعنى على الله وحده في قوله (والحمد لله) وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) وقد أكد هذا الإقرار بالوحدانية بنفي الشريك في قوله (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) ، وقول الراوي) أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ) رأى هنا ظنية تفيد الشك وعدم الجزم وقول الرسول ﷺ (رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وخير ما بعدها) نداء حذفت منه أداته استشعار ا لقرب لم يحتج معه إلى مد صوته بها ، والمقابلة بينها ، وبين جملة (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا) يؤكد المعنى، ويشير إلى أنه المتصرف بتحقيق الخير، ودفع الضر الكائن في الزمان المعلوم في الحاضر للعبد ، والمجهول فيما يستقبل كما تضمن الدعاء الاستعاذة من مجموعة من المفردات التي تترتب عليها نقلات نوعية في الشر المحدق بالعبد وهي (الكسل - سوء الكبر) وهما يشيران إلى توقف الحركة التي عليها قوام التقدم في اتجاه الدنيا ، والآخرة ومنها الاستعاذة من سوء المصير في الحياة الوسيطة في البرزخ المتمثل في (عذاب القبر) أو في المصير النهائي المتمثل في (عذاب النار) وقدم الاستعاذة من النار على الاستعاذة من عذاب القبر مع أنه أسبق في الترتيب الزمني لأن عذاب القبر مؤقت، وهو الأهون ، وعذاب الآخرة هو الدائم العظيم، فهو تقديم للأهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٥٨)

١٤٥٨- وعن عبد الله بن خُبَيْب -بضم الخاء المعجمة- ﵁ قَالَ: قَالَ لي رَسولُ الله ﷺ: ((اقْرَأْ[١]: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن خبيب: وهو عبدالله بن خُبَيْب - مُصغَّر - الجُهني، حليف للأنصار، وعداده في أهل المدينة له ولأبيه صحبة، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابناه عبدالله ومعاذ، وروى له البخاري في الأدب، كما روى له الأربعة[٣].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي ﵁ (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار الراوي بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم يعتزون بما يختصهم به رسول الله ﷺ، وحقٌّ لهم، وقول الرسول ﷺ له (اقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ) أمر نصح، وإرشاد وتوجيه إلى فضيلة ذات خصوصية في عظمة الثواب، والطباق بين قوله تمسي، وتصبح يقرر أنها تختص بطرفي النهار ذكرا يبدأ به اليوم، ويختمه، والبدايات، والنهايات له خصوصية في الأعمال تشعر المؤمن الذي قرأها بالسلام النفسي، والسكينة لأنه صار محفوظا من قوة لا تخترق، وقوله ثلاث مرات هو العدد

---

(١) (اقرأ) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٧٥). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٤٥/٢): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٨).

(٣) الاستيعاب (٣٩٥)، أسد الغابة (٢٢٤/٣)، الإصابة ٧٦٦)، تهذيب الكمال (١١٩/٤، ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٣٢٦/٢)، السندي (٣٣٥/٢٧).

المحدد المقصود في الذكر، وقوله (تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) هو جواب الأمر ونسبة الكفاية لهذا القول من نسبة الفعل لسببه على سبيل المجاز مبالغة في الكفاية، والمعنى يكفيك الله بسببها، وقوله من كل شيء استغراق لجميع ألوان المخوفات، والشرور التي يمكن أن تطرأ للعبد، فهي حرز وحصن له من الله تعالى، وما أكثر الشرور التي تحدق بالإنسان، ويحتاج إلى حصن منها!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله أحد: والمعوذتين...".

وذلك لفضل هذه السور وخيرها الكثير حرص رسول الله ﷺ على تعليم الناس ما ينفعهم، وما فيه خيرهم فهو رسول الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال القاسمي قوله: "حريص عليكم" أي: على هدايتكم، كي لا يخرج أحد

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

منكم عن اتباعه، والاستبعاد بدين الحق الذي جاء به "بالمؤمنين رءوف"، إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته "رحيم" إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "اقرأ: قل هوَ الله أحد، والمعوذتين، حين تمسى وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"، وهذا يدل على فضل سورة الإخلاص والمعوذتين، أما السورة الأولى فهي: سورة الإخلاص "قل هو الله أحد" التي أخلصها الله تعالى لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا ويتعلق بنفسه جلا وعلا، وليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، بل كلها مخلصة لله عز وجل، فهي مخلَصة مخلِصة تخلص قارئها من الشرك"[٢]. وقد بين رسول الله ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، فقال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قال: "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن"[٣].

وأما "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل، فأحل الله عنه السحر"[٤]. وقال رسول الله ﷺ: "أنزل أو أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين"[٥]. وقال ﷺ: "... فما تعوذ متعوذ بمثلهما"[٦].

تستعيذ "برب الفلق" فالفلق فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى جلا وعلا، "من شر ما خلق" كل ما خلق، "ومن شَر غاسق إذا وقب" يعني الليل إذا دخل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب "ومن شر

---

(١) محاسن التأويل مج٥/٨/٣٦٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٨١١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٥٣٨، وقد عزاه ابن كثير للثعلبي، في الكشف والبيان.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٤.

(٦) أخرجه أبو داود ١٤٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٢٩٩).

النفاثات في العقد" أي: الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله "ومن شر حاسد إذا حسد" هو العائن يؤثر، فأمرت أن تستعيذ "برب الفلق" جل وعلا ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاث "ومن شر غاسق إذا وقب" الليل، لأن البلاء يكون فيه خفيًا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما "قل أعوذ برب الناس": فهي السورة الأخرى أيضًا التي بها الاستعادة بالله عز وجل "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس" فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا "ملك الناس، إله الناس" أي: معبودهم الذي يعبد بحق، فلا معبود يحق إلا الله عز وجل "من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس"، هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم، الدنيا اسم على مسمى، دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد لا يوجد نظيره فيما سبق، النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، لكن كثرت في الناس الآن كثرة الوساوس والأمراض النفسية، والبلاء، حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنست الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[1]. والله عز وجل إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جوانب أخرى، والشاعر الجاهلي يقول:

(١) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ[١]

فالحاصل: أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانًا في أصول الدين، وفي ذات الرب، وفي القرآن، وفي الرسول، حتى يوسوس الإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، وسواس أيضًا في الطهارة، بعض الناس يصاب بالوسواس، والعياذ بالله، يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق يبقى خمس ساعات، نسأل الله العافية.

وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام، حتى إن بعضهم يقول: إني ما أستطيع أن أصلي إطلاقًا. فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة، يقع الوسواس في معاملة الأهل، حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه، فيأكل من المطاعم، وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول: يا أم فلان (زوجته) فيقول له الشيطان: طلقها وينكد عليه الحال، حتى إن بعضهم إذا فتح المصحف ليقرأ كلما قلب ورقة خيل له الشيطان أنه قال لامرأته طالق فترك قراءة القرآن، فالوساوس عظيمة لكن طردها سهل جدًا بينه النبي ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم وفواتح الكلم، وخواتم الكلم، حين شكي إليه هذا الأمر فقال ﷺ: «إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته»[٢]. كلمتان، يستعذ بالله، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجئ إلى الله حقًا، لا مفر له من الله إلا إليه، ولينته: أي يعرض عن هذا، يعرض إطلاقًا إذا استعمل هذا وإن كان سوف يكبس على نفسه وسوف يتعلم وسوف يتعذب، لكن هذا في أول الأمر، ثم بعد ذلك يزول بالكلية؛ لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال: ((فليستعذ بالله)) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

---

(١) نفح الطيب ١٨٨/٣، العقد الفريد ٧٤/٣، قافية الراء.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦، ومسلم ١٣٤، بلفظ (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته).

هذه الجمل الثلاث، الآيات الثلاث، يمكن أن يقال: إنها استوعبت أقسام التوحيد ﴿برب الناس﴾ توحيد الربوبية ﴿ملك الناس﴾ الأسماء والصفات؛ لأن الملك لا يستحق أن يكون ملكًا إلا بتمام أسمائه وصفاته ﴿إله الناس﴾ الألوهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ قال العلماء: ﴿الخناس﴾ هو الذي يخنس عند ذكر الله. ولهذا جاء في الحديث: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان))[1]، الغيلان: هي الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، ولاسيما في الأسفار الأولى على الإبل، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين تتلون بألوان، مثل: أسد، ذئب، ضبع، شياطين، جن ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) يعني قولوا: "الله أكبر" فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله عز وجل ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ يعني هذا الوسواس يكون من الجِنَّة ويكون من الناس، الجِنَّة هي الجن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور والناس أيضًا شياطين بني آدم وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون، هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة أو غير ذلك، المهم عندهم وساوس، شياطين الإنس احذرهم، احذر شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة[3].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٣/٣٨٢، رقم ١٥٠٩١ وقال محققو المسند: صحيح لغيره دون قصة الغيلان ٢٣/٣١٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٣٨، ١٥٣٩.

أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

قال ابن عثيمين: المهم أن هذه السور ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء، لأمر النبي ﷺ بها[١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٢]. قال ابن كثير: أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهي عن شر[٣].

وفي أمره ﷺ بقراءة الإخلاص والمعوذتين خير كثير فينبغي على المسلم الحرص على هذا الخير بقراءة هذه السور ثلاث مرات في الصباح وثلاث مرات في المساء.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٣٩.

(٢) سورة الحشر، آية : ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٦٧.

الحديث رقم (١٤٥٩)

١٤٥٩- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١٨).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر الذي يستوعب جمله من بدايته إلى نهايته، والذي يقصر قائل الدعاء المذكور صباحا، ومساء على عدم إصابته بضر أي أنه يحقق له الحماية المطلقة من كل الشرور، وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي مع الاستغراق، والعموم في قوله (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ) فالعموم مستفاد من النكرة (عبد) الواقعة في سياق النفي، والاستغراق أفادته (من) قبلها، والحدث هو (يقول) ولفظ المضاف للصباح، والمساء (كل) يعطي الحدث اطرادا على الزمان يضمن حماية لا تنقطع، واتصال الصباح باليوم، والمساء بالليلة توكيد لهذا الاتصال يؤكد عدم انقطاع سبب الحماية وقوله (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) استعانة بالاسم المخصوص من أسماء الله بمنع الضر الآتي من جهة السماء أو من جهة الأرض تستوعب المكان، وقوله (وهو السميع العليم) تذييل بلاغي يفيد الإحاطة بكل أنواع الضر ومصادرها علما مع قدرته على منعها عن العبد، وهو السميع المجيب للعبد إذ استعاذ به بمثل هذه الدعوات، وغيرها من صيغ الاستعاذة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٢)، وقال الحاكم (٥١٤/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٦٧/٢): هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض والسماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا لم يضره شيء". قال ابن عثيمين: وهذه الكلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" لأن الله سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء لا يضر معه. وقوله: "وهو السميع العليم" فالسميع من أسماء الله والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله وله معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت يسمعه مهما بعد ومهما ضعف لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1]، قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها أو ما أسمع ما تقول[2].

الثاني: السميع: أنه سميع الدعاء، أي: مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم ﷺ: "إن ربي لسميع الدعاء، أي: مجيبه فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافرًا".

ولهذا يجيب الله عز وجل، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم قال النبي ﷺ: «اتَّقِ

---

(١) سورة المجادلة، آية : ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ١٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٥٥).

دَعوةَ المظلومِ، فإنها ليسَ بينَها وبينَ اللهِ حِجاب»[١].

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

فالله عنده مفاتيح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، ولو كانت صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا، يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء الله به عليم[٣].

فهذا الدعاء يتضمن معاني سامية وألفاظًا عظيمة وفوائد جليلة فلذلك علمه رسول الله ﷺ أمته.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

وفي ذلك ترغيب منه ﷺ وحث على قول هذا الدعاء لما فيه من خير. والنفس البشرية مطبوعة على حب الخير فإذا دعا الداعية المدعوين إلى دعوته وبين لهم ما يعود عليهم من خير ليقبلوا هذه الدعوة، حرصوا على الامتثال لها.

فعلى الداعية أن يكثر من المرغبات في الطاعات كالإيمان بالله والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[٤]. وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٤٤٨، ومسلم، ١٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٠-١٥٤١.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٤٤١.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اليقظة الإيمانية الدائمة:

إن الغفلة داء موبق للنفس يوردها موارد التهلكة، فالحيوان يسير في حياته، وفق ما فطر عليه لا يحيد ولا ينحرف، وقد مُيز الإنسان بإرادته ووعيه ويقظته، فإذا غفل وتداعي وعطل إرادته، وعاش أسير أهوائه وشهواته هبط، دون مستوى الحيوان.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[1].

وفي الذكر عند الصباح والمساء علاج لهذه الغفلة وتربية على اليقظة الدائمة، فقد ربي الرسول ﷺ المؤمن على دوام اليقظة حتى لا يغفل عن نفسه، ولا عن مقاومة هواه، فحض على الذكر، وحث عليه صباح مساء - كما ورد في أحاديث الباب - ، وكان النبي ﷺ حريصًا على أن تكون حياته ذكرًا متصلاً، حريصًا على أن يربى أصحابه على ذلك، وليس الذكر ترديد اللسان لاسم من أسماء الله آلاف المرات؛ إنما الذكر هو يقظة النفس الدائمة، وتطلعها المستمر إلى الله والتفكير في نعمه وآلائه، والاستعانة به على كل أمر من أمور الدنيا والآخرة؛ لذا كان الذكر الدائم صباح مساء يجعل المؤمن دائم الصلة بربه، مرهف الحس بعيدًا عن الغفلة والهوى[2]، وهذا ما يجدر بأهل التربية والتعليم غرسه في نفوس المتعلمين.

ثانيًا: التربية بالثواب وعظم الأجر:

إن النفس الإنسانية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، وهذا ما ترائي جليًا في مجمل أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى صباح

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩.

مساء بعظيم الثواب، والأجر من الله؛ لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان؛ لذا كان على دعاة التربية والتوجيه غرس المحافظة على ذكر الله[1] صباحًا ومساء في قلوب المتعلمين بإظهار عظم الثواب وجزيل الأجر من الله.



(١) نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد شاكر الشريف، ص٩٢.

٢٤٩- باب مَا يقوله عِنْدَ النوم

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] الآيات.

الحديث رقم (١٤٦٠)

١٤٦٠- وعن حُذَيْفَةَ، وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِراشِهِ، قَالَ: ((بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وأَمُوتُ)). رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٤) من حديث حذيفة. ولفظهما: (اللهم باسمك أموت وأحيا).
والسياق للحميدي في جمعه (٢٨٥/١، رقم ٤٠٤). أورد المؤلف هنا شطر الحديث الذي تقدم برقم (١٤٤٨) وقد تقدم كاملاً برقم ٨١٧..

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٦١)

١٤٦١- وعن عليٍّ ﵁ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما : **((إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا – أَوْ إِذَا[1] أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا – فَكَبِّرا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، واحْمِدا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ))** [2].

وفي روايةٍ[3]: التَّسْبِيحُ أَرْبعًا وثلاثينَ.

وفي روايةٍ[4]: التَّكْبِيرُ أَرْبعًا وَثَلاَثينَ. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وإذا أويتما إلى فراشكما: أويتما من أوى: سكن ونزل والمعنى دخل في فراشه وانزوى فيه[5].

إذا أخذتما مضاجعكما: إذا أردتما النوم في مضجعكما[6].

الشرح الأدبي

الحديث الذي يرويه علي ﵁ فيه تعليم من الرسول ﷺ لهما ذكرا من أذكار النوم، وقوله (قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ ﵄) يشير إلى اختصاصهما بالخبر معرفة لا في العمل به دون الناس، وكون الخطاب لهاتين الشخصيتين المقربتين من قلب النبي ﷺ يجعل الدعاء الموصى به له خصوصية في الفضل، وقول الرسول ﷺ (إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى

---

(١) (إذا) لا توجد عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٣) أخرجها البخاري عقب الحديث (٦٣١٨) من رواية ابن سيرين

(٤) أخرجها البخاري (٣١١٣)، و(٣٧٠٥)، و(٥٣٦١)، و(٥٣٦٢، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٥) الوسيط في (أ و ي)، ودليل الفالحين (١٥٠٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥٩٦).

فِرَاشِكُمَا) أسلوب شرط يربط التهيؤ للنوم بالأمر بالتكبير، والتسبيح، والتحميد، وبذلك تكون آخر ما يقولان فيختم لهما بختام خير من الحسنات، وقوله (فكبرا - وسبحا - وحمدًا) هي أوامر توجيه، ونصح لما فيه الراحة النفسية، والأخروية، والتعبير بالإيواء يشير إلى السكن، والطمأنينة، والراحة، وذكر العدد (ثَلاَثاً وَثَلاثِينَ) وتكراره مع كل لون من ألوان الذكر ينص على قصد العدد المذكور دون نقصان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إذا أويتما إلى فراشكما -أو إذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين" الحديث.

وكانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ اشتكت إليه ما تجده من الرحي "أداة طحن الحب" وطلبت من أبيها خادمًا، فقال ﷺ: "آلا أدلكما على ما هو خير من الخادم". ثم أرشدهما إلى هذا، أنهما إذا أويا إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما، يسبحان ثلاثًا وثلاثين، ويحمدان ثلاثًا وثلاثين، ويكبران أربعًا وثلاثين، فهذه مائة مرة، فإن هذه مما يعين في الحاجات، ويجعل الإنسان ينام على ذكر الله[2].

قال القاضي عياض: ظاهره أن النبي ﷺ أعلمهم أن عمل الآخرة على كل حال

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٢، ١٤٦٣).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٤٢/٢.

أفضل من أمور الدنيا، وهذا ما لاشك فيه، وإنما قصد النبي ﷺ هذا لما لم يمكنه الخادم التي سألت، ... ثم علمهما - إذا فاتهما ما طلباه - ذكرًا يحصل لهما به أجر أفضل مما سألاه"[1].

والتسبيح والتحميد والتكبير من أفضل الأذكار، قال رسول الله ﷺ "لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس"[2]، من أجل ذلك وصى علي وفاطمة رضي الله عنهما بهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى:

يظهر ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه ...الخ". الحديث.

قال القرطبي: "وقوله: ((فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه)) داخلة الإزار: هي ما يلي الجسد من طرفي الإزار.

قلت: هذا الحديث يتضمن الإرشاد إلى مصلحتين: إحداهما معلومة ظاهرة وهي: أن الإنسان إذا قام عن فراشه لا يدري ما دب عليه بعده من الحيوانات ذوات السموم، فينبغي له إذا أراد أن ينام عليه أن يتفقده، ويمسحه، لإمكان أن يكون فيه شيء يخفي من رطوبة أو غيرها، فهذه مصلحة ظاهرة، وأما اختصاص هذا النفض بداخلة الإزار لم تظهر لنا، بل: إنما ظهرت تلك للنبي ﷺ بنور النبوة، وإنما الذي علينا نحن الامتثال. ويقع لي: أن النبي ﷺ علم فيه خاصية طبية تنفع من ضرر بعض الحيوانات كما قد أمر بذلك في حق العائن. والله تعالى أعلم. ويدل على ذلك ما زاده الترمذي في هذا الحديث: ((فليأخذ صنفة إزاره، فلينفض بها فراشه ثلاثًا))[3]، فحذا بها حذو تكرار الرُّقى.

---

(١) إكمال المعلم ٨/ ٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٤٠١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٧٠٧).

وقوله: ((لك وضعت جنبي، وبك أرفعه)) كذا صح: لك وضعت، باللام، لا بالباء، وبك أرفعه: روي بالباء وباللام، فالباء للاستعانة. أي: بك أستعين على وضع جنبي ورفعه. فاللام يحتمل أن يكون معناه: لك تقربت بذلك. فإن نومه إنما كان ليستجم به لما عليه من الوظائف؛ ولأنه كان يوحي إليه في نومه، ولأنه كان يقتدى به، فصار نومه عبادة، وأما يقظته. فلا تخفى أنها كانت كلها عبادة، ويحتمل أن يكون معناه لك وضعت جنبي لتحفظه، ولك رفعته لترحمه"[1].

قال النووي: ومعناه: أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، ولينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك[2].

وليقل: "باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"، وذلك أن الإنسان إذا نام فإن الله يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[3]، ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت، إلا أنه نوع من القبض، ولهذا يفقد الإنسان وعيه ولا يحس بمن حوله، فلهذا سماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[4]، فينبغي للإنسان أن يقول هذا الذكر[5].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ، كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده.

---

(١) المفهم، ٧/٤٣-٤٤.

(٢) شرح مسلم، ص١٥٩٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٤٣.

وفي الرواية الثانية: ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده..."، قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل ذلك ينفخ في يديه مجموعتين ويقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، "قل أعوذ برب الفلق"، "قل أعوذ برب الناس"، ثلاث مرات، ويمسح رأسه ووجهه وصدره وبطنه وفخذيه وساقيه وكل ما يستطيع من جسده"[١].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأدعية والأذكار عند أخذ المضجع.

فمن آداب المدعو أن يقتدي برسول الله ﷺ عند أخذه مضجعه حتى تناله بركة هذه الأدعية والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ.

قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

قال د. محمد محمود حجازي: "لقد كان لكم أسوة حسنة في النبي ﷺ لمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه يوم القيامة، وذكر الله كثيرًا حبًا في ذكره وأملاً في ثوابه، وهذا.... إرشاد للناس أجمعين حيث يجب عليهم أن يأتموا بالنبي ﷺ في كل شيء، فهو المثل الأعلى المثل الكامل ﷺ"[٣].

(١) شرح رياض الصالحين٢/١٥٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التفسير الواضح، مج٢/٢١/٨١.

الحديث رقم (١٤٦٢)

١٤٦٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإنْ أَرْسَلْتَهَا، فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)) متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بداخلة إزاره: طُرفه وحاشيته من داخل[٢]، والإزارُ: ثوبٌ يُحيط بالنصف الأسفل من الجسد[٣].

ما خلفت عليه: ما صار بعده خلفًا وبدلاً إذا غاب[٤].

إن أمسكت نفسي: كناية عن الموت[٥].

أرسلتها: كناية عن استمرار الحياة والبقاء[٦].

الشرح الأدبي

يدور المعنى في الحديث حول بيان أذكار النوم، وهي اللحظة التي يسلم الإنسان فيها روحه لربه في لحظة لا يملك فيها حولا ولا قوة فيتركها في يد خالقها يحفظها، ويردها مع تمام التفويض لله تعالى قال العلماء وحكمة الذكر والدعاء عند النوم

---

(١) اخرجه البخاري (٦٣٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٤/٦٤).

(٢) النهاية في (د خ ل)

(٣) الوسيط في (أ ز ر)، ودليل الفالحين ١٥٠٦.

(٤) فتح الباري (١٣١/١١).

(٥) فتح الباري (١٣١/١١).

(٦) انظر فتح الباري (١٣١/١١).

واليقظة أن تكون خاتمة أعماله على الطاعة وأول أفعاله على الطاعة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط تلك العادة بنفض الفراش (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ) وجواب الشرط هو الأمر بالنفض وهو التحريك وقوله (بداخلة إزاره) الباء للاستعانة أي: بطرف ردائه، وقيد النفض بإزاره، لأن الغالب في العرب أنه لم يكن لهم ثوب غير ما هو عليهم من إزار ورداء، وقيده بداخل الإزار، ليبقى الخارج نظيفا، ولأن هذا أيسر، ولكشف العورة أقل، وأستر وإنما قال هذا، لأن عادة العرب ترك الفراش في موضعه ليلا، ونهارا، ولذلك علله بقوله (فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ) وفيه تحذير من عواقب المخالفة بالتعرض لما يعقبه، وفي قوله في الدعاء (وضعت - وأرفعه) طباق يؤكد المعنى ويفوض الأمر في الحالين لله تعالى وبين قوله أمسكتها، واحفظها طباق يؤكد ملكه التصرف في روح العبد، وفي الحديث تناسب بين الإمساك، والرحمة، وبين الإرسال والحفظ، وقوله (بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) قيد يفيد تخصيص نوعية الحفظ بما يضمن حسن الحال، والمآل، وهو حال الصالحين.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٦٣)

١٤٦٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، كَانَ إِذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لهما[2]: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرأَ فيهما: ((قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)) ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا استْطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَى رَأسِهِ وَوجْهِهِ، وَمَا أقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نفث في يديه: النفث: نفخ لطيف بلا ريق[3].

المعوذات: المراد بالمعوذات الإخلاص، والفلق، والناس[4].

الشرح الأدبي

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حالا من أحوال النبي ﷺ في الذكر الذي يتلوه عند نومه، وهي حال لا يعرفها إلا آل بيته، وقولها (أن رسول ﷺ كان) يشير استخدام كان إلى العادة - غالبا -، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط بين أخذ المضجع، وبين النفث في اليدين، وما عطف عليه وقوله (أَخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن التهيؤ للنوم، وقوله (نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وقرأ بالمعوذات) قيل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٩) أورده الحميدي في جمعه (٨٥/٤، رقم ٣١٩٧) في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧). أورده الحميدي في جمعه في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٠٢.

(٤) فتح الباري (١٢٩/١١).

الْوَاو لَا تَدُلّ عَلَى التَّرْتِيب فَلَا يُنَافِي تَقْدِيم الْقِرَاءَة عَلَى النَّفْث كَمَا هُوَ الْمُعْتَاد، وَيُحْتَمَل أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُخَالِف الْعَادَة الَّتِي بَيْن النَّاس بتقديم القراءة على النفث، والمعوذات هي ما يستعاذ بها، والمقصود بها -كما فصَّلت الرواية الثانية- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وقوله (ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ) يشير إلى الإحاطة بالحفظ المانع لأنواع الشرور التي يتوقعها الإنسان مما يعلمه، ويراه، ومما لا يراه كالشيطان، والجن، وهذا الذكر مع تضمنه للحفظ فهو عبادة، وقربى لله وصالح يختم به.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع المضامين الدعوية الحديث رقم (١٤٦١).

الحديث رقم (١٤٦٤)

١٤٦٤- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((إذَا أتَيتَ مَضْجعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَن، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، (وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ)[١]، وَفَوضْتُ أمْرِي إليكَ، وألْجَأتُ ظَهرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً[٢] إليكَ، لا مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إليكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أرْسَلْتَ، فإنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ)) متفق عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأتُ ظهري: أسندته[٤]، والمراد: توكلتُ عليك.

الفِطرةُ: الحالةُ الأولى التي خُلق الخلق عليها، وهي التوحيد والإسلام[٥].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان يدور حول السنة الفعلية للرسول ﷺ، والتي نقلتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن فعل النبي ﷺ عند النوم من الذكر، وهذا الحديث يشير إلى توجيه نبوي لفعل المؤمن عند النوم، وكأنه يهيِّئه لعبادة وليس لنوم فيحتسب نومته كما يحتسب قومته، وقد قام المعنى على الشرط الذي يربط إرادة النوم بالأمر

---

(١) قوله: (وجهت وجهي إليك) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٣١٣)، وكذا عند مسلم برقم (٥٧/ ٢٧١٠).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (رهبة ورغبة)، والمثبت عنده برقم (٦٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١١) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠)، وتقدم برقم (٨٠) الشطر الأول منه، ثم قال: وذكر نحوه. أورده المنذري في ترغيبه (٨٧٣).

(٤) اللسان والوسيط في (ل ج أ).

(٥) النهاية في (ف ط ر).

بالوضوء، والتشبيه البليغ في قوله (فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلاَةِ) يقرر أنه وضوءاً شرعيا لا لمجرد النظافة مع استحضار حالة الخشوع، والسكينة التي تسبق الصلاة لأنه يوشك أن يفارق روحه، ولا يدري إن كانت سترد إليه أم لا، ويؤيده هذه الحال الدعاء بعدها في قوله (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ) بما يشير إلى كامل التفويض وتأمل ما تفيض بها ألفاظ الدعاء من تمام الخضوع (أسلمت - وجهت - فوضت - ألجأت) مع التناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومراعاة النظير في الجمع بين هذه المعاني، وقَوْله (رَغْبَة وَرَهْبَة) عِلَّة لِكُلٍّ مِنْ الْمَذْكُورَات، (وَإِلَيْك) مُتَعَلِّق بِالرَّغْبَةِ وَمُتَعَلَّق الرَّهْبَة مَحْذُوف أَيْ مِنْك، وقوله (لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا إِلاَّ إِلَيْك) الْمَلْجَأ مَهْمُوز وَالْمَنْجَا مَقْصُور وَلَكِنْ قَدْ يُهْمَز لِلازْدِوَاجِ وَقَدْ يُجْعَل الأَوَّل مَقْصُورًا لَهُ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ أَصْل الْكَلِمَة، أَيْ: لا مَهْرَب وَلا مَلاذ وَلا خَلاص عَنْ عُقُوبَتك إِلاَّ بِرَحْمَتِك، وقوله (آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ. ..) تجديد للإيمان كل ليلة يستلزم تصفية العمل، وتدارك النقص وتحقيق المتابعة، وقوله (فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ) جملة الجواب التي تشير إلى أنه بهذا الدعاء صار إلي الإيمان الكامل الذي ارتضاه الله لخلقه وفطرهم عليه، وقوله (وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ) تتميم بلاغي يجعله يختم أعماله بصالح.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح إحدى روايات الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (١٤٦٥)

١٤٦٥- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

كفانا : أغنانا[2].

آوانا : ردّنا إلى مأوًى ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم[3].

مُؤوي: راحم وعاطف[4].

الشرح الأدبي

لفظ الإيواء يدل على السكون والراحة، والاستقرار، وبتعلقه بالفراش يشير إلى الدخول فيه، والتهيؤ للنوم، والتعبير بكان يشير إلى تكرار الحدث، واعتياده ويقويه استخدام الشرط الذي يدل على الاطراد والتلازم بين النوم، وبين قول الدعاء المذكور، والدعاء يتضمن حمد الله على نعمه، والتي عد منها (أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا) ووصلها جميعا بضمير الجماعة دلالة على عموم الخير وعظيم الفضل، وتخصيص النعم المذكورة لأنها جملة النعم التي لابد منها لتمام متاع العبد، ونقص واحد منها ينغص بقية النعم، وقوله (فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ) تبصير للنفس بنعم الله التي حرم منها كثير من خلقه، ومعناه أن كثيرا من خلق الله لا يكفيهم الله شر الأشرار، ولا يجعل لهم مسكنا بل تركهم يتأذون في الصحارى بالبرد، والحر وقيل: معناه كم من

---

(١) برقم (٢٧١٥/٦٥).

(٢) الوسيط في (ك ف ا)، دليل الفالحين ١٥٠٦.

(٣) النهاية في (أ و ى).

(٤) النهاية في (ك ف ي).

منعم عليه لم يعرف قدر نعمة الله فكفر بها، وهو ما يستلزم مزيد الحمد مع استشعار النعمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان.

ثانيًا: من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كَافِيَ له ولا مُؤْوِيَ".

قال القرطبي: "وقوله: (فكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي) أي: كثير من الناس ممن أراد الله إهلاكه فلم يطعمه ولم يسقه، ولم يكسه؛ إما لأنه أعدم هذه الأمور في حقه، وإما لأنه لم يقدره على الانتفاع بها حتى هلك، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون معناه، فكم من أهل الجهل والكفر بالله تعالى من لا يعرف أن له إلها يطعمه ويسقيه، ويؤويه، ولا يقر بذلك، فصار الإله في حقه وفي اعتقاده كأنه معدوم"[1].

أما المؤمن فهو دائماً يعرف نعم الله عليه ويعلم أنها لا تعد ولا تحصى، ويستشعر بها وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل إنسان لأن استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان تجعله راضيًا عن نفسه، أعني عن وجوده ومكانه في الكون، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله.

وهو راض عن ربه، لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة، لم يخلق شيئًا لهوًا، ولم يترك شيئًا سدى، له الملك، وله الحمد، نعمه عليه لا تُعدُّ، وفضله عليه لا يُحدُّ، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائمًا هذا الثناء الذي ردده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿ ٱلَّذِى

---

(١) المفهم ٧/٤٥.

خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾[1]،[2].

ثانيًا - من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي".

قال الطيبي: فالمعنى أن نحمد الله تعالى على أن عرفنا نعمته، ووفقنا لأداء شكرها، فكم من منعم عليه لم يعرفها فكفر بها، وكذلك الله مولى الخلق كلهم بمعنى أنه ربهم، ومالكهم، لكنه ناصر المؤمنين، ومحب لهم، فالفاء في "فكم" لتعليل الحمد[3].

قال النووي: "آوانا" هنا رحمنا[4]. فقوله: "كم ممن لا مؤوى له" أي لا راحم ولا عاطف عليه[5].

قال ابن عثيمين: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي» يحمد الله عز وجل الذي أطعمه وسقاه، فلولا أن الله عز وجل يسر لك هذا الطعام وهذا الشراب ما أكلت ولا شربت، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[6]، فتحمد الله الذي أطعمك وسقاك ((الحمد لله

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨٢.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١١٠-١١١

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥٩٦.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٧٠.

الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا)) كفانا يعني: يسَّر لنا الأمور وكفانا المؤونة، وآوانا أي: جعل لنا مأوى نأوي إليه، فكم من إنسان لا كافي له ولا مَأوَى، أو ولا مُؤْوِي، فينبغي لك إذا أتيت مضجعك أن تقول هذا الذكر[1].

قال ابن القيم (قال الهروي: الشكر: اسم لمعرفة النعمة. لأنها السبيل إلى معرفة المنعم، ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا فمعرفة النعمة: ركن من أركان الشكر، لأنها جملة الشكر والاعتراف بنعمة المنعم، والثناء عليه بها والخضوع له ومحبته، والعمل بما يرضيه فيها. وقوله: "لأنها السبيل إلى معرفة المنعم". يعني أنه إذا عرف النعمة توصل إلى معرفة المنعم بها. وهذا من جهة معرفة كونها نعمة، لا من أى جهة عرفها بها، ومتى عرف المنعم أحبه، وجد في طلبه، فمن عرف الله أحبه لا محالة، ومن عرف الدنيا أبغضها لا محالة.

وعلى هذا: يكون قوله: "الشكر اسم لمعرفة النعمة"، مستلزمًا لمعرفة المنعم، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره[2]، وحمد العبد ربه وشكره على نعمه يزيد النعمة. قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[3]، فينبغي على المدعو أن يعلم نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى وأن يحمده ويشكره عليها.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٤٤/٢.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٥٨١/٢.

(٣) سورة إبراهيم، آية : ٧.

الحديث رقم (١٤٦٦)

١٤٦٦- وعن حذيفة ﵁: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ورواه أَبُو داود[2]؛ من رواية حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، وفيهِ أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة أشارت إلى جملة من أذكار الرسول ﷺ التي كان يحافظ عليها عند النوم، وتنوع هذه الأذكار فيه تيسير على الناس حتى يقول كل واحد منهم ما يستطيع حفظه، وما يناسب حاله، وهو أيضا من فتح باب الخير لأصحاب العزائم الذين يطمحون إلى الثواب الجزيل، والذين يعملون بكل هذه الأذكار، وهي في جملتها لا تستغرق طويل زمن، وهذا الحديث يشير إلى هيئة نوم رسول الله ﷺ مع تضمنه للدعاء المرافق لحالة النوم وكما قلنا سابقا - أن استخدام كان، وأسلوب الشرط يشير إلى الاعتياد، والمواظبة على الفعل (كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ) وأسلوب الشرط يربط إرادة النوم بوضع اليد اليمنى تحت الخد وقول الدعاء المذكور، وهو من عادته في التيمن ﷺ في كل شيء، والنوم على الشق الأيمن، والنوم عليه أسرع إلى الانتباه لعدم استقرار القلب حالتئذ فإنه بالجانب الأيسر فيتعلق، ولا يستغرق في النوم بخلاف النوم على الأيسر، لأن القلب لاستراحته

---

(١) برقم (٣٣٩٨). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٥٠): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) برقم (٥٠٤٥). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/١١٥): وأخرجه أيضًا النسائي (الكبرى ١٠٥٣٠): وسنده صحيحٌ.

يستغرق فيبطئ الانتباه والنوم عليه وإن كان أهنأ لكن إكثاره يضر القلب لميل الأعضاء إليه، وقوله (اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ) دعاء فيه توجه بكامل التضرع والخشوع جسَّدته صيغة (اللهم) تبعه أسلوب الأمر الدعائي (قني) والتعبير بالوقاية يوحي بالحماية، والمنع، والحفظ من الأسباب الموصلة للهلاك من الذنوب، وغيرها، وتخصيص الوقاية بيوم البعث لشدة هوله وحاجة الناس لمن يدفع عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده:

يتضح ذلك في قول حذيفة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

وقد ورد الكثير من الروايات عن الصحابة ﷺ تبين حال النبي ﷺ في رقوده وما يقوله من أذكار وهذا يدل على حرصهم عن بيان أحواله ﷺ في رقوده لأمته، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ بالتبليغ عنه فقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[1].

قال ابن حجر: "وقال في الحديث: (ولو آية)، أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ"[2].

قال المباركفوري: "أي: ولو كان الـمُبلَّغ آية قال في اللمعات: الظاهر أن المراد آية القرآن، أي: ولو كانت قصيرة من القرآن، والقرآن مبلغ عن رسول الله ﷺ لأنه الجائي به من عند الله ويفهم منه تبليغ الحديث بالطريق الأولى فإن القرآن مع انتشاره وكثرة حملته وتكفل الله بحفظه لـمّا أُمِرنا بتبليغه فالحديث أولى"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٢) فتح الباري ٦/٥٧٥.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/٢٠٣١.

إن الصحابة رضي الله عنهم صحبوا رسول الله ﷺ وأحبوه، ومن تمام محبة النبي ﷺ وتعظيمه: الحرص على نشر السنة وتبليغها، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[1]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مثل ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكثِيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[2].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية -المشار إليها في الحديث-، فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا مع حفظه للعلم فانتفع أولاً ونفع ثانيًا فهو لا شك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعيًا لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس. ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه، ولا شك بأن الابتداع في دينه من خوارم المحبة الصادقة، ولهذا قال النبي ﷺ: ((مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ فيهِ فهوَ رَدّ))[3].

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء، أنهم يزعمون أن الابتداع في دين النبي ﷺ من تمام المحبة له، وهذا جهل عظيم، فالمحبة تقتضي التسليم للمحبوب، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه.

ولهذا تجد أن المبتدع لا يحب نشر السنة النبوية، ويسعى لكتمانها، قال ابن تيمية:

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧.

"من المعلوم أنه لا تجد أحدًا ممن يَرُدُّ نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يَرِدْ، ولو أمكنه كشطُ الحديث من قلبه ما تردد. وقيل عن بعض رؤوس الجهمية - إما بشر المريسي أو غيره -: أنه قال: ليس شيء أنقص لقولنا من القرآن، فأقروا به في الظاهر، ثم حرفوه بالتأويل. ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافًا لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه"[1].

تلك أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه، تُقاس بها درجة التعظيم وتفحص بها حرارة المحبة، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين أجمعين على التزامها ما حيينا[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

إن تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى ظاهر في دعائه لله عز وجل، ومما يؤكد على ذلك أنه كان يدعو بهذا الدعاء: ((اللّهُمَّ اغفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي. وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي. وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللّهُمَّ اغفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلِي. وَخَطَئِي وعَمْدِي. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي)، إلى قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: أنا متصف بهذه الأشياء اغفرها لي، قيل: قال تواضعًا وعد على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو وقيل: ما كان قبل

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٢١٧ - ٢١٨.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٨، ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا لأن الدعاء عبادة"(١).

وقال المحاسبي: "الملائكة والأنبياء أشد خوفًا ممن دونهم، وخوفهم إجلال وإعظام واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض: يحتمل أن يكون قوله: (اغفر لي خطيئتي)، وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت)، على سبيل التواضع والخضوع والشكر لربه لما علم أنه قد غفر له، وقيل: قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية ليقتدى به في ذلك"(٢).

ولقد كان محمد ﷺ أعرف الناس بالله وأخشاهم لله، وأتقاهم لله، قام حتى تفطرت قدماه إجلالاً وشكرًا لمولاه، ولقد عظمت الأحاديث وكثرت الآثار والأخبار التي رويت عن النبي ﷺ مما يحمل في طياته التعظيم والإجلال للواحد المتعال"(٣).

وللكلام الإنساني درجة حرارة معينة يموت دونها فلا يترك أثرًا، ولا يبلغ هدفًا، وعندما يذكر محمد ﷺ ربه راغبًا أو راهبًا يشتد النبض في الكلمات المناسبة، وتحتد العاطفة في المشاعر الحارة فلا يملك قارئ أو سامع إلا أن يخشع، ويستكين لله رب العالمين، وذلك واضح بيّن في مئات الأحاديث المروية عنه ﷺ، ولا سيما في الأذكار والأدعية، ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث: ((اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ. وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي. أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ. وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ))(٤).

وقوله إذا خرج من بيته: ((بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٢/١١.

(٣) انظر: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/٢ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧ واللفظ له.

(٥) أخرجه النسائي ٥٤٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٥٠٦١)

وقولـه إذا أوى إلى فراشـه: ((اللَّهُـمَّ أَسْلمتُ نفـسي إليـكَ، ووجَّهـتُ وجهـي إليـكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، والجأْتُ ظهري إِلَيْكَ، رغبةً ورهْبَةً إليكَ، لا ملجأَ ولا منجى مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ، آمنتُ بِكتابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ))[1].

إلى غير ذلك من هذه الكلمات والعبارات والأذكار والدعوات التي تصل المرء بربه، وتعمر بذكر الله وقته، وتحيي فؤاده، وتجلي بصيرته، وتزرع في قلب المؤمن الأنس بالله والمهابة والخشية من الله[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٥.

(٢) انظر: "الله" أهل الثناء والمجد ص ٢٤٩ - ٢٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ذكر الله عند النوم:

إن تحصين النشء المسلم بالأذكار الشرعية عند النوم، من أهم ما يجدر بدعاة التربية والتوجيه غرسه في بناء نفوس المتعلمين والمتربين، وهذا ما تراءى جليًا في مجمل أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ...إلخ».

"وغرس الأذكار الشرعية في نفوس المتعلمين، يكون بإلقائها إليهم إن كانوا صغارًا، وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين، وتبيين فضلها، وتعويدهم على الاستمرار عليها"(١).

"وعلى المربي أن يعلم أن الغاية من ذلك، هي استحضار عظمة الله سبحانه على الدوام، فإن تحقق ذلك اجتهد في تربية أبنائه وطلابه على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في القلوب، ليخشوه في السر والجهر، والمتقلب والمثوي، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة... وفي كل مكان... ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال: "﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾"(٢).

ولا شك أن المتربي إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ مُخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا.. فلا يقع في معصية، ولا يرتكب فاحشة، ولا يعمل ذنبًا... وهذا... والله - غاية الصلاح والتقوى في المتربي"(٣).

وذلك فضلاً عن أن ذكر الله يجعل المتربي في أنس دائم بربه، ونعيم موصول

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ١٢٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٢٨/٢.

بقربه، يحسُّ أبدًا بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاشرين ينشد ما قاله العبد الصالح:

إنَّ قلبًا أَنْتَ ساكِنُهُ ... غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى السُّرُجِ

وَجْهُكَ المأمولُ حجّتنا ... يوم يأْتي الناس بالحُجَجِ [1]

ثانيًا- التربية على تذكر الموت:

لقد عدَّ الشارع الحكيم النوم وفاة وموتًا، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾[2]، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "باسمك اللهم أحيا وأموت"، وذلك إذا أوى ﷺ إلى فراشه وفي ذلك تربية للنفس على تذكر الموت، الذي يكون به صلاح حال المتربي، وعدم غفلته عن خالقه، وقصر أمله، وإخلاصه في عمله.

لذا وجب غرس ذكر الموت في نفس المتربي، وبيان "أن الموت مصرعه والتراب مضجعه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، فيستعد له بصالح الأعمال، وجميل الفعال، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب[3]، وكان من ذلك قول النبي ﷺ - في حديث الباب - إذا أوى إلى فراشه: "باسمك اللهم أحيا وأموت".

ثالثًا- التربية بالترغيب:

لقد استخدم النبي ﷺ الترغيب كوسيلة من وسائل التربية في حديث الباب من قوله ﷺ: "... فإن مت، مت على الفطرة"، ترغيبًا منه ﷺ في الحفاظ على ذكر الله عند النوم، والترغيب كوسيلة تربوية "هو القوة المحرضة" الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير"[4].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٠١، ١٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢٨٤٦/٦.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠.

وقد أفرد علماء التربية نماذج تعين المربي على التربية بالترغيب، منها ما يلي:

١ - الكلمة الطيبة التي تحمل معاني التشجيع والتحفيز.

٢ - الجائزة العينية.

٣ - المدح والثناء أمام الآخرين.

٤ - المناداة للمتربي بأحب الأسماء إليه.

٥ - قبول آرائه واقتراحاته ومناقشاتها[1].



---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢١٩-٢٢٢.

١٦- كتَاب الدَعَوات

٢٥٠- باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[النمل: ٦٢].

الحديث رقم (١٤٦٧)

١٤٦٧- وعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**)). رواه أَبُو داود والترمذيّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

الشرح الأدبي

الدعاء يقوم على علاقة قلبية بين العبد، وربه وهو ما يجعل له خصوصية على العبادات التي تقوم على الحركات الظاهرة مع عمل القلب لأن ظهورها قد يوقع في العجب، أو الرياء أما الدعاء فهو في القلب لا يطلع عليه إلا الله، بالإضافة إلى أن الدعاء يتضمن اعترافا من العبد بضعفه، وذلته وفقره إلى ربه، مع اعترافه بقوة الله، وعزه، وغناه فهو محض العبادة، وخالصها، وهو ما أشار إليه الحديث في العبارة الموجزة البليغة التي وردت في ألفاظ قليلة بمعان كثيرة في قوله (الدعاء هو العبادة) وقد ورد في

---

(١) أخرجه أبوداود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٩٠)، وقال الحاكم (١/٤٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢١).

أسلوب القصر الذي يحصر العبادة في الدعاء، وقصر حقيقي على سبيل المبالغة، لأنه تضمن نفيا عاما بأن كل ما عدا الدعاء لا يعتد به بجواره بإثباته أن الدعاء هو كل العبادة، وهو مبالغة في بيان فضل الدعاء، وتوسيط ضمير الفصل (هو) يؤكد المعنى ويرفع طبقة الكلام في طبقات الفخامة، والقوة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء:

وهذا واضح من الحديث، والحديث فيه زيادة: ثم قرأ هذه الآية: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١)،(٢). وأخرجه الترمذي عن أنس بلفظ "الدعاء مخ العبادة"(٣). وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"(٤).

قال الطيبي: قوله: "الدعاء هو العبادة" أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، قال القاضي البيضاوي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي يستأهل أن يسمى عبادة، من حيث إنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى معرض عما سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه. استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه مأمور به، إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة. وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط. والمسبَّب على السبب. وما كان كذلك، كان أتم العبادات وأكملها. ويقرب منه الرواية الأخرى، فإن مخ الشيء خالصه. قال

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان، ٣/٨٩٠، وانظر: تخريج المحقق له.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وابن ماجه ٣٨٢٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٨٧).

الراغب[1]: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال. وأقول: يمكن أن يحمل العبادة على المعنى اللغوي، أى الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2]، الجملتان واردتان على الحصر، وما شرعت العبادات إلا لخضوع الباري وإظهار الافتقار إليه، وينصر هذا التأويل ما بعد الآية المتلوة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[3]، حيث عبر عن عدم الافتقار والتذلل بالاستكبار، ووضع "عبادتي" موضع دعائي. وجعل جزاء ذلك الاستكبار: الصغار والهوان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: "ليس شيء أكرَم على الله من الدعاء"، "أكرم" نصب خبر "ليس". فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾[4]، قلت: كل شيء يشرف في بابه، فإنه يوصف بالكرم، قال الله تعالى ﴿ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[5]، وإنما كان أكرم الناس أتقاهم لأن الكرم من الأفعال المحمودة، وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله. فمن قصد ذلك بمحاسن أفعاله فهو التقي. فإذن أكرم الناس أتقاهم، وعلى هذا حكم الدعاء لأنه مخ العبادة كما مرّ)[6].

قال حسين المغربي: "إنما كان الدعاء مخ العبادة لأمرين:

---

(١) المفردات، ٣١٩.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٣٠٥-٣٠٦.

أحدهما: أنه امتثال أمر الله حيث قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾[١]. فهو محض العبادة وخالصها.

الثاني: إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عمن سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، لأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء، وهذا عند كل من تكمل له المعرفة، ومن كملت له المعرفة فالعبادة عنده إنما هي لمجرد التعظيم والامتثال، والله أعلم"[٢].

وقال عبدالله البسام: "قال ابن تيمية: "الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[٣]. وقال: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾[٤]. وأمثال هذا في القرآن كثير في دعاء المسألة. وهو يتضمن دعاء العبادة "أي: عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له وعدم الإشراك في عبادته"؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك ذاكر الله والتالي لكتابه فهو طالب من الله في المعنى"[٥].

وقال ابن تيمية: "إذا دعا الداعي الله سبحانه – فقد يحصل له بالدعاء من معرفة الله ومحبته والثناء عليه والعبودية له والافتقار إليه ما هو أفضل وأنفع من مطلوبه ذلك، كما قال بعض السلف: يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها قرع باب سيدك. وقال بعضهم: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فادعوه، فيفتح لي من باب معرفته ما أحب معه ألا يُعَجّل لي قضاءها لئلا ينصرف قلبي عن الدعاء"[٦].

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: القاضي حسين محمد المغربي، ١١١٩هـ، تحقيق الدكتورمحمد شحود خرفان، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٧٦/٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) توضيح الأحكام، ٤١٩/٦. وهو تلخيص لكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ١٠/٨-١٢، ط العبيكان، ١٠/١٥-١٥ ط ابن قاسم.

(٦) مجموع الفتاوى، ٥٨٢/١١، ط العبيكان، ٢٨٥/٢٢ ط ابن قاسم.

وقال ابن عثيمين: "إن الدعاء هو العبادة، ووجه ذلك من النظر أن الإنسان إذا دعا ربه، فقد اعترف لله عز وجل بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شيء قدير. وأن العطاء أحب إليه من المنع، ثم لم يلجأ إلى غيره، لم يدع غير الله، لا ملكًا ولا نبيًا ولا وليًا ولا قريبًا ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة، وبذلك تعرف أنك إذا دعوت الله أُثبت على هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبدت لله عز وجل وعبدت الله فإذا قلت يارب اغفر لي، يارب ارحمني، يارب ارزقني، يارب اهدني،. فهذه عبادة تقربك إلى الله عز وجل ويكتب الله لك بها ثوابًا عنده يوم القيامة"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الدعاء بأن أخبر أنه هو العبادة، وفي هذا ترغيب ما بعده ترغيب، وحث ما بعده حث للمدعوين على الدعاء والتزامه والعمل به في كل أوقاتهم وشؤونهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٥٤٨/٢.

(٢) سورة الذاريات، آية : ٥٦.

الحديث رقم (١٤٦٨)

١٤٦٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد جيدٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الجوامع من الدعاء: هي التي تجمع الأغراض الصّالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة، وقيل: هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا[2].

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين عائشة إلى عادته في الاختيار بين ما يدعو به فيختار الأدعية الجامعة ن وقد جاء في أسلوب خيري غرضه الإرشاد إلى سنة البني ﷺ وقولها: (من الدعاء) وهو ما جمع مع الوجازة خير الدنيا والآخرة نحو (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) الآية أو هو ما يجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو ما يجمع الثناء على الله وآداب المسألة والفضل للمتقدم (ويدع) أن يترك (ما سوى ذلك) من الأدعية إشارة إلى معنى ما يراد به من الجوامع فيختلف معنى السوى بحسب اختلاف تفسير الجوامع فعلى الأول ينزل ذلك على غالب الأحوال لا كلها فقد قال المنذري: كان يجمع في الدعاء تارة ويفصل أخرى[3].

---

(١) برقم (١٤٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٦٧)، وقال الحاكم (١/٥٢٩): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ج م ع).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي الحديث (٧٠٣٩).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء، ومن فعله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنس رضي الله عنه.

قال الطيبي: "قوله: (الجوامع من الدعاء) قال ابن الأثير في النهاية: هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[٢].

قال المظهر: "هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا، جمع فيه خير الدنيا والآخرة، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾[٣])[٤].

ونقل العظيم آبادي القول بأنه: "نحو اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[٥]، وكذا: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[٦] ونحو سؤال الفلاح والنجاح (ويدع) أي: يترك (ما سوى ذلك)، أي: مما لا يكون جامعًا بأن يكون خالصًا بطلب أمور جزئية، كارزقني زوجة حسنة، فإن الأولى والأحرى منه ارزقني

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث في (ج م ع).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٠١.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ٢١٣/٤ - ٢١٤.

(٥) هو من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي..." أخرجه أبو داود، ٥٠٧٤، وابن ماجه، ٣٨٧١ وابن حبان، ٩٦١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر تخريجه بتوسع في صحيح ابن حبان والحديث صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣١٢١).

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٢١، مرفوعًا.

الراحة في الدنيا والآخرة فإنه يعمها وغيرها"[١].

وقال ابن عثيمين: "حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك، يعني: أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلاً إذ أراد أن يدعو الإنسان ربه أن يدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة، ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا، لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها، فيكون هذا التفصيل كالحاصل لها، فإذا دعا دعاءً عامًا كان هذا أشمل وأجمل ...

ومن أجمع ما يكون من الدعاء حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول في دعائه: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإن هذا الدعاء أجمع الدعاء: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة" يشمل كل حسنات الدنيا من زوجة صالحة ومركب مريح وسكن مطمئن وغير ذلك، وفي الآخرة حسنة، كذلك يشمل حسنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين والمرور على الصراط بسهولة والشرب من حوض الرسول صلى الله عليه وسلم ودخول الجنة إلى غير ذلك من حسنات الآخرة، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية. بل هو أجمعها. لأنه شامل. وكان أنس رضي الله عنه يدعو بذلك، وإذا دعا بشيء آخر دعا بذلك أيضًا. يعني كأنه رضي الله عنه لا يدعه أبدًا إذا دعا، وهذا يدل على فضيلة هذا الدعاء وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو به، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختم به أشواط الطواف، يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٢]، في آخر كل شوط والله أعلم"[٣].

وقال القاضي عياض: عن إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء بهذه الآية، قال: "هذا

---

(١) عون المعبود ٦٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٨٩٢، من حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٦٦٦).

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٩.

لجمعها معاني الدعاء كله، من أمر الدنيا والآخرة، والحسنة هنا عندهم النعمة، فسأله نعم الدنيا والآخرة، والوقاية من عذاب النار"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "لأنها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والآخرة، وذلك أن حسنة نكرة في سياق الطلب فكانت عامة، فكأنه يقول: أعطني كل حالة حسنة في الدنيا والآخرة"[٢].

وقال عبدالله البسام: "هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأشملها وأكملها، ومن أنفع الأدعية وأجلها وأحسنها، ذلك أنه جمع خيري الدنيا والآخرة، والوقاية من الشر وأسبابه، فشمل من حسنة الدنيا سؤال كل مطلوب ومرغوب من حصول العلوم النافعة والأعمال الصالحة، والعافية من الأمراض والأسقام والسلامة من المشاكل والأزمات والنكبات، والتوفيق بالزوجة الصالحة التي تعجبه إن نظر إليها، وترضيه إن حضر عندها، وتحفظه في نفسها وولده وماله إن غاب عنها، وحصول الأولاد البررة الصلحاء الذين بهم تقر العين وترضى النفس ويسر القلب، وحصول الأمن في الأوطان والاستقرار في البيوت والدور.

وحصول الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى وأعطى الحياة السعيدة والمعيشة الهنية الرغيدة.

أما حسنة الآخرة فهي النعمة الكبرى، والسعادة العظمى والحياة الباقية والنعيم المقيم، وأعلاها رضا الرب ودخول جنته التي فيها النظر إلى وجهه الكريم، والحظوة بيوم المزيد وما في الجنة من نعيم لا يفنى وشباب لا يبلى وحياة سعيدة لا تنتهي، وتمتع دائم بملاذ لا تنقطع مما لا يدور في الخيال، ولا يحيط به البال، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، مما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر.

أما الوقاية من عذاب النار فإنها كمال النعيم وتمام الأنس، والحصول على الأمن

---

(١) إكمال المعلم ٨/١٩٠.

(٢) المفهم ٧/٣٠.

وزوال الهم والغم وذهاب الخوف والكرب، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"(١).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

هذا واضح من فعل أنس رضي الله عنه فقد كان إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه (٢)، وهذا ما فعله أيضًا عندما كان يطلب منه الدعاء، فعن ثابت البناني أنهم قالوا لأنس بن مالك رضي الله عنه: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قَالُوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. قالوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. فَقَالُوا: زِدْنَا، فقال: مَا تُرِيدُونَ؟ سَأَلْتُ لَكُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قالَ أَنسٌ رضي الله عنه: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))(٣).

كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ: ((هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟)) قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ))(٤).

قال ابن كثير: "جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت

(١) توضيح الأحكام، ٦/٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٦ - ٢٦٩٠.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٣٩٧، وابن حبان ٩٣٨، وقال محققه: إسناده صحيح، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ٢/٤٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. أما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك: دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام"[١].

وعن أبي نعامة عن ابن لسعد أنه قال: سَمِعَنِي أبي وَأنا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلاَسِلِها وَأَغْلاَلِهَا وَكَذَا وَكَذا، فَقَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَما فِيهَا، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَما فِيهَا منَ الشَّرِّ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال الذهبي عنه: " المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر الصحابة موتًا، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًا...، وكان أنس رضي الله عنه يقول: ((قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ. وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ. وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحْثُثْنَنِي عَلَىٰ خِدْمَتِهِ ﷺ))(٣)، فصحب أنس رضي الله عنه نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر وإلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايع تحت الشجرة.

قال الأعمش: "كتب أنس رضي الله عنه إلى عبدالملك بن مروان - يعني لما آذاه الحجاج - إني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه.

قال المثنى بن سعيد: سمعت أنسًا يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم يبكي، مات سنة ٩٣هـ مسنده ٢٢٨٦ حديثا"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٥٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٣١٣).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥ - ٤٠٦ ومراجعه ومصادره.

الحديث رقم (١٤٦٩)

١٤٦٩- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: **((اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلم في روايتِهِ قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما قيل في الدعاء السابق يقال في هذا الحديث لن الموقف واحد، وهو موقف التذلل، والدعاء فهي انسب الصيغ لموقف التهالك في التضرع، والتذلل المحقق لإجابة الدعاء ثم إنه دعاء جامع موجز (فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ووجه اجتماع الخير فيه أنه طلب عموم حسنة الدنيا عن طريق تنكير لفظ حسنة والتنكير هو انعدام التخصيص مما يعني العموم كما ان التنكير يفيد التعظيم أي آتنا حسنة عظيمة من شأنها أن تحقق غرض الحياة في كل مناحيها، وحسنها يقتضي عدم طغيانها على الآخرة لأن ما يطغى على الآخرة من متاع الدنيا لا يكون حسنا، وكذلك الوجه في حسنة الآخرة، وقيل حسنة الدنيا إتباع الهدى وحسنة الآخرة مرافقة الرفيق الأعلي، وعذاب النار حجاب المولى لعله كان يكثر هذا الدعاء، لأنه من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية وبيانه أنه كرر الحسنة ونكرها وقد تقرر في علم المعاني أن النكرة إذا أعيدت كانت غير الأولى فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية من الاستقامة، والتوفيق، والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرات بحيث تكون مقبولة عند الله وفي الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان في العقبى وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦/٢٦٩٠). اورده المنذري في ترغيبه (٥٢٤٦) وعزاه إلى البخاري وحده.

تفسير الآية أقوال كثيرة كلها ترجع إلى المعنى الأعم منها قول بعضهم في الدنيا حسنة أي الطاعة والقناعة أو العافية وفي الآخرة حسنة أي تخفيف الحساب ورفع العذاب ودخول الجنة وحصول الرؤية ولعل الاكتفاء في طلب الحفظ بعذاب النار إيماء إلى أن ما عداه أمر سهل بل يكون سببا لمحو السيئات أو لرفع الدرجات فكأنه قال وقنا كل سيئة في الدنيا بخلاف الحسنة الشاملة في الدنيا والعقبى عبر عن السيئة بقوله عذاب النار والمراد سيئة يترتب عليها عذاب النار احترازا من سيئة تمحوها التوبة أو الشفاعة أو المغفرة والله تعالى أعلم وقال الطيبي قوله وقنا عذاب النار تتميم أي إن صدر منا ما يوجبه من التقصير والعصيان فاعف عنا وقنا عذاب النار، والله أعلم [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر شرح مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: الملا علي القاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٧٠)

١٤٧٠- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

التُّقى: جمع تُقاةٍ: وهي الخشية والخوف[2].

العفاف: الكفُّ عما لا يحلُّ ولا يجمُل من قول أو فعل[3].

الشرح الأدبي

لفظ (اللهم) مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء، لأنه مجمع الأسماء الحسنى (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم فالسائل إذا قال: (اللهم إني أسألك) كأنه قال: (أدعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه)[4] ثم إنه أكد هذا المعنى بإن إلحاحا في الطلب والمفردات المطلوبة في الدعاء مفردات ثرية ذات دلالة واسعة (الهُدَى، والتُّقَى،

---

(١) برقم (٢٧٢١/٧٢)، وتقدم برقم (٧١).

(٢) اللسان والوسيط في (و ق ى).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ص ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري، رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

والعَفَافَ، والغِنَى) فالهدى يوحي بالضياء، والرشاد، والتوفيق المؤذن بالفلاح الدنيوي، والأخروي، والتقى حذر يمنع من الإقدام على ما يوقع في المحذور ويوجب العقوبة، وعلى الجملة فهو معنى يمنع جميع المحذورات، والعفاف إحساس قلبي بكف الباطن عن مجرد الرغبة في الحرام أو ما فيه انتقاص لعزة النفس المؤمنة المنبعثة من توكلها على الله، والغنى يتضمن معاني الصفات السابقة بالإضافة إلى وجود ما يحتاج إليه مما لا غنى له عنه فلا يضطر للسؤال، مع شعور داخلي بالنعم يبعثه على الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧١).

الحديث رقم (١٤٧١)

١٤٧١- وعن طارق بن أَشْيَمَ ﷺ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهؤلاَءِ الكَلِمَاتِ: ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ له[2] عن طارق: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول اللهِ، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي، فإنَّ هؤلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**)).

ترجمة الراوي:

طارق بن أَشْيَم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩١).

غريب الألفاظ:

أسأل ربي: من السؤال بمعنى الطلب والرجاء[3].

الشرح الأدبي

يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط إسلام العبد بتعليم الرسول ﷺ له الصلاة وهذا الدعاء، وهو ما يدل على أهمية هذا الدعاء الجامع اليسير الذي لا يحتاج معه حديث الإسلام إلى عناء في حفظه، وفهمه، وهو في ذات الوقت يربطه بربه في علاقة يشعر فيها بحاجته إليه، وهذا الدعاء الجامع الموجز مناسب لهذا المقام، وقوله (ثم أمره أن يدعو) يشير الربط بثم إلى وقت قطعه في تعليمه الصلاة، وتمكينها في نفسه، قبل تعليمه هذا الدعاء الجامع، وبناء عبارة الدعاء بهذه الكيفية أنسب لحال حديث

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧/٣٥).

(٢) برقم (٢٦٩٧/٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٥).

(٣) النهاية في (س أ ل).

الإسلام فقوله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي) مع سهولته، ووجازته تضمن من المعاني طلب المغفرة، وهي التخلص من سيئات الشرك، وطلب الرحمة وهي ما يحتاجه الإنسان في كل أموره، والهداية تتضمن الرشاد في ما يستقبل من حياته، والعافية هي السلامة من كل شر من نفسه أو من غيره، ثم ختمها له بما يرغبه فيها، ويزيده تمسكا بها وهو طلب الرزق، والنفس كلفة بما يجلب لها عاجل الخير، وبذلك تكون هذه الصيغة جامعة لخير الدنيا، والآخرة، ولذلك قال في الرواية الثانية (فإنَّ هؤلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ) وقد أكد الجملة بما يحقق مضمون الخبر، واستخدم الإشارة تعظيما لهذه الكلمات، والتعبير بالجمع يفيد الترغيب لدلالته على كثرة الخير، والجار، والمجرور المؤذن بالاختصاص، والطباق بين، قوله دُنْيَاكَ وبين قوله وآخِرَتَكَ يؤكد معنى شمول خيرها للدارين.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول الصحابي: كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات، وفي رواية عند مسلم: كان رسول الله ﷺ يعلّم من أسلم يقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1].

ولذا كان التعليم من نهج النبي ﷺ في تبليغ الدعوة، وعلى الداعية الناجح أن يقتدي به في ذلك، فيعلّم المدعوين ما يجهلونه، يقول الشيخ محمد الغزالي عن أهمية التعليم: "الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين

---

(١) أخرجه مسلم ٣٤ - ٢٦٩٧.

به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس شائعًا كأمواج الهواء، ذاك ما يفرضه الحق على أصحابه ألا يجعلوه عليهم حكرًا وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه، وليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار وإيضاح الخفي وشرح المبهم"(١).

ولا شك أن التعليم من وسائل الدعوة الفعالة، التي قد تكون أنسب ما تكون عند بداية إقبال المدعو على الدعوة، فيأتي التعليم لترسيخ مبادئ الدعوة وشعائرها في نفوس المدعوين، وكذلك عندما يريد الداعية أن يثبت أمرًا من أمور الدعوة في أفئدة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة:

هذا واضح من كون النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم - يعلّمه الصلاة. قال ابن عثيمين: "لأن الصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وأعظم أركانه بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الصلاة، فكان النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم كيف يصلي"(٢).

وقال د. صالح الفوزان: "الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين وقد شرعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، وقد تضمنت هذه الصلاة كثيرًا من أنواع العبادة، من ذكر لله، وتلاوة لكتابه، وقيام بين يدي الله، وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتكبير، وهي رأس العبادات البدنية ولم تخل منها شريعة رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ خاتم الرسل ليلة الإسراء والمعراج في السماء بخلاف سائر الشرائع، فدلّ ذلك على عظمتها وتأكد وجوبها ومكانتها عند الله، وقد جاء في فضلها ووجوبها على الأعيان أحاديث كثيرة، وفرضيتها معلومة من دين الإسلام بالضرورة، فمن جحدها فقد ارتد عن دين الإسلام،

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥١.

يستتاب فإن تاب وإلا قتل بإجماع المسلمين"[١].

وقال عبدالله البسام: "والصلوات الخمس أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل الأعمال بعدهما لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرق من العبودية، وتضمنها أقسامها وأنواعها، فهي تكبير الله وتحميده تعالى، والثناء عليه وتهليله وحمده، وتنزيهه وتقديسه، وتلاوة كتابه، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وعلى آله، ودعاء للحاضرين وجميع عباد الله الصالحين،وهي قيام وركوع وسجود وجلوس، وخفض ورفع، فكل عضو في البدن،وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله تعالى على عباده ليذكرهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا.

والمجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا لئلا ترتبط الأفراد بالحاجات المادية والمصالح الشخصية، مما يؤدي إلى الفساد في الأرض.

إن الإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت فيه مظاهر الاكتئاب، فالصلاة طمأنينة في القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢]. وهي زاجرة عن المنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٣]. ومكفرة للسيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٤].

فالصلاة رأس القربات، وغرة الطاعات، لما فيها من تحقيق المناجاة ورافعة

---

(١) الملخص الفقهي ١/٩٣ - ٩٤ ط دار العاصمة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

الدرجات"[١].

ثالثًا- من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء:

هـذا واضـح مـن قـول الـنبي ﷺ للرجـل: قـل: اللـهم اغفـر لـي وارحمـني وعـافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.

وعـن سـعد بـن أبـي وقـاص قـال: جـاء أعرابـي إلى رسـول الله ﷺ فقـال: عَلِّمْنِـي كَلامًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ : لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، اللّهُ أَكْبَـرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[٢].

قال ابن عثيمين: "(اللهم اغفر لي)، يعني الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٣]، ولكن مع ذلك فطلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام فيكون من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٤].

"وارحمـني": يعـني: أسـبغ علـيّ رحمتـك، ففيـه طلـب المغفـرة، والمغفـرة النجـاة مـن الـسيئات والآثـام والعقوبـات، وفيـه طلـب الرحمة، والرحمـة: حـصول المطلوبـات، لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب

"واهدني": الهداية هداية علم وبيان وهداية توفيق ورشد.

"وعافني وارزقني": عافني أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[٥]، ومرض جسمي في الأعضاء والبدن،

---

(١) توضيح الأحكام ٣٧٢/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٢٨).

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠.

وإذا سألت الله العافية فالمراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن، لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيرًا لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآب كل حي ولا بد منه.

لكن مرض القلب - والعياذ بالله - فيه فساد الدنيا والآخرة إذا مرض القلب بالشك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته، ولهذا ينبغي لك إن سألت الله العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب والبدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.

وكذلك اللفظ الآخر الذي ذكره المؤلف -أي: النووي- أن النبي ﷺ سأله رجل عما ينفعه وما يحتاجه؟ فأمره أن يدعو بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني، فينبغي للإنسان أن يحرص على هذا الدعاء الذي علمه النبي ﷺ أمته، والذي يبادر بتعليمه من أسلم، (ارزقني) يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك. والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا. فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب والدين، والإنسان إذا قال (ارزقني) فهو يسأل الله هذا وهذا، والله الموفق"[1].

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٥١.

الحديث رقم (١٤٧٢)

١٤٧٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

صَرِّف: وجِّه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول معنى جامع من معان الدعاء التي تعد من جوامع كلمه ﷺ لأن القلب هو ملك الجوارح المصرف لها، وهي منقادة إليه، والله تعالى مالك القلوب يصرفها كيف يشاء، والدعاء بصيغة اللهم يناسب المعنى المطلوب في الدعاء لأنه دعاء بالقلب لإصلاح القلب في خشوع، وتضرع، والجناس بين (مصرف، ويصرف) يؤكد المعنى ويشير إلى العلاقة بين الاسم ومسماه والذي يوجب عل العبد أن يسأل النعمة ممن يملكها مع إقراره ضمنا بها لله تعالى والجناس بين القلوب، وقلوبنا يشعر العبد بملك الله لجميع القلوب بمعنى أن يستطيع أن يصرف قلوب العباد لمحبة هذا العبد، أو لبغضه، لنفعه أو لضره، كما انه يصرف قلبه لما فيه طاعة الله، وفوز العبد، أو لما فيه معصية الله، وهلاك العبد، وتصريف القلب للطاعة تحبيبها إليه، وشغله بها ثم إن التعبير بالتصريف يشير إلى تمام الملك، والسيطرة، والقدرة الموجهة لكل ذرة في الكون ثم إنه دعا بصيغ الجمع وهو أمر يندب الداعي إليه لكي يشفع لعاصيهم إذا جاء في رفقة صالحهم، والله كريم يكرم الصالحين، ويكرم بهم غيرهم كما مر في قوله (هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم).

---

(١) برقم (٢٦٥٤/١٧).

(٢) الوسيط في (ص ر ف).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته:

الحديث في صحيح مسلم لفظه: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كله بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء)، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم مصرف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك).

وقال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ. إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((أكثر ما كان النبيُّ ﷺ يَحلف: لا ومقلّبِ القلوب))[2]، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث من كتاب التوحيد باب مقلب القلوب وقول الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾[3]، قال ابن حجر: "قال الراغب: تقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال، والتقليب التصرف، وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي"[4]. فمعنى الحديث: أن الله يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة، وقال البيضاوي: "في نسبة تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكله إلى أحد من خلقه، وفي دعائه ﷺ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء عليهم السلام ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلامًا بأن نفسه الزكية

(١) أخرجه ابن ماجه ١٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٩١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) المفردات ٤١١.

إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه، فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن أحوال القلوب منتقلة غير ثابتة ولا دائمة، فحق العاقل أن يحذر على قلبه من قلبه، ويفزع إلى ربه في حفظه"[٢].

"ولهذا ينبغي على لإنسان -كما يقول ابن عثيمين رحمه الله- أن يسأل الله دائما أن يثبته وأن يصرف قلبه على طاعته ... وقوله: "صرف قلوبنا على طاعتك"، قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال: (إلى طاعتك)، لكن قوله: (على طاعتك)، أبلغ، يعني قلّب القلب على الطاعة فلا ينقلب على معصية الله، لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى، من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله، فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)"[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة:

وهذا يتضح في قوله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)، قال ابن عثيمين: "إنما خص القلب، لأن القلب إذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله"[٤].

وقال العز بن عبدالسلام: "القلوب مصدر كل خير وشر"[٥]، وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٦].

---

(١) فتح الباري ٣٣٧/٣.

(٢) المفهم ٦٧٣/٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٥٢/٢.

(٤) السابق ١٥٥٢/٢.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ص ٥٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

وفي رواية: ((التَّقْوَى هَهُنَا)). وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[1].

قال النووي: "معناها: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، إنما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته"[2].

وقال النبي ﷺ: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[3].

قال ابن حجر: "وخصّ القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"[4].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"[5].

وقال ابن رجب الحنبلي: "إن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإذا كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلب مَلِكُ الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك

(١) أخرجه مسلم ٣٢ - ٢٥٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٢/١٦/٨ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٤) فتح الباري، ١٥٦/١ ط/ الريان.

(٥) شرح صحيح مسلم، ٢٩/١١/٦ ط/ دار عالم الكتب.

صالحا كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسدا كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(1).

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه "اللهم إني أسألك قلبا سليما"(2) فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه.

وفي مسند أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه"(3).

والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعني استقامة القلب: أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته.

وقال الحسن لرجل: دَاوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم: يعني أن مرادَه منهم ومطلوبَه صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه وتمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له، ولو كان في السموات والأرض إله يُؤْلَه سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض كما قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(1) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩ .

(2) أخرجه أحمد، ١٧١١٤/٢٨، ١٧١٣٣، والترمذي، ٣٤٠٧، والنسائي، ٥٤/٣، ١٣٠٥، عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم"، وقال محققو المسند: حديث حسن بطرقه.

(3) أخرجه أحمد ٣٤٣/٢٠، ١٣٠٤٨، وتمامه: "ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

لَفَسَدَتَا﴾[١].

فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معًا حتى تكون حركات قلوب أهله كلها لله وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب، وإرادته لغير الله فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب[٢].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/٢١٠-٢١٢.

الحديث رقم (١٤٧٣)

١٤٧٣- وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي روايةٍ[٢] قَالَ سفيان: أَشُكُّ أنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جهد البلاء: الحالة الشاقة[٣].

الدرك: الإدراك واللحاق[٤].

الشقاء: الهلاك ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك[٥].

سوء القضاء: يكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، فهو عام في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد والمراد بالقضاء هنا المقضي لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه[٦].

شماتة الأعداء: الشماتة: فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[٧].

الشرح الأدبي

تعميم الخطاب في الأمر بالتعوذ يشير إلى أهميته، بحيث لا يختص بأحد دون أحد،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٧/٥٣).

(٢) أخرجها البخاري عقب الحديث (رقم ٦٣٤٧)، ومسلم عقب الحديث الذي تقدم، واللفظ له.

(٣) النهاية في (ج هـ د).

(٤) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٥) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٦) فتح الباري ٢٥٣/١١.

(٧) النهاية في (ش م ت).

وتعلق العوذ بالله يعطيه بُعدا يشعر بالطمأنينة والأمن لقدرته على تحقيق العوذ، وصرف المستعاذ منه، لأنه لا يصح التعوذ إلا بمن قدر على إزالة ما استعيذ به منه، وفي العبارة تناسب في ترتيب المعاني وهي عبارة جامعة، لأن المكروه إما أن يلاحظ من جهة المبدأ وهو سوء القضاء، أو من وجهة المعاد، وهو درك الشقاء إذ شقاوة الآخرة هي الشقاء الحقيقي، أو من جهة المعاش، وذلك إما من جهة غيره، وهو شماتة الأعداء أو من جهة نفسه، وهو جهد البلاء، وفيها تناسب في المعاني، والألفاظ من حيث جعله الجهد للبلاء، والدرك للشقاء، والسوء للقضاء، والشماتة للأعداء، وفي العبارة حسن تقسيم في تتبع المستعاذ منه في الدنيا، والآخرة، وفيها سجع بديع يحقق لها قبول النفس، وسهولة الحفظ وخفة في السمع تحقق الإنصات، وفيها ازدواج بين جملها أعطاها إيقاعا خاصا يجعلها متناسقة متوازنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ: (تعوذوا بالله من جهد البلاء ودَرَك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء)، وهذا الأمر فيه شفقة من النبي ﷺ على أمته، وحث لهم على الاستعاذة من هذه الأشياء لعظم خطرها، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من هذه الأمور فلفظ مسلم: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ جُهْدِ الْبَلاَءِ))[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ من هذه الأشياء"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣ - ٢٧٠٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٦/٤٠٩.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة:

قال ابن حجر: "إن كل أمر يكره يلاحظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو دَرَك الشقاء، لأن شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي، وجهة المعاش وهو جهد البلاء، وأما شماتة الأعداء فتقع لكل من وقع له كل من الخصال الثلاثة، وقال ابن بطال وغيره: "جهد البلاء كل ما أصاب المرء من شدة ومشقة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه"[1].

وقال ابن عثيمين: "جهد البلاء أي من البلاء الذي يبلو الجهد أي: الطاقة، والبلاء نوعان: بلاء جسمي كالأمراض، وبلاء ذكري معنوي بأن يبتلى الإنسان بمن يتسلط عليه بلسانه، فينشر معايبه ويخفي محاسنه وما أشبه ذلك، هذا من البلاء الذي يشق على الإنسان، وربما يكون مشقة هذا على الإنسان أبلغ من مشقة جهد البدن، فيتعوذ الإنسان بالله من جهد البلاء، أما البلاء البدني فأمره ظاهر، أمراض في الأعضاء أوجاع في البطن، في الصدر، في الرأس، في الرقبة في أي مكان، هذا من البلاء وربما يكون أيضًا من البلاء قسم ثالث وهو ما يبتلى الله به العبد من المصائب العظيمة الكبيرة، فمن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، نجد إيمانًا مثلاً متزعزعًا، أدنى شبهة تَرِدُ عليه تصرفه عن الحق، تجده لا يصبر، أدنى بلاء يصيبه يصرفه عن الحق فيتسخط على قضاء الله وقدره، وربما يقع في قلبه أشياء لا تليق بالله عز وجل من أجل هذا البلاء.

"ومن درك الشقاء"، أي: ومن أن يدركك الشقاء، والشقاء ضد السعادة، السعادة سببها العمل الصالح، والشقاء سببه العمل السيئ، فإذا استعذت بالله من درك الشقاء فهذا يتضمن الدعاء بألا تعمل عمل الأشقياء.

(ومن سوء القضاء)، سوء القضاء يحتمل معنيين: المعنى الأول: أن أقضي قضاء سيئًا، والمعنى الثاني: أن الله يقضي على الإنسان قضاء يسوءه، القضاء يعني الحكم،

---

(١) فتح الباري، ١١/١٤٩ ط السلفية.

فالإنسان ربما يحكم بالهوى، ويتعجل الأمور ولا يتأنى ويضطرب، هذا سوء قضاء، كذلك القضاء من الله، قد يقضي الله عز وجل على الإنسان قضاء يسوؤه ويحزنه، فتستعيذ بالله عز وجل من سوء القضاء.

(ومن شماتة الأعداء)، الأعداء جمع عدو، وقد ذكر الفقهاء ضابطًا للعدو فقالوا: من سره ما ساء في شخص أو غمه فرحه فهو عدوه، كل إنسان يسره ما ساءك أو يغمه فرحك فهو عدو لك.

وشماتة الأعداء أن الأعداء يفرحون عليك يفرحون بما أصابك، والعدو لا شك أنه يفرح في كل ما أصاب الإنسان من بلاء، ويحزن في كل ما أصابه من خير، فأنت تستعيذ بالله عز وجل من شماتة الأعداء، فأمرنا الرسول ﷺ أن نتعوذ بالله من هذه الأمور الأربعة، فينبغي للإنسان أن يمتثل أمر الرسول ﷺ وأن يستعيذ بالله منها لعل الله أن يستجيب له، والله الموفق"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ في هذه الأشياء:

- وجهد البلاء: شدته، وقل ما يعرض البلاء لمؤمن إلا ويكفر حوبًا[٢] أو يرفع درجة، فإذا اشتد خيف منه، فلذلك استعاذ رسول الله ﷺ منه[٣].

- ودَرَك الشقاء: هو لحوق الشقاء.

- وسوء القضاء، ضد حسن القضاء، فيجوز أن يكون المراد به الجور في الحكم، وأن يحكم الحاكم بأحكام زائغة عن الحق، فيكون على معنى قول من قال: والقضاء خطر؛ أي والحكم خطر.

- وأما شماتة الأعداء، فإن أعدى الأعداء إبليس، ولا شماتة له أعظم من دخول الإنسان النار، وأن ينصرف من بين يدي ربه، وقد يئس من رحمته، فهذا هو أقطع

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٢ - ١٥٥٣.

(٢) الحوب: الإثم والذنب. انظر: المصباح المنير ١٨٧.

(٣) قال القرطبي في المفهم، ٣٥/٧: المتعوذ منه أن يلحقه شقاء في الدنيا يتعبه ويثقله. وفي الآخرة: يعذبه... وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال وكثرة العيال.

الشماتة، وما دون هذا من شماتة الأعداء أهل الدنيا؛ فإنه صعب مؤلم كنكاء القرح بالقرح[١]، والله يعيذنا من ذلك في الدنيا والآخرة بكرمه وجوده)[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله من هذه الأمور. قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: فيه مشروعية الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد، لاحتمال أن يكون مما قضى، فقد يقضي على المرء مثلاً بالبلاء ويقضي أنه إن دعا كشف، فالقضاء محتمل للدافع والمدفوع، وفائدة الاستعاذة والدعاء إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية وبيانًا للمشروعية، ليقتدي بدعواته ويتعوذ بتعويذاته"[٤].

و"الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية استجابها الله تعالى بمنّه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ، والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي، ولرفع الدرجات ولجلب الخير، ودفع الشر، ومن ترك الدعاء فقد سدّ على نفسه أبوابًا كثيرة من الخير، وقال الغزالي: فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان.

---

(١) نكات القرحة إذا قشرتها، ونكات في العدو، إذا قتلت وأثخنت، انظر: المصباح المنير، ٧٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٤٠٩.

(٣) فتح الباري ١١/١٤٩ ط السلفية.

(٤) المفهم ٧/٣٥.

وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[1]، كما أنه ليس من شرطه ألا يسقي الأرض بعد بث البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لرفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ: ((الدُّعَاء مُخُّ العِبَادَةِ))[2].

والغالب على الخلق ألا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة، فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن الترمذي، ٦٦٩)، والحديث صحيح بلفظ "الدعاء هو العبادة"، أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٣٣٧٢، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٢).

(٣) إحياء علوم الدين ٥٩٢/١ - ٥٩٣، والموسوعة الفقهية ٢٥٩/٢٠ - ٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٧٤)

١٤٧٤- وعنه، قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يقول: ((**اللّهُمَّ أصلِحْ لِي دِيني الّذِي هُوَ عِصْمَةُ أمْرِي، وأصلِحْ لِي دُنْيَايَ الّتي فِيهَا مَعَاشِي، وأصلِحْ لِي آخِرَتِي الّتي فِيهَا مَعَادي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عصمة أمري: العصمة: المنعة والحفظ وعصمة أمري: ما أعتصم به في جميع أموري[٢].

معاشي: المعاش: ما يعاش به أو فيه، وما تكون به الحياة من مطعم ومشرب ونحوه[٣].

معادي: ما أعود وأصير إليه يوم القيامة[٤].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الدعاء بشمول خيري الدنيا، والآخرة وقد قام على عدة ألوان بلاغية منها الطباق بين ديني الذي يعني الآخرة، وبين دنياي ليقرر عمومها بالإصلاح، وقوله (عصمة أمري) أي ما يعتصم به، العصمة المنع والحفظ، وقيل معناه أن الدين حافظ جميع أموري فإن من فسد دينه فسد جميع أموره وخاب وخسر في غيبته وحضوره وحزنه وسروره، وكذلك الطباق بين معاشي، ومعادي ليشمل حركة الإنسان في الدنيا رقيا في عمل الدنيا، والآخرة، وضبطا له وفق الصلاح الذي فطر الله الناس

---

(١) برقم (٧١/٢٧٢٠).

(٢) النهاية في (ع ص م)، ودليل الفالحين ١٥٣١.

(٣) القاموس المحيط في (ع ي ش).

(٤) النهاية في (ع و د).

عليه، والذي يسري مع ما جاء به الرسول ﷺ كما قابل بين قوله (وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ) وبين قوله، (وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) ليحدد الحياة التي يريدها في طاعة الله لا تتخلف عنها حتى يدركها الموت الذي يمنع انحرافها عن طريق الله، لأن الموت أيسر على المؤمن من حياة على معصية تسلم إلى النار، ولذلك عبر بلفظ راحة الذي يوحي بالخلاص من مقابله وهو التعب، والعناء من شرور الدنيا بكل أشكالها لاسيما ما يسلم إلى عذاب الآخرة، والمتأمل لتكرار كلمة (أصلح) في الحديث يدرك أنها المعنى الذي يقرره الدعاء، ويسعى لتحقيقه لأن مفهومه المرجو يضبط حركة العبد في الدنيا بما يتناغم مع الآخرة بحيث ينتقل من صلاح في الدنيا يترتب عليه صلاح في الآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء.

ثانيًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء:

هذا واضح من الحديث، فقد دعا النبي ﷺ بصلاح الدين، وصلاح الدنيا، وصلاح الآخرة، والزيادة من كل خير في الدنيا وجعل الموت راحة من كل شر، فقد جمع ﷺ بين خيري الدنيا والآخرة.

قال الطيبي: "قوله: (عصمة أمري)، هو من قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، أي: بعهد الله، وهو الدين، وإصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه، وأنه يكون حلالاً ومعينًا على الطاعة، وإصلاح المعاد: اللطف والتوفيق على طاعة الله وعبادته، وطلب الراحة بالموت إشارة إلى قوله ﷺ: ((وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

غَيْرَ مَفْتُونٍ))[١].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك[٢]، قال ابن الأثير: "هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[٣]. وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يشمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ"[٤].

ثانيًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء:

وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد بدأ بالدعاء بإصلاح الدين الذي هو عصمة الأمر، ثم ثنّاه بالدعاء بإصلاح الدنيا التي هي معاش الإنسان، يعمل فيها لآخرته وهي طريقه إليها، فبصلاح الدين والدنيا تتصلح الآخرة بإذن الله، والتي هي معاده وقراره وحياته الحقّة، ولا سبيل إلى صلاح الآخرة إلا بصلاح الدين والدنيا ولهذا بدأ بهما النبي ﷺ.

ثم إن الإنسان في الحياة الدنيا معرض للخير والشر؛ فالإنسان في الخير يزداد وفي الشر يتعرض للنقصان والفتنة، لذا دعا النبي ﷺ أن تكون حياته طريقًا للزيادة من كل خير يعود عليه في دينه ودنياه، وإلا كان الموت راحة من كل شر وأذى يلحق بالدين والدنيا، فدعا النبي ﷺ بالزيادة في الخير في الحياة، كما دعا بأن الموت يكون راحة من الشر والأذى.

والمتدبر في هذا الدعاء يجد الأولويات في الدعاء: فالدعاء بصلاح الدين ثم بصلاح الدنيا ثم بصلاح الآخرة ثم الزيادة من كل خير في الحياة، وجعل الموت خلاصًا من الشر والفتنة.

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يشتمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٠).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٥/ ٢٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١٦٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ٨١.

فأما قوله: "أصلح لي ديني" فإنه بدأ بالأهم، وهو الدين، ثم وصفه بأنه عصمة الأمر في الدنيا من الهلكة، وفي الآخرة من النار.

ثم ذكر بعد ذلك الدنيا فقال: "وأصلح لي دنياي"، والدنيا صفة لموصوف محذوف، والمحذوف هو الحياة، فإذا قلت الدنيا؛ فمعناه الحياة الدنيا؛ فلما أضافها ﷺ فقال: "دنياي" أضاف الصفة إليه ﷺ.

ثم ذكر العذر في سؤاله إصلاحها؛ بأن قال: "التي فيها معاشي" يعني التي أعيش فيها لأعبدك، ومن المعاش الكسب والسعي في الأرض لاستجلاب الرزق وذلك قد يكون عبادة لله عز وجل، ثم عقب ذلك بأن قال: "وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي" فرتب ﷺ الآخرة بعد الدنيا من حيث إنها بعدها زمانًا ووقتًا، ثم ذكرها ﷺ ليكون ذكره لها إيمانًا بها وإقرارًا بالمعاد إليها، ثم طلب ﷺ ليكون ذكره بعد ذلك كله، أن يجعل الله سبحانه وتعالى الحياة زيادة له في كل خير؛ لأن الحياة إنما يقصد بها المؤمنون أن يزدادوا من الخير عند ربهم جل جلاله.

ثم قال: "واجعل الموت راحة لي من كل شر" فأراد ﷺ أن يجعل الموت راحة له من كل شر، لا من عبادة الله سبحانه وخدمته، فإن العبادة خير"[1].

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بدعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى))[2].

فقد بدأ ﷺ بسؤال (الهدى والتقى)، وهما يتناولان - كما يقول الطيبي: "كل ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق، وكل ما يجب أن يتقى من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق"[3]، ثم ثنّى ﷺ بطلب العفاف والغنى ولا شكّ أنهما يأتيان بعد الهدى والتقى، وهما دونهما في المنزلة والدرجة، فلا ينفعان إذا لم يكن هناك هدى وتقى، فقد قال النووي: "العفاف: التنزه عما لا يباح والكف عنه،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/٨١، ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٢١.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢٠١.

والغنى هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة:

فقد "بدأ النبي ﷺ بالدين، الذي به يعتصم الإنسان من الشر ويعتصم من الأعداء، لأنه كلما صلح الدين اعتصم به من كل شر، وصلاح الدين يكون بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، فمن أشرك بالله فدينه غير صالح، من صلّى رياءً أو تصدق رياء أو صام رياء أو قرأ القرآن رياء أو ذكر الله رياءً أو طلب العلم رياءً، فكل هذا عمله غير صالح والعياذ بالله.

وقوله: (هو عصمة أمري)، يعني الذي أعتصم به من الشر والفتن وغير ذلك، (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)، الدنيا معاش تقيم فيه أو تسكن فيها إلى أن تموت، ولكنها ليست دار قرار، وأين الذين استقروا فيها؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ أين الأغنياء؟ أين الأثرياء؟ أين الفقراء؟ أين الأسياد؟ كلهم ذهبوا فصاروا أحاديث، وأنت في يوم من الأيام ستكون أحاديث، فالدنيا معاش فقط وليست قرارًا، ولكنها إن وفق الإنسان فيها إلى العمل الصالح وجعلها منفعة للآخرة، فيا حبذا، وإن كانت الأخرى وصار يعمل للدنيا لا للآخرة خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، ولهذا قال (التي فيها معاشي)، فقط معاش يعيش الإنسان ثم يتركها.

(وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)، الآخرة هي التي إليها المعاد، ولا مفر منها... المهم أن كل إنسان معاده إلى الآخرة، ولهذا قال "أصلح لي آخرتي التي فيها معادي"، وصلاح الآخرة أن الله تعالى ينجيك من عذاب النار ويدخلك الجنة.

(واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الإنسان إذا وفق في هذه الحياة وصار يزداد خيرًا كل يوم يكتسب عملاً صالحًا ويحس بذلك بنفسه وتجده يفرح إذا عمل عملاً صالحًا ويقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٣/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[١]، كل يوم يزداد يصلي، يسبح، يقرأ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يلقى أخاه بوجه طلق إلى آخره، خيرات كثيرة فكلما ازداد الإنسان في حياته خيرًا كانت حياته خيرًا.

(واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الموت فَقْدُ الحياة، لكن دعا النبي ﷺ أن يجعل الله الموت له راحة من كل شر؛ لأن الإنسان لا يدري ما يصيبه في هذه الدنيا، قد يبقى في الدنيا طويلاً لكنه ينتكس والعياذ بالله، يفسد دينه، قد يبقى في الدنيا وتحدث فتن عظيمة يتعب فيها، يقول: ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، يجد فتنًا عظيمة لكن قد يكون الموت الذي عجّله الله له راحة من كل شر.

ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء: (واجعل الموت راحة لي من كل شر)، فعليك يا أخي المسلم بهذا الدعاء: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر) [٢].

قال عبدالله البسام: "وخلاصة آخر هذا الدعاء اجعل عمري مصروفًا فيما تحب وجنبني ما تكره"[٣].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٥ - ١٥٥٦.

(٣) توضيح الأحكام، ٦/٤٤٥.

الحديث رقم (١٤٧٥)

١٤٧٥- وعن علي ﵁ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وسَدِّدْنِي))[(١)].

وفي رواية: ((اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ)). رواه مسلم[(٢)].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

سددني: وفقني واجعلني منتصبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور[(٣)].

الهدى: الرشاد والدلالة، يقال هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق وإلى الطريق هداية، أي: عرفته[(٤)].

السداد: الاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه[(٥)].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي ﵁ (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار علي ﵁ بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم يعتزون بما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥/٧٨).

(٢) بعد حديث (٢٧٢٥/٧٨، بدون رقم). وزاد بعدهما: (واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسّداد، سداد السّهم).

(٣) شرح مسلم، النووي ١٦٠٠.

(٤) النهاية في (هـ د ى).

(٥) النهاية في (س د د)، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٠٠.

يختصهم به رسول الله ﷺ، وحُقَّ لهم لاسيما إن كان حبيبا محببا للرسول ﷺ له فضل رفقة، وملازمة له ﷺ كعلي رضي الله عنه الذي تربى ونشأ معه والدعاء الذي علمه إياه دعاء من جوامع الكلام بليغ شديد الإيجاز يناسب عليا رضي الله عنه من حيث فصاحته، ومن حيث حالته العامة، وقوله (اللهم) لفظ له خصوصية، وشمول في نداء الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله (اهدني) لفظ جامع لعموم النور الذي تستضيء به أركان البصيرة، والبصر فلا يقع منها إلا على صواب في الاختيار، وتوفيق في العمل، وقوله (وسددني) أمر قصد به الدعاء بتصويب الخطأ يستلزم حسن الاختيار الذي قاده إليه فعل الهداية، فالأمر الأول لطلب الهداية إلى الأصلح، والأمر الثاني لطلب الاستمرار عليه، والسداد أي الصواب في أثناء هذا العمل بما يضمن استمرار أثر النور حتى تمام العمل، وقبوله، لأن قبوله هو تمام السداد فيه ولذلك وردت الرواية الثانية في صيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام (اللَّهمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ) لأن الاسم لا يرتبط بالزمن كالفعل الذي ورد في الرواية الأولى، وقد صدر السؤال فيها مؤكدا إلحاحا في الدعاء وتأكيدا للفاقة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قل: اللهم اهدني وسددني، وفي الرواية الأخرى: قل: اللهم إني اسألك الهدى والسداد.

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد".

ومن هذا القبيل ما رواه سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: قل: ((: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ : ((قُل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[١].

وهذا الأمر إنما لدلالة المدعو على ما ينفعه من الدعاء في الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه بأن يدعو قائلاً: (اللهم اهدني وسددني)، والحديث في مسلم لفظه: (قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدي هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم)، وكذلك الشأن في الرواية الثانية.

قال النووي: "أما السَّداد هنا بفتح السين، وسداد السهم تقويمه ومعنى: سددني: وفقني واجعلني مصيبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا فهو الرشاد ويذكر ويؤنث، ومعنى "اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم"، أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدّد السهم يحرص على تقويمه ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة، وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لئلا ينساه"[٢].

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد، وأن يكون في ذكره مخطرًا بباله أن المطلوب هداية كهداية من ركب متن الطريق، وأخذ في المنهج المستقيم، وسداد يشبه سداد السهم نحو الغرض والمعنى: أن يكون في سؤاله طالبًا غاية الهدى، ونهاية السداد. أقول: وفيه معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[٣]، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٤]، أي: هداية لا أميل بها إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط"[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٦/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) سورة هود، آية: ١١٢.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٥ - ٢٠٢.

قال أبو العباس القرطبي: "هذا الأمر منه ﷺ يدل على أن الذي ينبغي له أن يهتم بدعائه فيستحضر معاني دعواته في قلبه، ويبالغ في ذكرها بلفظه بضرب من الأمثال، وتأكيد الأقوال، فإذا قال: اهدني الصراط المستقيم، وسددني سداد السهم الصائب كان أبلغ وأهم من قوله: اهدني وسددني فقط وهذا واضح"(١).

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قل: اللهم اهدني وسددني)، وفي الرواية الأخرى: (اللهم إني أسألك الهدى والسداد)، قال ابن حبان: "كل ما في هذه الأخبار (اللهم اهدني) (اللهم إني أسألك الهدى)، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد به الثبات على الهدى والزيادة فيه، إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة وقد هداه الله قبل ذلك"(٢).

وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ حضه على سؤال الهدى والسداد، وأنه ذكر له ما يجمع له في ذكره إياه بين حفظ النطق ومعرفة المعنى، فإنه قال: "أذكر بالهدى هدايتك الطريق" وذلك أن السلوك إلى الحق على سبيل السنة يشابهه سلوك الطريق إلى المقصد في الطريق المعروفة، فمتى مال عن الطريق يمينًا أو يسارًا فقد جانب الهداية، والسداد هو التصويب، وسداد السهم التصويب وأن يريد به التنصيص والتحقيق، وأن لا تزيله الأهواء"(٣).

ويقول ابن القيم عن الزيادة في الهدى: "قال: تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثر لأثره، وكذلك الضلال، فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدىً، وأعمال الفجور بالضد، وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال

---

(١) المفهم ٧/٥٣، ٥٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/٢٢٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/٢٨٧.

والشقاء، وأيضًا فإنه البَرُّ ويحب أهل البر، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور فمن الأصل الأول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: أنه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب، فإن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم، والفواحش والفساد في الأرض، ويمقت فاعل ذلك، ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك، فلما نزل الكتاب أثاب سبحانه أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاء لهم على برهم وطاعتهم، وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به.

والأمر الثاني: أن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً وقبل أوامره وصدق بأخباره - كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد منها ما بلغ، ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية.

فكلما اتقى العبد ربه إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى، وكلما فوّت حظًا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، فكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه"[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) الفوائد ص ١٨٨ - ١٩٠.

الحديث رقم (١٤٧٦)

١٤٧٦- وعن أنس ﵁ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ))[١].

وفي رواية[٢]: ((وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)). رواه مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الهرم: الكبر والضعف، والمقصود به صيرورة الرجل خرفًا من كبر السن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[٣].

ضَلَع الدين: أصل الضَلَع: الاعوجاج، والمراد به هنا: ثقل الديْن وشدته وذلك حيث لا يجد مَنْ عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة[٤].

غلبة الرجال: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا[٥].

الفِتنةُ: الامتحان والاختبار[٦].

الشرح الأدبي

جميع أحاديث الاستعاذة التي مرت في الباب تدل آثارها على أنه ينبغي سؤال الله

---

(١) (٢٧٠٦/٥٠)، وأخرجه أيضًا البخاري (٦٣٦٧) أخرجه من حديث سليمان التيمي، عن أنس. تنبيه: تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه (٣٨٣٠) حيث عزاه إلى مسلم، وزاد: وغيره. وأورده الحميدي في جمعه (٥٣٦/٢، رقم ١٩٠٠) في المتفق عليه.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٩٣)، و (٦٣٦٣) ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) فتح الباري ١٧٨/١١.

(٥) فتح الباري ١٧٨/١١.

(٦) النهاية في (ف ت ن).

والرغبة إليه في كل ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأن يعيّن كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالةُ الرغبة إلى الله تعالى، والتضرع إليه، وذلك طاعة الله تعالى، وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنّ ذلك لأمته، ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله - تعالى -، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء لها، وفي قوله (من فتنة المحيى) طباق يؤكد استيعاب الدارين بالاستعاذة المحيي والممات مصدران ميميان بمعنى الحياة والموت وفتنة المحيى أن يفتتن بالدنيا ويشتغل بها عن الآخرة وفتنة الممات أن يخاف عليه من سوء الخاتمة عند الموت وعذاب القبر مما يعرض له عند مساءلة الملكين ومشاهدة أعماله السيئة في أقبح الصور أعاذنا الله منه بمنه وكرمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال.

أولاً - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به:

وهذا واضح من دعائه ﷺ في هذا الحديث.

قال ابن حجر: "وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأجيب بأجوبة: أحدها أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة"[1].

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ)) قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ. وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[3].

ثانيًا - من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى:

وهذا واضح من الحديث في قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣١٩ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والجبن والهرم والبخل)، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله عز وجل من الكسل في الطاعات والهرم القاطع عنها[١].

قال النووي: "وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس لخير وقلّة الرغبة مع إمكانه[٢]، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر كما جاء في الرواية التي بعدها[٣]، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، وأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له، قال العلماء: واستعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشَرَعه أيضًا تعليمًا، وفي هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها"[٤].

(في هذا الحديث من الفقه شرف هذه الكلمات، والحض على تعلمهن فإنهن عوذ؛ إلا أنه يفصحن عن معان إذا فكر فيها المؤمن تعوذ من كل شيء من ذلك. فأول ذلك البخل، وحده منع الحق الذي فرضه الله تعالى في الأموال، وهو الزكاة، فإذا أخرج الرجل زكاة ماله لم يسم بخيلاً، إلا أن البخل قد يعرض في غير المال، مثل أن يبخل الرجل بالسلام الكامل أو بالبشر في وجه أخيه أو بالخبر الطيب الذي يسر قلبه به ونحو ذلك، وإن من أبخل البخل وأفظعه أن يبخل الرجل على أخيه المسلم بفضل ربه

---

(١) صحيح ابن حبان ٢٨٩/٣، رقم ١٠٠٩.

(٢) قال ابن هبيرة: إنما استعاذ من الكسل لأنه من أهم ما استعيذ منه، إذ هو سبب للتواني في الطاعات. الإفصاح عن معاني الصحاح، ١١٣/٢. وانظر: المفهم للقرطبي، ٣٤/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٠٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

سبحانه، فيحسده أو يبخل عليه بمال غيره إذا رزقه الله منه، وإن من قبيح البخل البخل بالعلم مع علم العالم ان علمه يزكو على الإنفاق.

وأما الجبن: فإن شعبه متفرقة، وإن من أفظعه ان يجبن عن معاملة الله في تصديق وعوده، ثم تقديم العوائد على مقتضيات شرعه.

وأما أرذل العمر: فحالة يتناهى فيها الضعف لعلو السن وتكاثف العجز فيعود الإنسان كَلاً على الناس وثقلاً على غيره، ويعجز عن عبادة الله عز وجل وتحمل أعباء حوائج الناس، وقد يكون أرذل العمر زمان البطالة وأخلاق الصبيان)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب، وفتنة المحيا ما يتعرض له الإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأشدها وأعظمها - والعياذ بالله تعالى - أمر الخاتمة عند الموت؛ وفتنة الممات، يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إلى الموت لقربها منه، وتكون فتنة المحيا - على هذا - ما يقع قبل ذلك في مدة حياة الإنسان وتصرفه في الدنيا، فإن ما قارب شيئًا يعطي حكمه، فحالة الموت تُشَبّه بالموت، ولا تعد من الدنيا، ويجوز أن يكون المراد بفتنة الممات: فتنة القبر كما صحّ في حديث أسماء: ((أنَّكم تُفْتَنُونَ في قُبورِكمْ مِثْلَ أو قريبًا مِنْ فِتنةِ المسيحِ الدَّجَّال))[٢]، ولا يكون على هذا متكررًا مع قوله: (من عذاب القبر)، لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب ولا يقال: إن المقصود زوال عذاب القبر، لأن الفتنة نفسها أمر عظيم وهول شديد يستعاذ بالله من شرّه"[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: ((اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٤١/١.

(٢) أخرجه البخاري ٨٦، ومسلم ٩٠٥.

(٣) إحكام الإحكام ص ١٦٦ - ١٦٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢١٩/٢.

عذابِ القَبرِ، ومِن عذابِ النارِ، ومن فِتنةِ المَحيا والمَماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ))[١]، وفي لفظ لمسلم: ((إذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٢]، قال ابن دقيق العيد: "والحديث الذي ذكره عن مسلم فيه زيادة كون الدعوات مأمورًا بها بعد التشهد وقد ظهرت العناية بالدعاء بهذه الأمور، حيث أمرنا به في كل صلاة وهي حقيقة بذلك، لعظم الأمر فيها، وشدة البلاء في وقوعها، ولأن أكثرها - أو كلها - أمور إيمانية غيبية، فتكررها على الأنفس يجعلها ملكة لها، وفي لفظ مسلم أيضًا فائدة أخرى: وهي تعليم الاستعاذة وصيغتها فإنه يمكن التعبير عنها بغير هذا اللفظ، ولو عبّر بغيره لحصل المقصود وامتثل الأمر، ولكن الأولى قول ما أمر به الرسول ﷺ"[٣].

وقال ابن حجر: "وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا"[٤].

رابعًا – من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال:

الحديث ساقه البخاري في كتاب الدعوات مطولاً، تحت باب: التعوذ من غلبة الرجال، وفيه قول أنس رضي الله عنه: فكُنت أَخدم رسولَ الله ﷺ كلما نَزَلَ فكنتُ أسمعه يُكثرُ أن يقول: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، والعجزِ والكَسَل، والبُخْل والجُبن، وَضَلَع الدَّين وغلبةِ الرِّجال))[٥].

قال ابن حجر: "قوله: (وضَلَع الدين)، أصل الضَلَع -وهو بفتح المعجمة واللام- الاعوجاج، فقال: ضلع -بفتح اللام- يضلع أي مال. والمراد هنا ثقل الدين وشدته وذلك

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٠ - ٥٨٨.

(٣) إحكام الأحكام ١٦٧.

(٤) فتح الباري ٢/٣١٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

حيث لا يجد من عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة، وقال بعض السلف: ما دخل همُ الدَيْنِ قلبًا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه، قوله: (وغلبة الرجال)، أي: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "استعاذ من أن يغلبه الرجال، لما في ذلك من الوهن في النفس والمعاش"[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ. اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ المأْثمِ وَالمَغْرَمِ. فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تَستعيذُ منَ المغرَمِ؟ فقال: إنَّ الرجلَ إِذا غَرِمَ حَدَّثَ فكذَب، ووَعدَ فأَخْلَفَ»[٣].

وقال ابن حجر: "المغرم: أي الدين والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز ثم يعجز عن أدائه، ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين"[٤].

وقال عبدالله البسام: "الدين إذا غلب يسبب الهم والغم، ويكون صاحبه في قلق وتعب بدني وقلبي وفكري، وهذا هو ما استعاذ منه، لأن حقوق الآدميين مبنية على الشح، ولذا استعاذ النبي ﷺ من المغرم وهو الدين، وقال ﷺ مبينًا آثار الدين السيئة وعواقبه الوخيمة، (إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف)"[٥].

وقال ابن القيم: "جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا"[٦].

---

(١) فتح الباري ١٧٤/١٢ ط/ السلفية.

(٢) المرجع السابق ١٧٨/١٢ ط/ السلفية.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٤) فتح الباري ٣١٩/٢، ط السلفية.

(٥) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٦) الفوائد ٩١.

الحديث رقم (١٤٧٧)

١٤٧٧- وعن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنَّه قَالَ لرسُولِ اللَّه ﷺ : علِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: ((وفي بيتي)) وَرُوِيَ: ((ظلمًا كثيرًا)) ورُوِي: ((كبيرًا))[3] بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أنْ يجمع بينهما فيقال: كثيرًا كبيرًا.

ترجمة الراوي:

ابو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

تكرار مثل هذا السؤال من أبي بكر رضي الله عنه كما ورد سابقا يدل على شدة حرصه على الخير، وقوله (علمني) طلب استرشاد وتعليم يؤكد ذلك، وقول الرسول ﷺ (قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي) توجيه إلى ما فيه الكمال، لأَنَّ الإِنْسَان لا يَعْرَى عَنْ تَقْصِير وَلَوْ كَانَ صِدِّيقًا وقيل: بَلْ فِيهِ أَنَّ الإِنْسَان كَثِير التَّقْصِير وَإِنْ كَانَ صِدِّيقًا لأَنَّ النِّعَم عَلَيْهِ غَيْر مُتَنَاهِيَة وَقُوَّته لا تُطِيق بِأَدَاءِ أَقَلّ قَلِيل مِنْ شُكْرهَا بَلْ شُكْره مِنْ جُمْلَة النِّعَم أَيْضًا فَيَحْتَاج إِلَى شُكْر هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فَمَا بَقِيَ لَهُ إِلاَّ الْعَجْز وَالاعْتِرَاف بِالتَّقْصِيرِ الْكَثِير، وقوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت) جملة معترضة بين قوله (ظلمت نفسي ظلما كثيرا) وبين قوله (فاغفر لي مغفرة) وفائدة هذه الجملة الإشارة إلى الإقرار بأن الله هو الذي يغفر الذنوب وليس ذلك لغيره وفي الحقيقة هو إقرار أيضا بالوحدانية، لأن مَنْ صفته غفران الذنوب هو الموصوف بالوحدانية، والتنوين في قوله (مغفرة) يدل على التعظيم أي أنه غفران لا يكتنه كنهه، وقوله (من عندك) إشارة إلى مزيد ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥/٤٨) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجها مسلم عقب الحديث رقم (٥٨٩/٤٩، بدون رقم).

(٣) قال مسلم في روايته: (وقال قتيبة: كثيرًا، ولفظ ليث: (كبيرًا).

التعظيم، لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف الواصفين وقال ابن الجوزي: هو طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من جهة العبد من عمل صالح وغيره وحاصله هب لي المغفرة وإن لم أكن أهلا لها بعملي وكمل الكلام وختمه بقوله (وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) وفي هاتين الصفتين مقابلة حسنة، لأن قوله (الغفور) مقابل لقوله اغفر لي وقوله (الرحيم) مقابل لقوله ارحمني، وفيه لف ونشر مرتب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم:

هذا واضحٌ من قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: (علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي).

قال أبو العباس القرطبي: "إنما خص الصلاة، لأنها بالإجابة أجدر، وقد قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[(١)]"[(٢)].

وقال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد أيضًا استحباب طلب التعليم من العالم، خصوصًا في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم"[(٣)].

ومن هذا القبيل ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله: قال: ((قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَـؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) المفهم ٧٢/٧.

(٣) فتح الباري ٢/ ٣٢٠ ط السلفية.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

ومن ذلك ما رواه طارق بن أشيم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: ((قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي)) وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلاَّ الإِبْهَامَ ((فَإِنَّ هؤُلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ))[1].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا ...)، جوابا على قول أبي بكر رضي الله عنه: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.

وقد كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه الدعاء، كما قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعلّمنا هؤلاء الكلمات كما تعلّم الكتابة: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

ومن ذلك حديث الدعاء عند الاستخارة[3]، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم"[5].

وقال ابن أبي العز: "والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار"[6].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

---

(١) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٦٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

(٣) كما بوّب على ذلك البخاري في صحيحه الحديث رقم ٦٣٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠.

(٥) فتح الباري ١١/١٨٧ ط السلفية.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٧٦.

قال ابن حجر: "قوله: (ظلمت نفسي)، أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص الحظ، وفيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صدّيقًا، قوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت)، فيه إقرار بالوحدانية واستجلاب للمغفرة، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(١)]، فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار لوح بالأمر به كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله فهو آمر به، وكل شيء ذمّ فاعله فهو ناهٍ عنه، قوله: (مغفرة من عندك)، قال الطيبي: "دلّ التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى مريدًا لذلك العظم، لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف كما في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[(٢)]"[(٣)]. وقال ابن دقيق العيد: (يحتمل وجهين: أحدهما: الإشارة إلى التوحيد المذكور كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت فافعله لي أنت، والثاني: - وهو أحسن - أنه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره فهي رحمة من عنده بهذا التفسير ليس للعبد فيها سبب وهذا تبرؤٌ من الأسباب والإدلال بالأعمال والاعتقاد في كونها موجبة للثواب وجوبًا عقليًا)[(٤)].

وبهذا جزم ابن الجوزي فقال: "المعنى: هب لي المغفرة تفضلاً وإن لم أكن لها أهلاً بعملي، قوله: (إنك أنت الغفور الرحيم)، هما صفتان ذكرتا ختمًا للكلام على جهة المقابلة لما تقدم، فالغفور مقابل لقوله: (اغفر لي)، والرحيم مقابل لقوله: (ارحمني)، وهي مقابلة مرتبة"[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢/٣٧٣.

(٤) إحكام الأحكام ١٦٨.

(٥) فتح الباري، ٢/٣٢٠ ط/ السلفية، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٥٥٧.

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: أن الدعاء في الصلاة جائز؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ ولم ينكر عليه.

وفيه أيضًا أنه لا يدعى في الصلاة إلا بما ورد في الأخبار، لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يستجز أن يدعو في الصلاة إلا بما يتلقنه من رسول الله ﷺ، فأما غير الصلاة فيدعو فيها بما يشاء[1].

وفيه من الفقه أيضًا أن الدعاء على الإطلاق ينبغي أن يتوخى به النطق المأثور عن رسول الله ﷺ، وأن لا تواجه عظم الرب سبحانه إلا بالآداب النبوية المؤيدة بالعصمة.

وفيه أيضًا من الفقه أنه قال: "قل اللهم" وهذا الاسم، هو الاسم الأعظم من حيث إنه الأشهر والأظهر، ولذلك يقال: السواد الأعظم، أي الأشهر الأظهر، ولهذا الاسم خصائص منها لحوق هذه الميم في النداء به، وليس في الأسماء كلها ما تلحقه هذه الميم في النداء غيره.

وفي العربية إنها عوض من حرف النداء، إلا أنه قد جاء في الشعر الجمع بينها وبين حرف النداء للضرورة. ومن خصائصه أيضًا لحوق تاء القسم به، وانه المراد بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. أي هذا الاسم هو قولنا "الله نور السماوات والأرض"، فله يتراحم المتراحمون، وبخوفه يكف الظالمون، ويهدّد المسرفون، ويأمل الخلف المتصدقون.

وقوله: "إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فيه من الفقه: أن رسول الله ﷺ أصل له هذا الحديث تأصيلاً عامًا شاملاً لكل دعاء، وبيان ذلك أن الطلب من الله سبحانه وتعالى يناسبه ويلائمه الافتقار إليه، والحاجة، والمسكنة، كما يباينه وينافيه الإدلال والتغاني في الركون إلى نوع عبادة أو طاعة؛ فإذا اعترف الطالب لله عزوجل بأنه قد أتى

---

(١) لكن القرطبي المالكي قال: وقد قدمنا أنه يجوز أن يدعى في الصلاة بكل دعاء كان بألفاظ القرآن أو بألفاظ السنة أو غيرها خلاف لمن منع ذلك إذا كان بألفاظ الناس وهو أحمد بن حنبل وأبو حنيفة، المفهم ٧/٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥ .

ما مقتضاه الفقر والحاجة إلى فضله وعفوه، استهدف لعطائه ونزول شآبيب رحمته.

وقال له: قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".

يعني ﷺ: أنك إذا تطهرت من ظلم نفسك، وغفر لك ورحمك، كانت هذه مقدمات بين يدي طلبك، فحسن حينئذ منك الطلب، ولم يصادف العطاء حاجزًا من ظلم يمنع نيل العهد الذي ذكره سبحانه في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. ولا ذنب لم يمح بعد فيكون الاشتغال بمحوه عند المؤمن أهم من الطلب لغيره، فكأنه ﷺ يقول له: فإذا دعوت بهذا الدعاء انتفت الحواجز بينك وبين العطاء، فاطلب حينئذ ما شئت، وادع بما أردت.

ثم فيه أيضًا أنه قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فجاء بذكر الظلم على أسلوب النكرة، ولم يعرفه بالألف واللام، فكان ينصرف إلى الظلم الذي هو الشرك، فلما أسند المغفرة إلى الله عز وجل قال: "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" فجمعها بالألف واللام فقال: "الذنوب" والمراد بها الذنوب المعروفة المشهورة. ثم قوله: "فاغفر لي مغفرة من عندك" المعنى أنها لا تكون بسبب من عندي فتفنى وتنقضي؛ لأنه كل ما يكون مطلعه من فانٍ فإنه يفنى ويضمحل، إنما المراد أن تكون المغفرة من الله الباقي فتبقى. ثم قال بعد ذلك "وارحمني" إذ الغَفْر في وضع اللغة: الستر والتغطية، فقد يغطى الشيء ولا تعقبه الرحمة، وقد يستر الأمر ولا يمحوه الصفح. فلما قال: فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، كان طلبًا لمحو السيئة وتطييب أثرها.

ثم قال: "إنك أنت الغفور الرحيم" فقوله "إنك" الكاف في خطاب الله تعالى والتاء أيضًا في أماكن إسناد النعم إليه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2]. فلما جاء إلى ذكر الغضب قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإلى الضلالة قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وقال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤ .

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧ .

"إنك" بالكاف ثم ألحقها بقوله: "أنت"، وهو عماد عند الكوفيين.

وفيه فائدة فوق قولنا: "إنك أنت الغفور الرحيم" لأن المعنى بقوله: إنك أنت الغفور الرحيم، أنه تعين لهذا المعنى، أنه ليس لغيرك، فكأنه قال: لا غفور ولا رحيم على الحقيقة غيرك"[1].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/٥٠-٥٢. وانظر المفهم للقرطبي، ٣٢/٧، ٣٣.

الحديث رقم (١٤٧٨)

١٤٧٨- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه كَانَ يدْعُو بهذا الدُّعَاءِ: ((اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ وَمَا أعْلَنْتُ، وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

دعاؤه صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي) طلب للمغفرة على وجه ملازمة الخضوع لله تعالى، واستصحاب حال العبودية والاعتراف بالتقصير شكرًا لما أولاه ربه تعالى مما لا سبيل له إلى مكافأة بعمل، فكما كان يصلى صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه، فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: « أفلا أكون عبدًا شكورًا ». فكان اجتهاده في الدعاء، والاعتراف بالذل والتقصير، والإعواز والافتقار إلى الله تعالى شكرًا لربه، كما كان اجتهاده في الصلاة حتى ترم قدماه شكرًا لربه، إذ الدعاء لله تعالى من أعظم العبادة له، وليسُنّ ذلك لأمته صلى الله عليه وسلم فيستشعروا الخوف، والحذر ولا يركنوا إلى الأمن، وإن كثرت أعمالهم وعبادتهم لله تعالى، وقوله (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي) فيه طباق يستغرق حالتي الإنسان بين الجد والهزل بالمغفرة، وبين قوله: (وَخَطَئِي) و(عَمْدِي) طباق يستغرق بالمغفرة حالتي العلم والجهل، وعطف العمد على الخطأ إما عطف الخاص على العام باعتبار أن الخطيئة أعم من التعمد أو من عطف أحد المتقابلين على الآخر بأن يحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، و(٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩/٧٠) واللفظ له.

الخطيئة على ما وقع على سبيل الخطأ وقوله: (وكل ذلك عندي) إيغال في بيان الاعتراف، والذل ومعناه: ممكن أي موجود أي أنا متصف بهذه الأمور فاغفرها لي قاله تواضعا أو أراد ما وقع سهوا أو ما قبل النبوة أو محض مجرد تعليم لأمته، وقوله :(اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت) طباق يستغرق الزمان بمغفرة ما وقع فيه (وما أسررت، وما أعلنت) طباق يستوعب المكان بمغفرة ما فيه أي ما أظهرت أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني قاله تواضعا وإجلالا لله تعالى أو تعليما لأمته (أنت المقدم) أي بعض العباد إليك بتوفيق الطاعة أو أنت المقدم لي بالبعث في الآخرة (وأنت المؤخر) بخذلان بعضهم عن التوفيق فتؤخره عنك أو أنت المؤخر لي بالبعث في الدنيا أو أنت الرافع والخافض أو المعز والمذل (وأنت على كل شيء قدير) تذييل يؤكد ما سبق أي أنت الفعال لكل ما تشاء.

غريب الألفاظ:

وإسرافي: من الإسراف ويطلق على الإسراف والتبذير في النفقة لغير حاجة، أو في غير طاعة الله، والغالب على ذكر الإسراف في الحديث النبوي: الإكثار من الذنوب والخطايا[١].

جِدي: الجدُّ: الاجتهاد في الأمر، وهو ضد الهزل[٢].

هزلي: لعبي[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء.

---

(١) النهاية في (س ر ف)، وفتح الباري ٢٠١/١١.

(٢) القاموس المحيط في (ج د د).

(٣) النهاية في (هـ ز ل).

أولاً - من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء:

هذا واضح من هذا الدعاء، وقوله في آخره: (أنت المقدم وأنت المؤخر،وأنت على كل شيء قدير).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام منَ الليل يتهجَّدُ قال: ((اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ لكَ مُلكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أَنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ وَمَنْ فِيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ ملكُ السماواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أَنتَ الحقُّ، ووَعدُكَ الحقُّ، ولِقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجَنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنبيُّونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ. اللَّهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ تَوكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ وإليكَ حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلهَ إلاَّ أنت أو لا إله غيرُك))[1].

قال ابن حجر: "قوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل. والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا"[2].

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ. لَبَّيْكَ. وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٠، ومسلم ٧٦٩.

(٢) فتح الباري ٥/٣ ط/ السلفية.

تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي. وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ)). وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[1].

وقال ابن حجر عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداءً به ﷺ"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء:

وهذا واضحٌ من الحديث، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله جلّ وعلا التفضل عليه بمغفرة أنواع ذنوبه[3]، وبوّب عليه كذلك: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الرب جل وعلا المغفرة لذنوبه وإن كان في لفظه استقصاء[4]، وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن يغفر له ما قدم وما أخر، فقال: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني)، وهذا يغني عنه كلمة واحدة: (اللهم اغفر لي ذنبي كله)، لكن التفصيل في مقام الدعاء أمر مطلوب، لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل، مما أسرّ وأعلن وما علم وما لم يعلم، ولأنه كلما تمادى في سؤال الله عز وجل ازداد تعلقًا بالله

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) فتح الباري ٣/٥ ط/ السلفية.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٢٣٤، الحديث ٩٥٤.

(٤) المرجع السابق ٣/٢٣٧، الحديث ٩٥٧.

تعالى وخوفًا منه ورجاءً فلذلك كان النبي ﷺ يفصل فيما يسأل ربه عز وجل من مغفرة الذنوب وغير ذلك"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء:

هذا واضح من الحديث، قال ابن حجر: "(رب اغفر لي خطيئتي)[٢]: الخطيئة الذنب، قوله (وجهلي): الجهل ضد العلم، قوله: (وإسرافي في أمري كله): الإسراف مجاوزة الحدّ في كل شيء، قال الكرماني: يحتمل أن يتعلق بالإسراف فقط، ويحتمل أن يتعلق بجميع ما ذكره، قوله: (اغفر لي خطاياي وعمدي)، وقع في رواية الكشميهني في طريق إسرائيل (خطئي)، وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالسند الذي في الصحيح هو المناسب لذكر العمد، ولكن جمهور الرواة على الأول، والخطايا: جمع خطيئة، وعطف العمد عليها من عطف الخاص على العام، فإن الخطيئة أعمّ من أن تكون عن خطأ وعن عمد، أو هو من عطف أحد العامين على الآخر، قوله: (وجهلي وجدي)، وقع في مسلم (اغفر لي هزلي وجدي)، وهو أنسب والجد - بكسر الجيم - ضد الهزل قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: موجود أو ممكن"[٣].

وقال النووي: "قيل: قاله تواضعًا، وعدّ على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل: ما كان قبل النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا، لأن الدعاء عبادة.. قوله ﷺ: (أنت المقدم وأنت المؤخر)، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٥٨/٢ - ١٥٥٩.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٦٣٩٨.

(٣) فتح الباري ١٩٨/١١ ط السلفية.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٢/١٧/٩ - ٤٣. ط دار عالم الكتب، وقال القرطبي: أي المقدم لمن شئت بالتوبة والولاية والطاعة، والمؤخر لمن شئت بضد ذلك. والأولى: أنه تعالى مقدِّمُ كل مُقَدَّمٍ في الدنيا والآخرة. ومؤخّرُ كل مؤخَّرٍ، والمبدىء والمعيد، والقابض والباسط والخافض والرافع والضار والنافع، فهذه الأسماء لا تقال إلا مزدوجة، كما جاءت في الكتاب والسنة. المفهم، ٤٨/٧.

قال ابن حجر: "قال الطبري: بعد أن استشكل صدور هذا الدعاء من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] ما حاصله: أنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرةَ إذا جاء نصر الله والفتحُ، قال: وزعم قوم أن استغفاره عما يقع بطريق السهو والغفلة أو بطريق الاجتهاد، مما لا يصادف ما في نفس الأمر، وتعقب بأنه لو كان كذلك للزم منه أن الأنبياء يؤاخذون بمثل ذلك فيكونون أشد حالا من أممهم، وأجيب بالتزامه، قال المحاسبي: الملائكة والأنبياء أشد لله خوفا ممن دونهم، وخوفهم خوف إجلال وإعظام، واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض[2]: يحتمل أن يكون قوله (اغفر لي خطيئتي) وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت) على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه، لما علم أنه قد غفر له، وقيل هو محمول على ما صدر من غفلة أو سهو، وقيل على ما مضى قبل النبوة، وقال قوم وقوع الصغيرة جائز منهم فيكون الاستغفار من ذلك، وقال القرطبي: في (المفهم)[3] وقوع الخطيئة من الأنبياء عليهم السلام جائز لأنهم مكلفون فيخافون وقوع ذلك ويتعوذون منه، وقيل قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية، ليقتدي به في ذلك"[4].

وقال ابن القيم: "لله سبحانه على عبده أمر أمره به، وقضاء يقضيه عليه، ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة. والقضاء نوعان: إما مصائب، وإما معايب. وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها. فأحب الخلق إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها، فهذا أقرب الخلق إليه. وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علمًا وعملاً.

فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصًا واقتداءً برسول الله ﷺ. وفي النهي اجتنابه خوفًا منه وإجلالاً ومحبة.

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢.

(٢) إكمال المعلم ٨/٢١٤.

(٣) المفهم ٧/٤٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٩٨، ط/ السلفية.

وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلى منه. ثم الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا. وهذا إنما يتأتى منه إذا تمكن حبه من قلبه علم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة منها والتنصل، والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالمًا بأنه لا يرفعها عنه إلا هو، ولا بقية شرها سواه، وأنها إن استمرت أبعدته من قربه وطردته من بابه؛ فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره، حتى إنه ليراها أعظم من ضر البدن. فهو عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه مستجير، وملتجئ منه إليه، يعلم أنه إذا تخلى عنه وخلى بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشر منها، وأنه لا سبيل له إلى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته، وأن ذلك بيده سبحانه، لا بيد العبد؛ فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته، فهو ملتجئ إليه متضرع ذليل مسكين، ملق نفسه بين يديه، طريح ببابه، مستخذٍ له، أذل شيء وأكسره له، وأفقره وأحوجه إليه، وأرغبه فيه، وأحبه له، بدنه متصرف في أشغاله، وقلبه ساجد بين يديه، يعلم يقينًا أنه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه، وأن الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه؛ فهو ولي نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق، ومجريها عليه مع تمقته إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته.

فحظه سبحانه: الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الذم والنقص والعيب. قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء، وولى العبد الملامة والنقائص والعيوب؛ فالحمد كله له، والخير كله في يديه، والفضل كله له، والثناء كله له، والمنة كلها له، فمنه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلى العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه، ومنه النصح لعبده، ومن العبد الغش له في معاملته"[1].

---

(١) الفوائد ١٦٥، ١٦٦.

الحديث رقم (١٤٧٩)

١٤٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعَائِهِ: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومِنْ شَرِّ مَا لَمْ أعْمَلْ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترويه أم المؤمنين عائشة، والأحاديث التي ترويها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - لها فضل توكيد لشدة قربها من الرسول ﷺ بحيث تحيط بدقائقه، وقوله (كَانَ يقول في دُعَائِهِ) في التعبير بفعل الكينونة الماضي تحقيق للفعل وثبوت له، وفيه دلالة على اعتياده - غالبا - وقوله (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت) أي فعلت قال الطيبي أي من شر عمل يحتاج فيه إلى العفو، والغفران (ومن شر ما لم أعمل) استعاذ من شر أن يعمل في المستقبل مالا يرضاه بأن يحفظه منه، أومن شر أن يصبر معجبا بنفسه في ترك القبائح، فإنه يجب أن يرى ذلك من فضل ربه، أو لئلا يصيبه شر عمل غيره قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الأنفال ٢٥) ويحتمل أنه استعاذ من أن يكون ممن يحب أن يحمده بما لم يفعل، وبين قوله عَمِلْتُ، وقوله ما لم أعمل طباق سلب يؤكد إحاطة الاستعاذة بمختلف الأعمال إحاطة لا يترتب عليها تبعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي.

---

(١) برقم (٢٧١٦/٦٦).

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل)، قال النووي: "(أعمل) قالوا: معناه: من شر ما اكتسبته مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا أو يقتضي في الآخرة، وإن لم أكن قصدته، ويحتمل أن المراد تعليم الأمة الدعاء"(١)، وقال السندي: "أي من شر ما فعلت من السيئات وما تركت من الحسنات، أو من شر كل شيء مما تعلق به كسبي"(٢)، وقال القرطبي: "نبّه في هذا على معنى زائد، وهو أنه قد يعمل الإنسان العمل لا يقصد به إلا الخير، ويكون في باطن أمره شر لا يعلمه، فاستعاذ منه، ويؤيد هذا أنه قد روى في غير كتاب مسلم: "من شر ما علمت، وما لم أعلم، ويحتمل أن يريد به ما عمل غيره، فيما يظن أنه يقتدي به فيه"(٣).

فالإنسان تقع منه الذنوب والمعاصي، وكذلك يترك بعض الحسنات، وكل ذلك تقصير في حق الله يستعيذ العبد بالله أن يعاقبه بذلك، وذلك لأن حال الإنسان مقارفة الذنب وفعل المعصية وقد قال النبي ﷺ: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))(٤).

والاستعاذة دعاء إلى الله عز وجل، والدعاء من توفيق الله، وفي ذلك يقول ابن القيم: "أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك. وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك. وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٤٠/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب. وانظر إكمال المعلم، للقاضي عياض، ٢١٣/٨.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٦٧٥/٨.

(٣) المفهم ٤٦/٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٤٢٨).

فإذا كان كل خير، فأصله التوفيق، وهو بيدالله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح الله له، ومتى أضلَّه عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا[١] دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: (إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته فالمعونة من الله تنزل على العبد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حساب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به وهو العليم الحكيم، وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء، وملاك ذلك الصبر، فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (ومن شر ما لم أعمل)، والدليل على ذلك أن ابن حبان قد بوّب على هذا الحديث في صحيحه: ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جلّ وعلا من المناقشة على جناياته في العقبى والوقوع في أمثالها في الدنيا[٣]، فإنه يغلب على الظن أن ابن حبان فهم من الحديث من ضمن ما فهم، التعوذ من الوقوع في الذنوب والمعاصي مستقبلاً.

ثم وجدت الطيبي نقل عن الأشرف قوله: "قيل: استعاذ من أن يعمل في مستقبل الزمان ما لا يرضاه الله، فإنه لا مأمن لأحد من مكر الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا

---

(١) أي: مغلقًا. المصباح المنير، ٢٥٩.

(٢) الفوائد، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٢٠٥ رقم ١٠٢١.

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِرُونَ﴾[1]، وقيل: من أن يصير معجبًا بنفسه في ترك القبائح وسأله أن يرى ذلك من فضل ربه"[2].

وعلى العموم فإنه كان من دعاء النبي ﷺ: ((وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون))[3]، وكذلك من دعائه ﷺ: ((اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْهُ في قلوبنا، وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا منَ الراشدينَ. اللهمَّ توفَّنا مسلمينَ، وأحينا مسلمينَ، وألحقنا بالصالحينَ، غيرَ خزايا ولا مفتونينَ))[4]، ولا شكَّ أن هذا الدعاء طلبٌ للحماية من الوقوع في الذنوب والتعرض لها، أو عدم المؤاخذة بالوقوع فيها.

ويتضمن هذا الدعاء إشارة إلى العبد أن يحبس نفسه عن المعاصي، لما في ذلك من نيل الدرجات العلا، وفي ذلك يقول ابن القيم: "طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس"[5].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٨٩.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٨٠).

(٤) أخرجه أحمد ٣/٤٢٤، رقم ١٥٤٩٢، عن عبدالله الزرقي، وقال محققو المسند: رجاله ثقات ٢٤/٢٤٦ - ٢٤٧.

(٥) الفوائد ٨٣.

الحديث رقم (١٤٨٠)

١٤٨٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ اللّه ﷺ: ((اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فجاءة: الفجاءة: البغتة[2].

نقمتك: النقمة: المكافأة بالعقوبة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشتمل على دعاء لحفظ النعم على من أنعم الله عليه بنعمة فيشمل جميع المسلمين فما منهم من أحد ليس لديه نعمة من الله، وقوله (اللهم إني) توجه لله بكامل الخضوع في اللفظ الدال على كمال الخضوع في القلب مع تهالك في الدعاء دل عليه توكيد العوذ، ووصل النعمة بكاف الخطاب يتضمن اعترافا بنسبتها إليها، وقوله من (زوال نعمتك) أي مفارقة النعمة، وقوله (وتحول عافيتك) أي انتقالها من السمع والبصر وسائر الأعضاء، والفرق بين الزوال، والتحول أن الزوال يقال في شيء كان ثابتا في شيء ثم فارقه والتحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل وتحول العافية إبدال الصحة بالمرض والغني بالفقر، وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، والداهية (وفجاءة نقمتك) بمعنى البغتة والنقمة المكافأة بالعقوبة والانتقام بالغضب والعذاب، وخصها بالذكر لأنها أشد

---

(١) برقم (٢٧٣٩/٩٦).

(٢) النهاية في (ف ج أ).

(٣) القاموس المحيط في (ن ق م).

(وجميع سخطك) هو من ذكر العام بعد الخاص استدراكا لشمول ما يوقع في هذا السخط أي ما يؤدي إليه أو جميع آثار غضبك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته:

هذا واضح من دعاء النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك)، قال الطيبي: "قوله: "وتحول عافيتك"، قال المظهر: أي: من تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، فإن قلت: ما الفرق بين الزوال والتحويل؟ قلت: الزوال يقال في شيء كان ثابتًا في شيء ثم فارقه، والتحويل: تغيير الشيء وانفصاله عن غيره.. وحوّلت الشيء فتحوّل غيرتهُ إما بالذات وإما بالحكم، فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل، وتحويل العافية إبدال الصحة بالمرض، والسلامة بالبلاء"[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الداعي إذا دعى الله عز وجل واستعاذه من زوال نعمته؛ فإنما في ضمن دعائه أن يستعيذ بالله من أن يغير ما بنفسه؛ لأن القرآن نزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. فيستعيذ من أن يغير ما بنفسه لئلا يزيل الله عز وجل ما أنعم به عليه.

وقوله: "وتحول عافيتك": أي: أنك قد عودتني منك العافية، فلا تحولني إلى البلاء، ويكون في ضمن هذا أن من العافية التي يعافي الله بها عبده أن يسامحه ويساهله ولا يناقشه؛ وقد عود الله عبده ذلك فإذا أَمَرّ وقت عبده في عافية منه، فإنما ذلك عن مساهلة الله وسماحته لا عن براءة العبد وسلامته، فإذا استعاذ العبد من أن يحول عنه

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١ .

ما عوده إياه من هذه العافية؛ فقد احتظى بحظار من فضله عن سخطه"[١].

وقال عبدالله البسام: " قوله: " اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك" الأمور كلها بيد الله تعالى، فهو المعطي وهو المانع لا راد لأمره، فالاستعاذة والاعتصام من زوال النعم هي في موضعها وواقعة موقعها، فهو يسأل معطيها أن لا يزيلها، وزوال النعم يكون غالبًا بسبب الذنوب، فهو يسأل ضمنًا العصمة من الذنوب التي هي سبب زوال النعم. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[٢].

قوله: "وتحول عافيتك" فيه الاستعاذة بالله تعالى من أن ينقل العافية منه إلى غيرها، ويسأله بقاءها سابغة عليه، وهي تشمل العافية في الدين والبدن والوطن والأهل والمال، بأن تبقى سالمة مما يطرأ عليها فيزيلها أو يهلكها أو يذهبها"[٣].

ومن الأمثلة التاريخية لزوال نعمة الله وعافيته عن الظالمين، ما حدث لقوم سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٤].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور)، أي: إن في هذا الذي حلّ بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبة على ما

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤/٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) توضيح الأحكام ٦/٤٣٥.

(٤) سورة سبأ، الآيات ١٥ - ١٩.

ارتكبوه من الكفر والآثام، لعبرة ودلالة لكل عبد صبّار على المصائب شكور على النعم"[١].

وقال الطاهر بن عاشور: "إن في هذه القصة عدة آيات وعبر، فحلة مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه، وفيه آية على أنه الواحد المتصرف، وفي إرسال سير العرم عليها آية على انفراده وحده بالتصرف، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد، فلذلك عاقبهم على الشرك، وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشظف آية على تقلب الأحوال، وتغير العالم وآية على صفات الأحوال لله تعالى من خلق ورزق وإحياء وإماتة، وفي ذلك آية من عدم الاطمئنان لدوام الحال في الخير والشر، وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية أن الأمن أساس العمران، وفي تمنيهم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة، وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من التروح عن الأوطان والتشتت في الأرض، آية على ما يلجئ الاضطرار إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره"[٢].

ثانيا- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته:

هذا واضح من لفظ الحديث "وفجاءة نقمتك" قال ابن هبيرة: "إن النعمة إذا جاءت فجأة بغتةً لم يكن هناك زمان يستدرك فيه، ولا وقت لإعتاب"[٣].

وقال عبدالله البسام: "الفجأة هي البغتة التي تأخذ الإنسان من حيث لا يكون عنده سابق إنذار وإخطار وتحذير فيؤخذ من مأمنه حينما تفجأه النقمة ويبغته العذاب، ولات حين مناص ولا مفرّ"[٤]، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥١٢/٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٠/٢٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٤) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١].

قال القاسمي: "(أفأمنوا مكر الله)، وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب، "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، أي: لا يأمن أحدٌ أخذه تعالى العبد من حيث لا يشعر مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون إلا القوم الذين خسروا عقولهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات، فصاروا خاسرين إنسانيتهم، بل أخس من البهائم، وفي قوله تعالى: (أفأمنوا مكر الله)، تكرير للنكير في قوله: (أفأمن أهل القرى)، لزيادة التقرير"[٢].

قال الحسن البصري: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: "وتقييد التعجيب من أمنهم مجيء البأس بوقتي البيات والضحى من بين سائر الأوقات، وبحالي النوم واللعب، من بين سائر الأحوال، لأن الوقتين أجدر بأن يحذر حلول العذاب فيهما، لأنهما وقتان للدعة، فالبيات للنوم بعد الفراغ من الشغل، والضحى للعب قبل استقبال الشغل، فكان شأن أولي النهى المعرضين عن دعوة رسل الله أن لا يأمنوا عذابه، بخاصة في هذين الوقتين والحالين، وفي هذا التعجيب تعريض بالمشركين المكذبين للنبي ﷺ أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم الماضية، فكان ذكر البيات ووقت اللعب أشد مناسبة بالمعنى التعريضي، تهديدًا لهم بأن يصيبهم العذاب بأفظع أحواله، إذ يكون حلوله بهم في ساعة دعتهم وساعة لهوهم نكاية بهم"[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله:

قد كان النبي ﷺ يستعيذ من سخط الله، كما جاء في الحديث "وجميع

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٢) محاسن التأويل ٧/٢٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣/٤٥١.

(٤) التحرير والتنوير، ٩/٢٣.

سخطك". قال ابن هبيرة: "وأما قوله: "وجميع سخطك" ففي ذلك أنه لما كان في تعديد مساخط الله سبحانه نوع ترويع تستجدي له قلوب المؤمنين لإعتاب أجمل ﷺ ذلك، وعدل عن تفصيله إلى قوله عليه السلام: "وجميع سخطك".

ثم من حسن الترتيب، وبديع التصريف أن بدأ في الاستعاذة من تحول العافية، لأنه من لطف الله تعالى به إدامة العافية عليه، وقد حرس خصاله من الالتفات ثم أتبع ذلك بالتعوذ من فجاءة النقمة، وهي أن يفجأ بالنقمة من قبل منذرات تنذر ومؤذنات تؤذن وتشعر، فتسبق الاستغفار وتعجل عن الإعتاب؛ ثم أتبع ذلك بالتعميم من الاستعاذة من جميع سخطه أعاذنا الله سبحانه من ذلك وإياكم"[١].

وقال عبدالله البسام: "قوله: "وجميع سخطك" تعميم بعد تخصيص، فهو يستعيذ بالله تعالى، ويعتصم من جميع الشرور والأمور التي توجب سخط الله تعالى، والذي يسخطه جل وعلا على عباده هو عموم المعاصي والذنوب من انتهاك المحرمات أو ترك الواجبات والله اعلم"[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))[٣].

قال النووي: "قال الخطابي: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٢) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢١٢/٤/٢.

وكان من دعاء النبي ﷺ لما دعا أهل الطائف إلى الإسلام فلم يجيبوه: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانًا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك))[1].

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٣٩/٤، وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق.

الحديث رقم (١٤٨١)

١٤٨١- وعن زيد بن أرقم ﷺ، قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ، يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ[١]، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الهَرَم: الكبر والضعف، والمراد به: صيرورة الرجل خَرِفًا من كبر سن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[٣].

زكِّها: طهرها[٤].

أنت خير من زكاها: لفظة خير ليست للتفضيل، بل المعنى لا مُزكي لها إلا أنت[٥].

وليها: ناصرها والقائم بها[٦].

مولاها: المولى في اللغة بمعان عدة، ومولاها هنا بمعنى: ربها ومالكها وناصرها والمنعم عليها[٧].

الشرح الأدبي

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنّ ذلك لأمته،

---

(١) عند مسلم زيادة: (الجبن).

(٢) برقم (٢٧٢٢/٧٣).

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) النهاية في (ز ك و)، شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٥) شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٦) النهاية في (د ل ي).

(٧) القاموس المحيط في (و ل ي).

ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله -تعالى-، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء، وقوله: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَ) هذا العبارة، وغيرها من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف فإنه يذهب الخشوع، والخضوع، والإخلاص، ويلهى عن الضراعة، والافتقار، وفراغ القلب فأما ما حصل بلا تكلف، ولا إعمال فكر لكمال الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظا فلا بأس به بل هو حسن، ومعنى وبين قوله(زكها، وزكاها) جناس يؤكد المعنى، ويقويه وكذلك بين قوله: (وليها، ومولاها) يؤكد الصلة الوثيقة بين نفس المؤمن وبارئها وأنه المتصرف فيها بما يصلحها، وقوله: (نفس لا تشبع) استعاذة من الحرص، والطمع، والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة، ومعنى زكها طهرها ولفظة خير ليست للتفضيل بل معناه لا مزكي لها إلا أنت كما قال أنت وليها، وقوله (ومن دعوة لا يستجاب لها) كناية عن رد صاحبها، وكونه على خلاف ما يحقق له الاستجابة لأن دعوة المؤمن إما أن تستجاب في الدنيا أو تدخر للآخرة أو يدفع عنه من البلاء بمثلها فهي لا تضيع أبداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة:

هذا واضحٌ من استعاذة النبي ﷺ بالله من العجز والكسل والبخل والهرم، وفي حديث أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ))[1]، فلا شك أن كل هذه العلل تؤدي بالإنسان إلى أن يقصر في عبادة ربه، فاستعاذ منها النبي ﷺ، وذلك لأن "العجز: عدم القدرة على فعل الخير، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم، فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر ... وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد[2]، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له"[3]. أي: أنّ هذه الأشياء

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) قال الشوكاني: الجُبْن: المهابة للأشياء والتأخر عن فعلها، وإنما تعوذ منه ﷺ لأنه يؤدي إلى عدم الوفاء بفرض الجهاد والصدع بالحق وإنكار المنكر، ويجر إلى الإخلال بكثير من الواجبات. نيل الأوطار، ٤٣٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٣٠، ط/ دار عالم الكتب.

معوقات عن عبادة الله سبحانه وتعالى، فاستعاذ منها النبي ﷺ، فما أجدر بالمدعو أن يستعيذ منها.

قال ابن القيم: "أصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر، والمهانة، والدناءة. وأصل الأخلاق المحمودة كلها: الخشوع، وعلو الهمة.

فالفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، والإعراض، وإباء قبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب، والخسة، والخيانة، والرياء، والمكر، والخديعة، والطمع، والفزع، والجبن، والبخل، والعجز، والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك؛ فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وأما الأخلاق الفاضلة: كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، ولامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة.

والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق.

وأما النار: فطبعها العلو والإفساد، ثم تخمد، فتصير أحقر شيء وأذله، وكذلك المخلوق منها. فهي دائمًا بين العلو إذا هاجت واضطربت، وبين الخسة والدناءة إذا خمدت وسكنت. والأخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها، والأخلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منه، فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل)"[1].

(١) الفوائد ٢١٠، ٢١١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر:

لقد كان النبي ﷺ يستعيذ من عذاب القبر، فقال: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر". وكان النبي ﷺ يقول -كما في حديث أنس رضي الله عنه-: ((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[١]، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر، وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب"[٢]، وقال القرطبي: "والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا أخرجها الأثبات الثقات"[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن يهوديةً دخلتْ عليها فذَكرَتْ عذابَ القبرِ فقالت لها: أعاذَكِ اللهُ مِن عذابِ القبرِ. فسأَلَتْ عائشةُ رسولَ اللهِ ﷺ عن عذابِ القبرِ فقال: ((نَعَمْ، عذابُ القبرِ)). قالت عائشةُ رضي الله عنها: فما رأيت رسولَ اللهِ بعدُ صلَّى صلاةً إلاّ تَعَوَّذَ مِن عَذابِ القبر[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُه - وإنَّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالِهم - أتاهُ مَلَكانِ فيُقعدانِه فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ ﷺ. فأمّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولهُ. فيقال له: انظُرْ إلى مَقْعَدِك مِنَ النّارِ، قد أبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقعدًا منَ الجنةِ، فيراهُما جميعًا، وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثقلَينِ))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) إحكام الأحكام ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ١٤٢. وهو تلميذ أبو العباس القرطبي صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٢، ومسلم ٩٠٣، واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٧٤، ومسلم ٢٧٨٠، واللفظ للبخاري.

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)، قال النووي: "معنى زكها: طهرها، ولفظة (خير)، ليست للتفضيل، بل معناه: لا مزكي لها إلا أنت، كما قال: (أنت وليها)"[1].

وقال الطيبي: "قوله: (اللهم آت نفسي ...) ينبغي أن يفسر التقوى بما يقابل الفجور في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، وهي الاحتراز عن متابعة الهوى، وارتكاب الفجور والفواحش؛ لأن الحديث كالتفسير والبيان للآية، فدلّ قوله (آت)، على أن الإلهام في الآية هو خلق الداعية الباعثة على الاجتناب عن المذكورات ...، وقوله: (أنت وليها ومولاها)، استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى وتحصيل التزكية فيها إنما كان لأنه هو متولي أمرها وربها ومالكها، فالتزكية إن حملت على تطهير النفس عن الأفعال والأقوال والأخلاق الذميمة، كانت بالنسبة إلى التقوى مظاهر ما كان ممكنًا في الباطن وإن حملت على الإنماء والإعلاء بالتقوى كان تحلية بعد التخلية، لأن المتقى شرعًا من اجتنب النواهي وأتى بالأوامر"[3].

وقال ابن القيم: "إن العبد إذ زكى نفسه ودسّاها فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه"[4].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب:

هذا واضح من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

قال الطيبي: "قوله: "من علم لا ينفع"، قال المظهر: أي: علم لا أعمل به ولا أعلمه

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٤٥/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب.

(٢) سورة الشمس، آية: ٨.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ٣٢. .

يبدل أخلاقي وأقوالي وأفعالي، أو علم لا يحتاج إليه الدين ولا في تعلمه إذن شرعي"[١].

وقال الغزالي عن القلب وأهميته: "شرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذ صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاقب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستناره تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه"[٢].

وقال النووي: "معنى "نفس لا تشبع": استعاذ من الحرص والطمع والشره وتعلق النفوس بالآمال البعيدة"[٣]، وقال التوربشتي - كما نقل عنه الطيبي - "فيه وجهان: أحدهما أنها لا تقنع بما آتاها، ولا تفتر عن الجمع حرصًا، والآخر أن يراد به النهمة وكثرة المال"[٤].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الدعاء الذي لا يسمع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِن قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْس لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ))[٥].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥ - ١٨٩.

(٢) إحياء علوم الدين ١٣٤٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٤/١٧/٩ - ٤٥.

(٤) شرح الطيبي عل المشكاة ١٨٩/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٦٩).

قال ابن الأثير عن دعاء لا يسمع: "أي: لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع"(١)، قال الطيبي: "يقال: اسمع دعائي، أي: أجب لأن غرض السامع الإجابة والقبول، اعلم أن في كل من القرائن الأربع ما يشعر بأن وجوده مبني على غايته وأن الغرض منه تلك الغاية، وذلك أن تحصيل العلوم إنما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع لا يخلص منه كفافًا، بل يكون وبالاً، ولذلك استعاذ منه، وأن القلب إنما خلق لأن يتخشع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإن لم يكن كذلك كان قاسيًا فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾(٢)، وأن النفس إنما تعتد بها إذا تجافت عن دار الغرور، وأنابت إلى دار الخلود، والنفس إذا كانت منهومة لا تشبع، حريصة على الدنيا، كانت أعدى عدو المرء، فأول شيء يستعاذ منه هي، وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعي لم ينتفع بعلمه ولم يخشع قلبه، ولم تشبع نفسه"(٣).

وقال ابن القيم: "عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفع منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام برّ وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح في اتباع الهدى والاستعداد للقاء"(٤).

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٤٤٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٩١/٥.

(٤) الفوائد ١٦٤ - ١٦٥.

الحديث رقم (١٤٨٢)

١٤٨٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ، وَمَا أعْلَنْتُ، أنتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أنْتَ))[1].

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ[2]: ((وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)) متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أَنَبْتُ: أقبلتُ ورجعتُ إليك بالتوبة [3].

خاصمت: نازعت [4]، والمراد: خاصمت ثقة في نصرك ومؤازرتك لي.

الشرح الأدبي

قامت جمل الحديث الست الأولى على أسلوب القصر بطريق التقديم الذي يخلص أعمال العبد لله، وينفيها عن من سواه وفيه إثبات ملفوظ، ونفي ملحوظ مما يؤكد المعنى (اللهم لك أسلمت وبك آمنت) أي لك انقدت وبك صدقت. قال النووي: فيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان (وعليك توكلت) أسلوب قصر أي عليك لا على غيرك اعتمدت في تفويض أموري (وإليك أنبت) هو أيضا على القصر على الله وحده أي رجعت وأقبلت بهمتي (وبك خاصمت) أسلوب قصر لقصر الخصومة بالله ومن أجله أي بك أحتج، وأدفع، وأخاصم (وإلَيْكَ حَاكَمْتُ) قصر للمحاكمة بكونها إلى الله لا إلى غيره

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩/١٩٩).

(٢) قال البخاري عقب الحديث: قال سُفيان: وزاد عبد الكريم أبو أميّة: (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

(٣) النهاية في (ن و ب).

(٤) الوسيط في (خ ص م).

والمعنى في بقية الحديث يقوم على الطباق بين الصفات التي تؤكد إحاطة كل ذنوب العبد بطلب مغفرة الله - تعالى - وإحاطة الله بكل شيء، (فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أنتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ) فقد طابق بين قدمت، وأخرت لاستغراق طلب المغفرة للزمان بما وقع فيه، كما طابق بين أسررت، وأعلنت لإحاطة طلب المغفرة بما كان في العلن، وما كان في النفس، وبين المقدم، والمؤخر إشارة إلى إحاطة الله بمقادير العباد، وكمال تصرفه فيهم، والجملة الأخيرة تقرر الوحدانية الخالصة بإفراده الله بالألوهية، عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي تنقية للعقيدة، وصقلا للقلب.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت).

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[2].

وفي حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سبق شرح المضامين الدعوية في هذا الحديث في الحديث رقم (٧٦)، وذُكر هنا شرح الزيادة الواردة في رواية الحديث المذكورة هنا.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "ومعنى سؤاله ﷺ مع أنه مغفور له أنه يسأل ذلك تواضعًا وخضوعًا وإشفاقًا وإجلالاً، وليقتدى به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين"(١).

وقال ابن حجر: "وقوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل: والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا ... وفيه "اي في الحديث" زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ"(٢).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء:

هذا واضح في الحديث، وقال ابن حجر: "وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداء به ﷺ"(٣).

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الإسلام درجة أولى والإيمان مقام وراء ذلك، لأنه ﷺ قال: "لك أسلمت" ثم أتبعه بقوله: "وبك آمنت"، فلما بدأ بالإسلام ثم ثنى بالإيمان لم يبق حينئذ إلا تبين ثمرة الإيمان، وهو التوكل على الله. فقال: "وعليك توكلت" ثم لما لم يخل بسر ما يقتضي الإنابة مع ذلك كله، قال بعده: "وإليك أنبت"، ثم لما استقر ذلك كله جاء بالحب في الله والبغض في الله فقال: "وبك خاصمت" وهذا أبلغ من قوله: "وفيك خاصمت" لأن ذلك يتضمن نوع تزكية للنفس، ودعوى قوله: "وبك خاصمت" يتضمن صدق التوكل، والمعنى: أنت مستندي وتفويض الانتصار بالله تعالى، وأنه خاصم في الله بدليل أنه لا ينتصر بالله إلا فيما يخاصم به فيه"(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٦/٦/٣ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) فتح الباري، ٥/٣ ط/ السلفية.

(٣) المرجع السابق ٥/٣ ط/ السلفية.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨٤/٤.

قال ابن القيم: "وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال صلى الله عليه وسلم: ((قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا ـ وَأَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[4]، فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية"[5].

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٣.
(٤) أخرجه البخاري ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.
(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٦٩ - ٢٧٠.

الحديث رقم (١٤٨٣)

١٤٨٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يدعو بهؤلاءِ الكلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح)؛ وهذا لفظ أَبي داود.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » فالفتنة تتصرف على وجوه: أحدها: وهو الأليق في هذا المكان هي التصفية والتهذيب، يقال: هذا ذهب مفتون إذا دخل النار فنفي عنه الخبث، ويقال للصائغ: الفاتن، لأنه يفتن الذهب والفضة، أي يصفيهما بالنار، ويزيل الخبث عنهما، كذا قال أهل اللغة. ومن ذلك قول الله تعالى (ولقد فتنا سليمان) (٣٤)، معناه هذبناه وصفيناه من الأوصاف الذميمة، وكذلك قوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) (٢٤)، أي: علم أنا هذبناه، وأدبناه، ونبهناه، فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » أي: أن يكون تصفيتي وتهذيبي بالنار وتأديبي بها، وذلك أن الخطايا والذنوب يكفرها الله بالمحن والبلايا في الدنيا، وبالمصائب والأمراض، قال النبي ﷺ: « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض ما له من ذنب » وتكون الكفارة والتمحيص بعد الموت في القبر، وفي أهوال القيامة، ويكون بالعفو والتجاوز فضلا من الله، ويكون شفاعة الأنبياء والأولياء، فإن لم يكن بهذه الأسباب فبإدخال النار، فكأنه قال: أعوذ بك من أن تكون فتنتي وتمحيصي من خطاياي وكفارة ذنوبي تصفيتي منها بالنار، ولكن بعفوك وفضلك وكرمك إما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤٣) واللفظ له، والترمذي (٢٤٩٥). وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩/١٢٩) بلفظ أتمَّ منه.

توفيقا للتوبة منها في الدنيا، أو التجاوز عنها في الآخرة، يدل على ذلك ما جاء في حديث آخر: « أذقني برد عفوك ». ومعنى قوله ﷺ: « وعذاب النار » أي: أعوذ بك من أن تعاقبني بها، وتعذبني بالنار، وفائدة الدعاء هو الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه أمر بذلك، وندب إليه وليست حالة في الطاعات أشرف من حال الدعاء، لأن الإنسان ربما يشغل قلبه في جميع العبادات في الصلاة والصوم وغيرها، فأما في حالة الدعاء، فيلزم جوارحه، ويضطر إليه، فأي حالة أحسن من هذا. قال: فكان دعاء رسول الله ﷺ لأجل الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه علم أنه كان مغفورا له كل ذنب، وقوله (وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ) فيه طباق يقرر المعنى ويؤكده ويشير إلى أن في الحالين يكمن الشر إذا تجاوزا حدهما فدفعا العبد إلى معصية الله، ولذلك استعاذ من شرهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار.

ثانيًا من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار)، قال القرطبي: "الفتنة هنا هي ضلال أهل النار المفضى بهم إلى عذاب النار"[1]. وقال ابن حجر: "هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[2]"[3].

والآيات في سورة الملك: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ

(١) المفهم ٧/٣٣.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) فتح الباري ١١/١٧٧ ط/ السلفية.

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

جاء في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ما ملخصه: "مثلث حالة فورانها - أي النار - وتصاعد ألسنة لهيبها ورطمها ما فيها والتهام من يلقون إليها، بحال مغتاظ شديد الغيظ لا يترك شيئًا مما غاظه إلا سلّط عليه ما يستطيع من الإضرار، وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ، والاستفهام في (ألم يأتكم نذير)، للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة ... وكان جوابهم - أي أهل النار - جواب المتحسر المتندم، فابتدأوا الجواب دفعة بحرف (بلى)، المفيد نقيض النفي في الاستفهام فهو مفيد معنى: جاءنا نذير وهو من تكرير الكلام عند التحسر مع زيادة التحقيق بـ (قد)، وذلك التأكيد هو مناط الندامة والاعتراف بالخطأ... وإنما هذا قول قالوه في مجامعهم في النار تحسرًا وتندمًا ... وذكروا ما يدل عل انتفاء السمع عنهم في الدنيا وهم يريدون سمعًا خاصًا وعقلاً خاصًا، فانتفاء السمع والعقل بإعراضهم عن تلقي دعوة الرسل عليهم السلام ... وانتفاء العقل بترك التدبر في آيات الرسل ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه، ولا شك أن أقل الناس عقلاً المشركون؛ لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاتهم لغير معارض يعارضه في دينهم، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات، ولا على ما يخالف عملاً من الأعمال، فكان حكم العقل قاضيًا بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه الرسل من الإنذار للامتثال، إذ لا معارض له في دينهم لولا الإلف والتكبر.

قوله: (فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير)، التقدير: قالوا ذلك إذ تبين أنهم اعترفوا هنالك بذنبهم، فهم محقوقون بما هم فيه من العذاب، والسحق: اسم مصدر معناه: البعد، وهو هنا نائب عن الإسحاق، لأنه دعاء بالإبعاد فهو مفعول مطلق نائب عن فعله، أي أسحقهم الله إسحاقًا، ويجوز أن يراد من هذا الدعاء التعجب من حالهم كما

(١) سورة الملك، الآيات: ٦ - ١١.

يقال: قاتله الله وويل له، في مقام التعجب ...، وهم جديرون بالدعاء عليهم بالإبعاد أو جديرون بالتعجب من بُعْدهم عن الحق أو عن رحمة الله تعالى، ويحتمل أيضًا أنه يقال لهم يوم الحساب عقب اعترافهم، تنديمًا يزيدهم ألمًا في نفوسهم فوق ألم الحريق في جلودهم"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر الغنى والفقر)، قال النووي: "وأما استعاذته ﷺ من فتنة الغنى وفتنة الفقر، فلأنهما حالتان تُخْشَى الفتنة فيهما بالتسخط وقلة الصبر، والوقوع في حرام أو شبهة للحاجة، ويخاف في الغنى من الأشر والبطر والبخل بحقوق المال أو إنفاقه في إسراف وفي باطل وفي مفاخر"[٢].

وقال الطيبي: "قال البيضاوي: فتنة الغنى البطر والطغيان والتفاخر به، وصرف المال في المعاصي وما أشبه ذلك. وفتنة الفقر الحسد على الأغنياء والطمع في أموالهم والتذلل لهم بما يتدنس به عرضه وينثلم به دينه، وعدم الرضا على ما قسم الله إلى غير ذلك مما لا يحمد عاقبته". أقول (القائل الطيبي): الفتنة إن فسرت بالمحنة والمصيبة، فشرها أن لا يصبر الرجل على لأوائها[٣] يجزع منها، وإن فسرت بالامتحان والاختبار، فشرها أن لا يحمد في السراء، ولا يصبر في الضراء"[٤].

وقال ابن حجر: "والتقييد في الغنى والفقر بالشر لأن كلاً منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد في الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قلّ أم كثر، قال الغزالي[٥]: فتنةُ الغِنَى الحرصُ على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حلّه، ويمنعه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٩ - ٢٨ بتصرف كبير.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/١٧/٩ - ٣٠.

(٣) اللأواء: الشدة والضر، القاموس المحيط في (ل و ى).

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٧/٥.

(٥) كذا في المطبوع من فتح الباري، ولكن هذا الكلام هو كلام القرطبي في المفهم، ٢٣/٧، ويغلب على الظن أن الصواب: القرطبي.

من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد بها الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده مُلْك الدنيا بحذافيرها"[١].

ويمكن أن يستأنس هنا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه - وإن كان ضعيفًا - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تُنْظَرُونَ إلاَّ إلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ أَوْ الدَّجَّالِ فَشَرٌّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ؟ فالسَّاعةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))[٢].

والفقر المُنْسِي هو ما يجعل صاحبه مدهوشًا، ينسيه الطاعة من الجوع والعرى والتردد في طلب القوت، والغنى المطغى هو الموقع في الطغيان[٣].

---

(١) فتح الباري ١١/١٧٧ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي، ٤٠٠).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٨٤٤.

الحديث رقم (١٤٨٤)

١٤٨٤- وعن زياد بن عِلاَقَةَ عن عمه، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ ﵁، قَالَ: كَانَ النبيّ ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخْلاَقِ، وَالأعْمَالِ، والأهْواءِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

قطبة بن مالك: هو قطبة بن مالك الثَّعْلبي الذُّبياني عم زياد بن عِلاقة الراوي عنه.

كان يسأل النبي ﷺ عما لا يعلم من القرآن، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ فقرأ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[2] حتى قرأ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[3] فجعلت أُرددها ولا أدري ما قال[4].

وفي رواية فجعلت أقول له: ما بُسُوقها؟ فقال: طولها[5].

نزل العراق وسكن الكوفة[6].

غريب الألفاظ:

منكرات الأخلاق: وهو مبني على غلبة العرف في أنها غير محمودة، فما وافق الهدي والشرع فمعروفة مقبولة وما خالفها فمنكرة كالعجب والكبر وغيرها وكلمة منكرات مشتقة من المنكر وهو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه[7].

---

(١) برقم (٣٥٩١). وصحَّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٠)، وقال الحاكم (٥٣٢/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة ق، الآية: ١.

(٣) سورة ق، الآية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٥-٤٥٧).

(٥) أخرجه الحاكم (٤٦٤/٢) وصححه.

(٦) الطبقات (٣٦/٦) والاستيعاب ٦١٩، وأسد الغابة (٣٨٨/٤) والإصابة ١٠٨٠، وتهذيب الكمال (١٢٣/٦)، والتهذيب (٤٤١/٣).

(٧) المعجم الوسيط في (ن ك ر)، ودليل الفالحين ١٥٢٨.

الأهواء: جمع هوى وهو ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[1].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق) كالحقد والبخل والحسد والجبن ونحوها ولا مانع من إرادة السبب والمسبب معا كالحقد وما ينتج عنه من الإيذاء للناس، والرغبة في الانتقام، والبخل ومن ينتج عنه من الظلم، ومنع حق الله، والناس في المال، والحسد وما ينتج عنه من تمني زوال النعم، والاعتراض على حكم الله، والجبن وما يدعو إليه من كتمان الحق، والفرار من الزحف، وغيره لأن المسبب قد يحصل فيعفى عنه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وهذا مقول على منهج التعليم لغيره (والأعمال) الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب خمر وسرقة ونحوها. قال بعض حكماء الإسلام: وهذه المنكرات منها ما لا ينفك منه غير المعصوم في متقلبه ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا عليها متعارفا وذِكْرُ هذا مع عصمته تعليم لأمته كما سبق (و) منكرات (الأهواء) وهي الزيغ والانهماك في الشهوات جمع هوى مقصور هوى النفس وهو ميلها إلى المستلذات والمستحسنات عندها لأنه يشغل عن الطاعة ويؤدي إلى الأشر والبطر (والأدواء) من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء، ونحوها فهذه كلها بوائق الدهر فيقول أعوذ بك من بوائق الدهر. قال الطيبي: والإضافة إلى القرينتين الأوليين من إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الراغب: والإنكار ضد العرفان والمنكر كل فعل يتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ويحكم بقبحه الشرع. وقال زين العرب منكر الخلق ما لم يعرف حسنه من جهة الشرع قال الحكيم: إنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك منها في متقلبه ليلا ونهارا وبها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم فذاك الذي يشار إليه في بالأصابع في ذلك الأمر ومنه يعظم الوبال، وعطف العمل على الخلق والهوى... من

---

(١) المفردات ٥٤٨.

باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء:

هذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)، قال المباركفوري: "المنكر ما لا يعرف حسنه من جهة الشرع، أو ما عرف قبحه من جهته والمراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والأعمال، أي: الأفعال الظاهرة، والأهواء جمع الهوى مصدر هواه إذا أحبّه ثم سمى بالهوى المشتهى محمودًا كان أو مذمومًا ثم غلب على غير المحمود. كذا في (المغرب)"[2]، وقال ابن عثيمين: "الإنسان له أهواء ومن الناس من يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ومنهم من يكون هواه تبعًا لنفسه وما تهواه"[3].

ويقول الغزالي موضحًا بعض منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء: "اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[4]، فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي حديث (١٤٧٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل، والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الإنسان حرص على ذلك، ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية، فصار شريرًا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين، وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة"[1].

ثم قال: "أما طاعة الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها، وأما طاعة الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها.

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها.

ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقرّ في القلب من الصفات الربانية: العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن طاعة الشهوة والغضب ولانتشر إليه صفات شريفة، مثل: العفة والقناعة والهدوء، والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو

(١) إحياء علوم الدين ٣/١٣٦٢.

والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها"[١].

وقال ابن القيم: "أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية. وهي الشرك، والظلم، والفواحش. فغاية التعليق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر. وغاية طاعة القوة الغضبية القتل. وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٢].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض؛ فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣]. فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا.

وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد. فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك؛ ولهذا يجمع سبحانه بينهما. أما الأول، ففي قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[٤]. وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم، ولاسيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان. وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك في قوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/١٣٦٣ - ١٣٦٤ بتصرف يسير.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨ .
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٣ .
(٦) سورة النور، الآية: ٣ .

فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض. ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدًا وأعظم شركًا كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1]. فأخبر أن ما عنده خير لمن آمن به وتوكل عليه، وهذا هو التوحيد. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾. فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية. ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. فهذا مخالفة القوة الغضبية، فجمع بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله"[2].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق:

فإنّ تَعَوُّذَ النبي ﷺ من منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء في قوله: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق" يلزم عنه الدعاء بالتحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها، عن طريق مفهوم المخالفة.

وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٣٦، ٣٧ .

(٢) الفوائد ١٢٢، ١٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "قوله: (اهدني لأحسن الأخلاق)، أي: ارشدني لصوابها ووفقني للتخلق به، قوله: (واصرف عني سيئها)، أي: قبيحها"[١].

وقال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))[٢].

قال ابن عبدالبر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه ﷺ، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]"[٤].

كما قال النبي ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٥].

قال ابن حجر الهيتمي: "هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ بل من أوجزها، إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر، والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي ﷺ بينهما وجعلهما ضدين"[٦].

"ويرشد الحديث إلى التخلق بمكارم الأخلاق، لأن حسن الخلق من أعظم خصال البر"[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦٠/٦/٣ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه أحمد ٣٨١/٢، رقم ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال محققو المسند: صحيح، وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٥١٢/١٤ - ٥١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) التمهيد ٣٧/٢٢، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٥٥٣.

(٦) نقلًا عن الوافي في شرح الأربعين النووية، د.مصطفى البغا، ومحيى الدين مستو. مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ط٧، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٠٤.

(٧) الوافي في شرح الأربعين النووية، ٢٠٩.

الحديث رقم (١٤٨٥)

١٤٨٥- وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قلتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

شَكَل بن حُمَيْد: هو شَكَلُ بن حُمَيْد العبسي، من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال ابن السَّكن: هو من رهط حذيفة بن اليمان، وعداده في أهل الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو عنه غير ابنه شُتَيْر، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي والنسائي، حديثًا واحدًا، وهو حديث الاستعاذة[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (علمني دعاءً) استرشاد يدل على حرصه على خير سهل المنال، وقول الرسول رضي الله عنه للرجل (قل) أمر إرشاد وتوجيه لما يحقق الغاية ويشجع على الطاعة، وقوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني) وفي العبارة مراعاة نظير وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه حيث جمع بين الجوارح (السمع - البصر - اللسان - القلب - المني) وشر اللسان أي نطقي فإن أكثر الخطايا منه وهو الذي يورد المرء في المهالك وخص هذه الجوارح لما أنها مناط الشهوة ومثار اللذة (ومن شر قلبي) يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا والرهبة من الخلق وخوف فوت الرزق والأمراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلب رفعة وغير ذلك (ومن شر منيي) كناية عن الشهوة الحرام، وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢). ولفظهما سواء. وقال الحاكم (٥٣٣/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب (٣٣٧)، أسد الغابة (٦٣٧/٢، ٦٣٨)، الإصابة (٥٨٨)، تهذيب الكمال (٤٠٥/٢)، تهذيب التهذيب (١٧٩/٢)، السندي (٣٠٤/٢٤).

أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة من شره، وخص هذه الأشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه كما تقرر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابي: شكل بن حُميد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله علمني دعاء، وفي سنن الترمذي والنسائي: يا رسول الله علّمني تعوذًا أتعوذ به. والتعوذ من الدعاء.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: علّمني دُعاءً أَدعو بهِ في صلاتي قال قُل: ((اللهمَّ إِني ظَلَمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ، فاغفرْ لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إِنك أَنتَ الغفور الرَّحيم))[1].

ومن ذلك أيضًا ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[2].

قال ابن القيم: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه... ومن أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء"[١].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة - التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيِّي): يعني فرجه.

قال المباركفوري: "قوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي) أي: حتى لا أسمع ما تكرهه (ومن شر بصري)، أي: حتى لا أرى شيئًا لا ترضاه، (ومن شر لساني)، أي: حتى لا أتكلم بما لا يعنيني (ومن شر قلبي)، أي: حتى لا أعتقد اعتقادًا فاسدًا ولا يكون فيه نحو أحرِ حقد وحسد وتصميم فعل مذموم أبدًا، (ومن شر منيي)، وهو أن يغلب عليه حتى يقع في الزنا أو مقدماته (يعني فرجه)، هذا تفسير من بعض الرواة لقوله (منيى) أي يريد شر فرجه"[٢]، وقال العظيم آبادي: "وقيل هو جمع المنية بفتح الميم أي: من شر الموت، أي قبض روحه على عمل قبيح"[٣].

وقد قال الله تعالى محذرًا من استعمال السمع والبصر والفؤاد في غير الخير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٤].

قال ابن كثير: "قوله: (كل أولئك)، أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسؤولا) أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها"[٥]. وقال الطاهر

---

(١) الداء والدواء ١٠-١٢.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٧٧.

(٣) عون المعبود ص ٦٩٧.

(٤) سورة الإسراء، ٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٥/٧٥.

ابن عاشور: "القَفْو: الإتباع، يقال: يقفوه إذا أتبعه. والمراد: بـ (ما ليس لك به علم)، الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به، ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة منها خلة من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس، فكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهن ويليطون[1] بعض الأولاد بغير آبائهم، بهتانًا، أو سوء ظن، إذا رأوا بعدًا في الشبه بين الابن وأبيه أو رأوا شبهه برجل آخر من الحي أو رأوا لونًا مخالفًا للون الأب أو الأم، تخرصًا وجهلاً بأسباب التشكل ... ومنها القذف بالزنا وغيره من المساوي بدون مشاهدة، وربما رموا الجيرة من الرجال والنساء بذلك، وكذلك كان عملهم إذا غاب زوج المرأة لم يلبثوا أن يلصقوا بها تهمة ببعض جيرتها ... ومنها تجنب الكذب.

قال قتادة: "لا تقف: لا تقل: رأيت ولم تر، ولا: سمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، ومنها: شهادة الزور وشملها هذا النهي وبذلك فسّر محمد بن الحنيفة وجماعة. وما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا، فموقع الجملة موقع تعليل، أي: أنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك، وهذا أدب خلقي عظيم وهو أيضًا جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة"[2].

---

(١) يقال: لاط القاضي فلانًا بفلان: ألحقه به ونسبه إليه. المعجم الوسيط ٨٤٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٠٠ - ١٠١ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٨٦)

١٤٨٦- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الأسْقَامِ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البَرَص: بياض يظهر في ظاهر الجسد لعلّة[2].

الجُذَام: علة تتآكل منها الأعضاء وتسقط[3].

الأسقام: جمع سُقم: الأمراض[4].

الشرح الأدبي

أشرنا سابقاً إلى أن الرسول ﷺ استعاذ بالله تعالى من جملة الشرور كما استعاذ من شرور بعينها لها فضل ضرر عن غيرها مما يفسد إحدى الحياتين أو يفسدهما معا ومنها جملة الأمراض التي وردت في استعاذته في هذا الحديث، وهذه الأمراض تتميز بأنها صعبة العلاج منفرة يصير بعضها كالوباء يؤذي الناس، ولذلك بدأ الدعاء بصيغة اللهم التي تؤذن بشدة الخضوع، والذل، والفاقة، وتختص بنداء اسم الله فهي إعلان للتوجه إليه خاصة ثم تلاها بالتوكيد الدال على شدة الإلحاح وأولها: (البرص) وهو بياض يحدث في الأعضاء (والجنون) أي زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات (والجذام) علة يذهب معها شعور الأعضاء، وتؤدي إلى تآكلها وتقرحها (وسيىء الأسقام) كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص، قال الطيبي وإنما لم يتعوذ

---

(١) برقم (١٥٥٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠١٧).

(٢) القاموس المحيط، المعجم الوسيط في (ب ر ص).

(٣) المعجم الوسيط في (ج ذ م).

(٤) النهاية في (س ق م).

من الأسقام مطلقا فإن بعضها مما يخف مؤنته وتكثر مثوبته عند الصبر عليه مع عدم إزمانه كالحمى والصداع والرمد وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفر منها الحميم ويقل دونها المؤانس والمداوي مع ما يورث من الشين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام).

قال العظيم آبادي: "البرص: بياض يحدث في الأعضاء، والجنون، أي: زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات"[1]. "والجذام علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط"[2].

وقال ابن عثيمين: "الجذام هو مرض يصيب الإنسان في أطرافه أحيانًا والعياذ بالله، إذ بدأ بالطرف يتآكل حتى يقضي على البدن كله، ولهذا قال العلماء: إنه لا يجوز أن يخالط الجذماء الناس وإنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص، وهو ما يعرف الآن عند الناس بالحُجْر الصحي؛ لأن هذا - والعياذ بالله - الجذام من أشد الأمراض عدوىً، نسأل الله العافية، قالوا: يجب على ولي الأمر أن يجعل الجذماء المصابين بمرض الجذام في مكان خاص كي لا يختلطوا بالناس"[3].

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) المعجم الوسيط ١١٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

وقال العظيم آبادي: "وسيئ الأسقام كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص"(١).

وقال ابن عثيمين: "ويشمل هذا كل الأمراض السيئة ومنها ما يعرف الآن بالسرطان"(٢).

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

قال ابن عثيمين: "فمثل هذه الأحاديث ينبغي للإنسان أن يحرص عليها وأن يقتدي بالنبي ﷺ"(٣)، وقال الطيبي: "قال التوربشتي: لم يستعذ بالله من سائر الأسقام، لأن منها إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر خفت مؤونته وعظمت مثوبته، كالحمى والصداع والرمد، وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفرّ منها الحميم ويقلّ دونها المؤانس والمداوي، مع ما يورث من الشين، فمنها الجنون الذي يزيل العقل فلا يأمن صاحبه القتل ومنها البرص والجذام وهما العلتان المزمنتان مع ما فيهما من القذاة والبشاعة وتغيير الصورة، وقد اتفقوا على أنهما معديان إلى الغير"(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فقَالَ: ((مَا كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُ؟)) قالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبَنِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، لا تَسْتَطِيعُهُ، أَوْ لا تُطِيقُهُ. قُلِ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))(٥).

قال النووي: "وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة وكراهة تمني البلاء؛ لئلا يتضجر منه ويسخط وربما شكا"(٦).

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٣) السابق ٢/١٥٦٠.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/١٤ - ١٥ ط/ دار عالم الكتب.

وعلى هذا فإن المسلم يلجأ إلى الله ويستعيذ به من الأمراض المزمنة وغيرها من الأمراض الخطيرة المهلكة، التي تحرم الإنسان من القوة والعافية وتصيبه بأضرار كبيرة جدًا في صحته وبدنه، مما قد يدفع بعض الناس إلى الضجر والسخط وربما إلى أشد من ذلك وأخطر، وخاصة في زمننا هذا الذي أصبحت فيه تكاليف العلاج لهذه الأمراض باهظة جدًّا يعجز كثير من المرضى عن تحملها. والمقصود أن المسلم يدعو الله ويسأله العافية في الدين والدنيا.

الحديث رقم (١٤٨٧)

١٤٨٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**اللّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الحديث:

الضَجيع: المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، والمراد: المُلازم[2].

البطَانة: تطلق في الأصل على بطَانة الثوب ثم استعير لمن يخصه الإنسان بالاطلاع على باطن أمره[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الماضي (كان) يشير إلى تكرار الفعل مما يجعل الدعاء سنة فعلية يلتزمها الصالحون في كل العصور (اللهم إني أعوذ بك من الجوع) عبر بالمسبب وأراد السبب على سبيل المجاز أي الألم الذي ينال الجائع من خلو المعدة من الغذاء ويؤدي تارة إلى المرض، وتارة إلى الموت (فإنه بئس الضجيع) كناية عن الملازمة أي المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات كالسجود والركوع، وقال الطيبي رحمه الله الجوع يضعف القوى ويشوش الدماغ فيثير أفكارا رديئة وخيالات فاسدة فيخل بوظائف العبادات والمراقبات ولذلك خص بالضجيع الذي يلازمه ليلا ومن ثم حرم الوصال، وقد يستدل بهذا الحديث لما قيل من

---

(١) برقم (١٥٤٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٢٩). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٨٨): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١٨).

(٢) الوسيط في (ض ج ع).

(٣) النهاية في (ب ط ن).

أن الجوع المجرد لا ثواب فيه (وأعوذ بك الخيانة) وهي ضد الأمانة، قال الطيبي هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية (فإنها بئست البطانة) أي الخصلة الباطنة هي ضد الظهارة وأصلها في الثوب فاستعير لما يستبطنه الإنسان من أمره ويجعله بطانة حاله، وبطانة الشيء أهله أو خاصته مستعارة من بطانة الثوب وفيها دلالة على شدة القرب المؤثر في صاحبه سلبا، أو إيجابا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع)، قال الطيبي: "قال القضاعي: الجوع: الألم الذي يكون من خلو المعدة، والضجيع، استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة، ويضعف البدن عن القيام بوظائف الطاعات، أقول: -أي الطيبي-: خصّ الضجيع بالجوع؛ لينبه عل أن المراد بالجوع الذي يلازمه ليلاً ونهارًا، ومن ثم حرّم الوصال، ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لاسيما بقيام التهجد"[1].

وقال السندي: "ضَجيعك -بفتح فكسر- من ينام في فراشك، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة"[2].

ولشدة أمر الجوع امتن الله تعالى على قريش بأنه سبحانه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[3].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٩٣/٥.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٦٥٦/٨.

(٣) سورة قريش، آية: ٤.

قال الطاهر بن عاشور: "و(مِنْ) الداخلة على (جوع)، وعلى (خوف)، معناها البدلية، أي: أطعمهم بدلاً من الجوع وآمنهم بدلاً من الخوف، ومعنى البدلية: هو أن حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع فإطعامهم بدل من الجوع الذي تقتضيه البلاد، وأن حالتهم في قلة العدد وكونهم أهل حضر وليسوا أهل بأس ولا فروسية ولا شكة سلاح، تقتضي أن يكونوا معرضين لغارات القبائل، فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضًا عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم"[١].

وقد أمر رسول الله ﷺ بإطعام الجائع، فقال ﷺ: ((فُكُّوا العانيَ - يعني الأسيرَ- وأطعِموا الجائعَ، وعُودوا المريض))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).

قال الطيبي: "قال البيضاوي: الخيانة نقيض الأمانة، والبطانة ضد الظهارة، وأصلها في الثوب، فاتسع فيما يستبطن الرجل من أمره، فيجعله بطانة حاله، أقول -أي الطيبي- : وخص البطانة بالخيانة لأنها ليست كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله، لكن يجري سريانه إلى الغير مجرى الظهارة"[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكرُه للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله (لا تخونوا الله)، وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة وهو يستسر

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٥٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٤٦.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

الكفر والغشَّ لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم"(١).

وقد عدّ رسول الله ﷺ خيانة الأمانة من صفات المنافقين، فقال ﷺ: ((آيةُ المُنافِق ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان))(٢).

وقال ﷺ أيضًا: ((أربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالصًا، وَمَنْ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنهنَّ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفاقِ حتى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ))(٣).

قال الراغب: "الخيانة والنفاق واحدٌ إلا أن الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارًا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السرّ، ونقيض الخيانة: الأمانة"(٤).

وجاء في الموسوعة الفقهية: "وقد عدّ الذهبي وابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فلسٍ ليس كمن خانك في أهلك"(٥).

---

(١) جامع البيان، ١٢٠/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٦٣.

(٥) الموسوعة الفقهية، ١٨٦/٢٠ ومراجعها ومصادرها.

الحديث رقم (١٤٨٨)

١٤٨٨- وعن عليّ رضي الله عنه: أنَّ مُكَاتبًا جاءهُ فقَالَ: إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي، قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهنَّ رسُولُ اللهِ ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: ((**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَاغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

مكاتبًا: من الكتابة، والمكاتبة هي: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مُنَجّمًا -أي مفرقًا على أقساط- فإذا أداه صار حرًّا، وسميت كتابة لأن العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق[2].

كتابتي: من الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده[3].

أدّاه: قضاه[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يروي ذكرا ورد في قصة تقوم على حوار بين أحد العبيد وبين علي رضي الله عنه في حوار من سؤال، وجواب قدم له بمقدمة بنى عليها طلبه: (إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي) وقد أكد خبره بإن واسمية الجملة حملا له على الاقتناع بمضمونه، وقوله (ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله) يحتمل أن تكون ألا للتنبيه، وأن تكون

---

(١) برقم (٣٥٦٣). وقال الحاكم (١/٥٣٨): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧١٤).

(٢) النهاية في (ك ت ب).

(٣) الوسيط في (ك ت ب).

(٤) اللسان والوسيط في (أ د ى).

الهمزة للاستفهام ولا للنفي وسقط الجواب ببلي اختصارا أو إشارة إلى أنه لا يحتاج إليه لأن من المعلوم أنه هو المراد، وغرض الاستفهام العرض والتشويق، والمعنى ألا أخبرك بكلمات أو بفضيلة دعوات، وبين قوله (أعلمك، وعلمنيهن) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى تواصل النور من جيل إلى جيل تضيء به مشكلات العصور، وقوله: (أنه لو كان عليك مثل جبل دينا) استخدم ضمير الشأن للإيذان بتعظيم الأمر وتفخيمه وجملة الشرط بعده تفترض المستحيل مبالغة في بيان أثر هذا الدعاء على دين العبد، والتعبير بالجار، والمجرور (عليك) يوحي بثقل الحمل، وتنكير لفظ (دينا) للتعظيم أي دينا عظيما لأنه شبهه بالجبل، والتعبير بالماضي (أداه) يفيد تحقق القضاء عنه قال الطيبي اكتفي بالتعليم إما لأنه لم يكن عنده مال يعطيه فرده أحسن رد عملا، وإما لأن الأولى بحاله ذلك، وقوله (اللهم) اكفني أمر من كفى يكفي بحلالك عن حرامك أي متجاوزا أو مستغنيا عنه وأغنني بفضلك عمن سواك، وبين قوله حلالك، وبين حرامك طباق يؤكد المعنى، ويقويه ويؤكد على توفر البديل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات.

ثانيًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه.

أولاً- من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات:

هذا واضح من مجيء المكاتِب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقوله له: "إني عجزت عن كتابتي فأعنّي". وذلك لأن أهل العلم عندهم من العلم ما يمكنهم من إرشاد المدعو إلى ما ينفعه. ومن هذا القبيل ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إنَّ فاطمةَ عليها السلامُ شكت ما تَلقى في يدِها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ ﷺ تسألُهُ خادمًا، فلم تجِدْهُ، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَته، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ

أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بيننا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادمٍ؟ إذا أوَيتما إلى فِراشِكما -أو أخذتما مَضاجعَكما- فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدًا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما، فتركهما على حالة اضطجاعهما وبالغ حتى أدخل رجله بينهما، ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور... وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك، كذا أفاده ابن تيمية، وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب)[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات:

وهذا واضح من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمكاتب: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل دينًا أداه الله عنك؟ قل: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

وهذا كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أما مع سلمان الفارسي فقد كان عبدًا لبعض يهود المدينة وقد أسلم فشغله ((الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٢) فتح الباري ١١/١٢٤-١٢٥.

نخلة أحييها له بالفقير[(١)] وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيّة[(٢)]، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله عزَّ وجلَّ سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد))[(٣)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه:

هذا واضح من قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

قال الطيبي: (طلب المكاتب المال فعلمه رضي الله عنه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه فرد أحسن رد عملاً بقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾[(٤)] أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل

---

(١) الفقير: هي الحفرة التي تحفر لغرس النخل. حاشية السندي على مسند أحمد ١٤٨/٣٩.

(٢) الودية جمعها الوَدِيُّ: صغار الفسيل، والفسيل واحدته فسيلة وهي النخلة الصغيرة. الوسيط ٦٨٩، ١٠٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٢/٥ - ٤٤٣، رقم ٢٣٧٣٧، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٤٧/٣٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: "وأغنني بفضلك عمن سواك")[١].

وذلك أن أكل الحرام يدل على سوء حال العبد، يقول ابن القيم: (ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين: إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه. ولكن تغلب شهوتُه صبره وهواه عقله. فالأول من ضعف علمه والثاني من ضعف عقله وبصيرته)[٢].

كما أن أكل الحرام يمنع من استجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسلينَ، قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٣] وقالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٤] ثم ذَكَرَ الرجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ يا ربِّ يا ربِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وقَدْ غُذِيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ))[٥].

قال ابن رجب الحنبلي: (المؤمن كله طيب: قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل. ومن أعظم ما يحصل به، طيبة الأعمال للمؤمن، طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله... والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح فما دام الأكل حلالاً فالعمل الصالح

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٢/٥.

(٢) الفوائد ٧٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٠١٥.

مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟ وما ذكره بعد ذلك من الدعاء وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام)[١].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٨٩)

١٤٨٩- وعن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ النبيّ ﷺ عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: ((اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

ألهمني: ألهم من الإلهام وهو: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك[٢].

رشدي: من الرشد: الهدى والاستقامة على طرق الحق مع تصلب فيه[٣].

وأعذني: أجرني واحفظني من شرها[٤].

الشرح الأدبي

يروي الحديث عِمْرَان بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما مؤكدا بأكثر من مؤكد تعظيما للخبر، وتعظيما لمن يروي عنه، وكونه ناقلا عن أبيه يزيد الخبر توكيدا وقوله (عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْناً كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما) فيه أسلوب توشيع بذكر المثنى مجملا ثم تفصيله في الدعاء في قوله (اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي) توجه لله تعالى بصيغة ذات خصوصية في نداء الله وقوله (ألهمني) أي وفقني لما فيه الصلح، والتعبير بالإلهام فيه إرشاد في سر وخفاء وتوجيه بشرح الصدر، وإضافة الرشد إلى ضمير المتكلم فيه

---

(١) برقم (٣٤٨٣). وصحّحه ابن حبان (٨٩٩). وقال الحاكم (١/٥١٠): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ل هـ م).

(٣) النهاية ٣٥٩٢، القاموس المحيط في (ر ش د).

(٤) النهاية في (ع و ذ).

إشارة إلى أن الرشاد مركوز في الفطر بربوبية الله التي تستلزم طاعة، وإتباع منهجه، ولكن النفوس قد يعرض لها من الأهواء الفاسدة ما يصرفها عن هذه الفطرة النقية، وقوله (وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسي) أي أجرني، واحفظني من شرها، فإنها منبع الفساد، وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء:

هذا واضح من قول عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما.

وقد وردت أحاديث أخرى في قيام النبي ﷺ بتعليم صحابته الكرام رضوان الله عليهم الدعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ، يَقُولُ: قُولُوا: اللّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ((كان النبي ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّمُ الكِتابة: اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

ومنها تعليم النبي ﷺ صحابته دعاء الاستخارة قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن...)) الحديث[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم)[2].

أما الداعية في هذا العصر فإنه يعلم المدعوين الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ أو أرشد إلى الدعاء به، وذلك لأن الدعاء سلاح المؤمن يلجأ به إلى الله عز وجل مُظهرًا فقره وذله إليه سبحانه وراجيًا منه أن يُعينه ويوفقه ويسدّده ويلهمه طريق الخير والرشاد، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وإنما الأمر كله لله جل وعلا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس:

هذا واضح من الحديث "أن النبي ﷺ علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما: "اللهم ألهمني رُشْدي وأعذني من شرِّ نفسي"، والحديث في سنن الترمذي لفظه: ((قالَ النبيُّ لأَبي: يا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إلهًا؟ قالَ: أَبي: سَبْعَةً: سِتَّةً في الأَرْضِ، وَوَاحِدًا في السَّمَاءِ، قالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قالَ الَّذي في السَّمَاءِ، قالَ يا حصينُ أما إنك لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، قالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قالَ يا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فقالَ قُل اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))[3].

ولفظه عن عمران بن الحصين أو غيره: ((أن حُصينا -أو حَصينا- أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، لعبد المطلب كان خيرًا لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام، وأنت تنحرهم. فقال له النبيّ ﷺ ما شاء الله أن يقول، فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أَرْشد أمري! قال: فانطلق فأسلم الرجل ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٢.

(٢) فتح الباري ١١/١٨٧، ط السلفية.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤، رقم ١٩٩٩٢، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين ٣٣/١٩٧.

جاء، فقال: إني أتيتك فقلت لي: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، فما أقول الآن؟ قال: قل: اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت))[١].

قال الطيبي: (قوله "أما إنك لو أسلمت" هذا من باب إرخاء العنان والكلام المنصف، لأن من حق الظاهر بعد إقراره أن يقال له: أسلم ولا تعاند، وأما الإشارة إلى الاستعاذة من شر النفس فإيذان بأن اتخاذ تلك الآلهة ليست إلا هوى النفس الأمارة بالسوء، وأن المرشد إلى الطريق المستقيم، والدين القويم هو الله تعالى)[٢].

وقال المباركفوري: ("كلمتين": أي دعوتين "تنفعانك" أي في الدارين "اللهم ألهمني رشدي" أي وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح "وأعذني من شر نفسي" أي أجرني واحفظني من شرها فإنها منبع الفساد)[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٤].

وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لاَ. بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ. وَتَصْدِيقُ ذَٰلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾))[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤، رقم ١٩٩٩٢ وهو في السنن الكبرى للنسائي ١٠٧٦٤، ١٠٧٦٥. وانظر: تخريجه بتوسع في تخريج مسند أحمد ٢٣/١٩٧.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٧.

(٣) تحفة الأحوذي، ٢/٢٤٧٣.

(٤) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٥٠.

قال ابن القيم: (وفي هذا ما يبيّن أن الأمر كله له سبحانه فإنه هو خالق النفس وملهمها الفجور والتقوى، وهو مزكيها ومدسيها، فليس للعبد في الأمر شيء. ولا هو مالك من أمر نفسه شيئًا)[1].

وقال ابن القيم كذلك: (أصل الخير كله - بتوفيق الله ومشيئته - شرف النفس ونبلها وكبرها. وأصل الشر خستها ودناءتها وصغرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2] أي أفلح من كبّرها وكثّرها ونمّاها بطاعة الله وخاب من صغّرها وحقّرها بمعاصي الله. فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس البشرية العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة. لأنها أكبر من ذلك وأجل. والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك. فكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[3] أي على ما يشاكله ويناسبه فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعاداته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن المنعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر المنعم ومحبته والثناء عليه، والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له، وتعظيمه وإجلاله)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء:

قال المباركفوري: (وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة في

---

(١) بدائع التفسير ٥/٢٢٩.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٤.

(٤) الفوائد، ص ٢٥٤.

غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء)[١].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء كما أخبرت بذلك عائشة[٢].

ومن جوامع دعاء النبي ﷺ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((اللهم إني أعوذُ بك من الهم والحزَنِ، والعجْزِ والكسَلِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضَلَع الدينِ، وغَلَبةِ الرجال))[٣].

قال ابن حجر: (قال الكرماني: هذا الدعاء من جوامع الكلم، لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوة للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم والحزن يتعلق بالعقلية والجبن بالغضبية والبخل بالشهوانية والعجز والكسل بالبدنية. والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى. والأول عند نقصان عضو ونحوه. والضَلَع والغلبة بالخارجية فالأول مالي والثاني جاهي، والدعاء مشتمل على جميع ذلك)[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

(٤) فتح الباري ١١/١٧٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٤٩٠)

١٤٩٠- وعن أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئًا أسْألُهُ الله تَعَالَى، قَالَ: ((سَلوا الله العَافِيَةَ)) فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أسْألُهُ الله تَعَالَى، قَالَ لي: ((**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا الله العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

العباس بن عبد المطلب: هو العباس بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة، من ولد عدنان، من نسل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجَدُّ الخلفاء العباسيين، وُلِدَ قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث سنين، ضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فوجدته فكست البيت الحرير، فهو ابن أول من كست البيت الحرير، وكان أسنَّ من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، كان يكني بأبي الفضل أكبر أولاده، له صحبة ورواية، فله في كتب الحديث (٣٥) حديثًا.

وكان العباس رضي الله عنه في الجاهلية رئيسًا في قريش وإليه كانت السقاية، وعمارة المسجد الحرام، بمعنى أنه كان لا يدع أحدًا يسُبُّ في المسجد الحرام، ولا يقول هُجرًا، لا يستطيعون لذلك امتناعًا، لأن قريشًا كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانًا، كما كان جوادًا، مُطعمًا، وصولاً للرحِم، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطى في النوائب، قال الزبير بن بكّار: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم ومِقْطرة لجاهلهم، كما كان مولعًا بإعتاق العبيد، كارهًا للرق، اشترى ٧٠ عبدًا وأعتقهم، وكان ممن يكتم إيمانه وهو بمكة فَرَقا من أن يَثِبَ عليهم أبو لهب وقريش كما أوثقت بنو مخزوم سلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة وغيرهما، خرج في

---

(١) برقم (٣٥١٤). وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٦) من رواية ابن أبي الدنيا، والحاكم مختصرًا. وقال الحاكم (٥٢٩/١): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري، وقد روي بلفظ آخر.

بدر مع المشركين كرها، ووقع في الأسر وفدى نفسه، ثم لما رجع إلى مكة أسلم كل من شهد بدرًا من المشركين من بني هاشم ثم أقبلوا إلى المدينة مهاجرين.

أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وكان قد قدم هو ونوفل بن الحارث إلى المدينة مهاجريْن، فآخى رسول الله ﷺ بينهما، شهد العباس حنينا والطائف وتبوك وكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أردفه النبي ﷺ في حجته، وكان رسول الله ﷺ يثق به في الأمر كله، وكان العباس أكثر الناس نصرة لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، حضر مع النبي ﷺ يشترط له على الأنصار، ويؤكد له البيعة عليهم، وفي غزوة حنين ثبت مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وكان رجلاً جهوري الصوت فعن العباس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حنينًا فلقد رأيت النبي ﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه وهو على بغلة شهباء أو بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين... وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ ... فقال رسول الله ﷺ: يا عباس ناد: يا أصحاب السَّمُرة...[1] [2].

وقوّى الإسلام من خصال الخير ومكارم الأخلاق فيه، فازداد كرمًا وحسنًا في الرأي وكان ذا دعوة مستجابة، أثنى رسول الله ﷺ عليه فقال: ((هذا العباس بن عبدالمطلب أجود قريش وأوصلها))[3].

وكان إذا قحط أهل المدينة استُسقِي بالعباس فعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحِطُوا استَسْقَى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتَسْقِينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسْقَون[4].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٦/٣) حديث رقم ١٧٧٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية، النهاية في (س م ر).

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٧/١، رقم (١٦١٠) وقال محققو المسند إسناده حسن ١٦١/٢.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٧١٠).

في عهد عمر لما أراد أن يوسع مسجد النبي ﷺ، وكانت دار العباس ملاصقة للمسجد، تصدق بها ليوسع المسجد، وخط له عمر ولأهله دارًا غيرها وبناها من بيت مال المسلمين، عَمِيَ في آخر زمانه فصبر، وكانت وفاته بالمدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب أو رمضان سنة ٣٢ قبل مقتل عثمان بسنتين، وقيل سنة (٣٣) شهد عثمان غسله وصلى عليه، ودفن بالبقيع، وهو ابن (٨٨) وقيل (٨٩) سنة، أدرك في الإسلام ٣٢ سنة، وفي الجاهلية (٥٦) سنة[١].

غريب الألفاظ:

أسأله: أطلبه [٢].

العافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي الصحة التامة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو عبارة عن جملة قصيرة شديدة الإيجاز عميقة الدلالة استوعبت خير الدنيا، والآخرة وقد وردت في حوار بين الفضل العباس بن عبد المطلب، وبين رسول ﷺ في طلب استرشاد وتعليم من أبي الفضل العباس، وتنكير لفظ (شيئا) للتعظيم لأنه يريد شيئا يسيرا قوليا يسأل الله به ليس فيه كلفة مع عظم الأجر فقال (سلوا الله العافية) ومن الملاحظ أن السائل مفرد والأمر متصل بواو الجماعة المؤذنة بخطاب الجمع دلالة على أهمية الخبر، وأنه لعظمه لم يختص بشخص دون غيره، وسؤال الله له خصوصيات منها أنه عز وسؤال غيره ذل، ومنها: أنه محقق لأنه قادر يحب أن يُسئل وغيره يكره أن يسئل، ومنها أنه محض العبادة وخالصها، وسؤال العافية يتضمن السلامة، وعدم تقييدها بشيء يجعلها عافية عامة تستلزم السلامة من كل شر دنيوي، وأخروي، وتتميز هذه العبارة بإيجازها وعمق معناها،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٥-٣٤)، الاستيعاب (٥٥٦-٥٥٨)، أسد الغابة (٣/١٦٣-١٦٦)، الإصابة (٦٨٠، ٦٨١)، سير أعلام النبلاء (٢/٧٨-١٠٣)، تهذيب الكمال (٤/٧٠-٧٢)، تهذيب التهذيب (٢/٢٩١)، الأعلام (٣/٢٦٢)، موسوعة عظماء حول الرسول (٢/١١٤٣-١١٥٣).

(٢) النهاية في (س أ ل)، تحفة الأحوذي ٢٤٨٨/٢.

(٣) النهاية والوسيط في (ع ف و).

وسهولة حفظها، وتناقلها، وشمولها لكل خير لأنها تتضمن نفي كل شر، وكل شر تنفيه، تثبت ضده ضمنا، وتكرار السؤال من الفضل يشير إلى أنه أراد ما هو أكثر من هذه الدعوة الموجزة ((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ) وتكرار النداء فيه تنبيه، وتكريم بنسبته إلى رسول الله، وتكرار الدعاء تقرير فوق تقرير لعظمة محتواه، وإشارة إلى أنه كافٍ له مناسب لحاله، وحال كل داع لا يسعه الوقت أو لا يسعه الجهد أو العقل لوجازته، وشموله لأطراف الخير.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يدعون به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

هذا واضح من إعادة العباس سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين أن يعلمه شيئًا يدعو به الله، وفي المرّة الثانية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس يا عم رسول الله. قال الذهبي عنه: (عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل مشفقًا على النبي صلى الله عليه وسلم محبًا له صابرًا على الأذى ولما يسلم بعد، بحيث إنه ليلة العقبة عرف، وقام مع ابن أخيه في الليل وتوثق له من السبعين [من الأنصار] ثم خرج إلى بدر مع قومه مكرهًا فأسر فأبدى لهم أنه كان أسلم ثم رجع إلى مكة، فما أدري لماذا أقام بها، ثم لا ذكر له يوم أحد، ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا فيما علمت. ثم جاء إلي النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا قبيل فتح مكة... كان من أطول الرجال وأحسنهم صورة وأبهاهم وأجهرهم صوتًا مع الحلم الوافر والسؤدد... وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب... وثبت أن العباس كان يوم حنين وقت الهزيمة آخذا بلجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه حتى نزل النصر[1]).

وثبت من حديث أنس: أن عمر استسقى فقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٥.

نبيك توسلنا به، وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس[١].

ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يجلّ أحدًا ما يجلّ العباس أو يكرم العباس. إسناده صالح.

وورد أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس فقلعه، فقال له أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر: لتصعدن على ظهري ولتضعنه موضعه[٢]. وقد عاش ثمانيًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وثلاثين، فصلّى عليه عثمان ودفن بالبقيع)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي ﷺ ما يدعون به:

هذا واضح من قول العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ: "يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله تعالى"، فهذا يدل على أن الصحابة كانوا حريصين على أن يتعلموا الدعاء من النبي ﷺ، حتى يتبعوه ويلتزموه. وذلك اقتداء بالنبي فيما فعله واتباعًا لما أرشد إليه. يقول بكر بن عبدالله أبو زيد عن قواعد التعبد بالذكر والدعاء: (القاعدة الثانية: قاعدة التأسي والاقتداء في الدعاء: فالدعاء الواجب أو المستحب هو الدعاء المشروع إذ الاستحباب حكم لا يتلقى إلا من الشارع فما لم يشرعه لا يكون مستحبًا، بل يكون شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فإن الدعاء من أعظم الدين[٤].

وإذا علمت ذلك وعلمت شروط الدعاء وآدابه وتلمس أوقاته، فاعلم أن ملاك ذلك هو: "١- الإخلاص ٢- والمتابعة" متأسيًا بالنبي ﷺ في الدعاء مطلقًا بالوارد أو من جنس الوارد، مما لا يأباه الشرع. لكن ما ورد بنص الشرع خيرٌ من اختيار العبد. وكذلك في دائرة قاعدة التعبد العظيمة. وهي "أن الأصل في الدعاء التحريم إلا ما دلّ

---

(١) أخرجه البخاري ١٠١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٠/١، رقم ١٧٩٠، وقال محققو المسند: حسن ٣٠٨/٣، ٣٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٨/٢-١٠٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٦٣٢/١١، ط العبيكان، ٤٧٥/٢٢ ط ابن قاسم.

الدليل على جوازه"[١] وهي التي صاغها الأئمة بقولهم "وقف العبادة على النص ومورده في جهات التعبد الست" وهي: السبب والجنس والمقدار والكيفية والزمان والمكان. فإن اختلت واحدة من هذه الجهات كان في الدعاء غلط أو اعتداء والله سبحانه يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٢])[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة:

هذا واضح من أمره ﷺ العباس مرتين بأن يسأل الله العافية، وقد روي حديثٌ في هذا المعنى. وقد يستأنس به في هذا المقام، فعن أنس بن مالك: ((أَنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النبيِّ فقالَ يَا رَسُولَ الله أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ قالَ: سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمِ الثَّانِي فقَالَ يا رَسُولَ الله أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمَ الثَّالِثِ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: فإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا وأُعْطِيتَهَا في الآخِرَةِ فَقَدْ أفْلَحْتَ))[٤].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فإنه ما أوتي عبدٌ بعد يقين خيرًا من معافاة))[٥]. (فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهو من أجمع الدعاء)[٦].

وقال ابن الأثير: (العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض والمعافاة هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك أي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك. ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم. وقيل: هي مفاعلة من العفو، وهي أن يعفو عن الناس

---

(١) الفروق للقرافي ٤/٤٠٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٣) تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٤١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥١٢، وابن ماجه ٣٨٤٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٨).

(٥) أخرجه أحمد ١/٣، رقم ٥، واللفظ له. وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١/١٨٤، والنسائي في السنن الكبرى ٩/١٠٦٥١.

(٦) الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي. وحاشية ابن قاسم عليه ٣/٤٧١. وانظر: توضيح الأحكام للشيخ البسام ٣/٢٤٠.

ويعفو هم عنه)[١].

وقال الفيروزآبادي: (العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله تعالى من المكروه عفاءً ومعافاة وعافية: وهب له العافية من العلل والبلاء. والمعافاة: أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك)[٢].

وقال المباركفوري: (في الحديث التصريح بأن الدعاء بالعافية أفضل الدعاء، ولا سيما بعد تكريره للسائل في ثلاثة أيام، حين أتاه للسؤال عن أفضل الدعاء، فأفاد هذا أن الدعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية، ثم في قوله "فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت" دليل ظاهر واضح بأن الدعاء بالعافية يشمل أمور الدنيا والآخرة، لأنه قال هذه المقالة بعد أن قال له "سل ربك العافية" ثلاث مرات. فكان ذلك كالبيان لعموم بركة هذه الدعوة بالعافية لمصالح الدنيا والآخرة. ثم رتب على ذلك الفلاح الذي هو المقصد الأسنى والمطلوب الأكبر... وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام. وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد. فالداعي قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينوبه. وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية، تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم -سبحانه وتعالى- ويستدفعون به في كل ما يهمهم. ثم كلمه ﷺ بقوله: "سل الله العافية في الدنيا والآخرة" فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا، قال الجزري في عدة الحصن الحصين: (لقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنى من خمسين طريقًا)[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ص ٦٢٧.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٣١٣.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٨٨-٢٤٨٩.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنيايَ وأهْلي ومالي. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي))(١).

قال الصنعاني: (العافية في الدين السلامة من المعاصي والابتداع، وترك ما يجب والتساهل في الطاعات. وفي الدنيا السلامة من شرورها ومصائبها. وفي الأهل السلامة من سوء العشرة والأمراض والأسقام وشغلهم بطلب التوسع في الحطام. وفي المال السلامة من الآفات التي تحدث فيه)(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٨٧١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢١).

(٢) سبل السلام، ص ١٠٠١، ط بيت الأفكار الدولية.

الحديث رقم (١٤٩١)

١٤٩١- وعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رضي الله عنها، يَا أمَّ المؤمِنينَ، مَا كَانَ أكثرُ دعاءِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، إذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ: ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

مقلب القلوب: مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة وتارة إلى الغفلة[2].

الشرح الأدبي

قول أمِّ المؤمِنينَ رضي الله عنها (كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ) يدل على أهمية هذا الدعاء، وقيمته يدل على ذلك استخدام أفعل التفضيل (أكثر) وقبلها كان الدالة على التحقق، والتكرار، وقوله (مقلب القلوب) جناس يؤكد المعنى، ويقرر أن الله هو المالك لحركة القلب، وبين قوله مقلب، وثبت طباق يشير إلى ان محرك هذه القلوب هو وحده القادر على تثبيتها وتسميته بالقلب يوحي بكثرة التقلب، وعدم الاستقرار الأمر الذي يستلزم وجود مثبت، وقال الأصمعي وفي البطن: الفؤاد، وهو: القلب سمي به لتقلبه في الأمور، وقيل، لأنه خالص ما في البدن إذ خالص كل شيء قلبه، وأصله مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته علي بدايته وقلبت الإناء رددته على وجهه وقلبت الرجل عن رأيه وعن طريقه إذا صرفته عنه ثم نقل وسمي به هذا العضو الشريف لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

---

(١) برقم (٣٥٢٢). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٣/٣): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) النهاية في (ق ل ب)، تحفة الأحوذي ١٧٤٦/٢.

ما سمي القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال القرطبي ثم إن العرب لما نقلته لهذا العضو التزمت فيه التفخيم في قافه للفرق بينه وبين أصله وقد قال بعضهم ليحذر اللبيب من سرعة انقلاب قلبه إذ ليس بين القلب والقلب إلا التفخيم وما يعقلها إلا كل ذي فهم مستقيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء:

هذا واضح من سؤال شهر بن حوشب أم سلمة رضي الله عنها، وشهر هذا من التابعين توفي ١١٢هـ[1]، والتابعون قد صحبوا الصحابة الذين صحبوا النبي ﷺ وعرفوا أحواله وأموره، فحرص التابعون على ملازمة الصحابة رضوان الله عليهم ليعلموا هذه الأحوال وتلك الأمور ليقتدوا به ﷺ وينقلوها إلى من بعدهم، وكان هذا الطريق هو الذي ضمن لنا وصول سنة النبي ﷺ وسيرته إلينا، فكان كل جيل حريصًا على تعلم سيرته ﷺ وسنته، وفي الوقت نفسه كان حريصًا على تعليمها لمن بعدهم. وكان هذا منهجًا فريدًا تميز به المسلمون عن غيرهم من الأمم السابقة فحفظت -وما تزال- الأجيال المتعاقبة سنته ﷺ وسيرته، لأن ذلك من الذكر الذي تعهد الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

ومن قبيل حرص التابعين على معرفة أحوال النبي ﷺ في الدعاء ما رواه مسلم بإسناده عن عبدالعزيز بن صهيب قال سأل قتادة لوهو ابن دعامة السدوسي من أعلام

---

(١) كما في تقريب التهذيب ١/٣٥٥.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

التابعين[1] سأل قتادة أنسًا [أي ابن مالك]: ((أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»))[2].

وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: (خير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم:

هذا واضح من قول أم سلمة عن النبي ﷺ: ((كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ما أَكْثَرِ دُعَاكَ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ أَشَاءَ أَزَاغَ))[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رَسولُ الله يُكْثِرُ أنْ يقولَ: يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعْم، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ))[5].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ. كَقَلْبٍ وَاحِدٍ. يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ))[6].

قال المباركفوري: ("يا مقلب القلوب" أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية وتارة إلى الغفلة "ثبت قلبي على دينك" أي اجعله ثابتًا على دينك غير مائل عن الدين

---

(١) انظر: تقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٠، والبخاري ٦٣٨٩ بنحوه.

(٣) معرفة علوم الحديث، ص ٢١٣

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وابن ماجه ٣٨٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٩٢).

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٥٤.

القويم والصراط المستقيم، فقلت: "يا نبي الله آمنا بك" أي بنبوتك ورسالتك "فهل تخاف علينا" يعني أن قولك هذا ليس لنفسك، لأنك في عصمة من الخطأ والزلة، خصوصًا من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة، فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان أو الانتقال من الكمال إلى النقصان؟ "قال نعم" يعني أخاف عليكم "يقلبها" أي القلوب "كيف يشاء" مفعول مطلق. أي تقليبًا يريده، أو حال، من الضمير المنصوب أي يقلبها على أي صفة شاء)[1].

وقد قال الله تعالى عن دعاء أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[2] قال ابن كثير: (ثم قال تعالى عنهم مخبرًا أنهم دعوا ربهم قائلين: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" أي: لا تُملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم "وهب لنا من لدنك" أي من عندك "رحمة" تثبت بها قلوبنا وتجمع شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا "إنك أنت الوهاب")[3].

وقال الطاهر بن عاشور عن الآية: (هذا دعاء علّمه النبي ﷺ، تعليمًا للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبرة، ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ، فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا من حرمانهم التوفيق، واللطف، ووسائل الاهتداء.

وقد علم من تعقيب قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[4] الآيات بقوله "ربنا لا تزغ قلوبنا" أن من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكمًا ومنه متشابهًا، إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها: تحذيرًا لها من الوقوع في الضلال،

---

(١) تحفة الأحوذي ١٧٤٦/٢.

(٢) سورة آل عمران، ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٣/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٧.

الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيرًا للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان، بعد وفاة الرسول ﷺ، لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم، ولذلك كان أبوبكر يدعو بهذه الآية في صلاته مدة ارتداد من ارتد من العرب، ففي الموطأ، عن الصنابجي: أنه قال: قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فصليت وراءه المغرب فقام في الثالثة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية: "ربنا لا تزغ قلوبنا" الآية[1].

فزيغ القلب يتسبب عن عوارض تعرض للعقل: من خلل في ذاته، أو دواع من الخلطة أو الشهوة، أو ضعف الإرادة، تحول بالنفس عن الفضائل المتحلية بها إلى رذائل كانت تهجس بالنفس فتذودها النفس عنها بما استقر في النفس من تعاليم الخير المسماة بالهدى، ولا يدري المؤمن، ولا العاقل، ولا الحكيم، ولا المهذب: أية ساعة تحل فيها به أسباب الشقاء، وكذلك لا يدري الشقي، ولا المنهمك، الأفن[2]: أية ساعة تحف فيها به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به من تغير خَلْق، أو خُلُق، أو تبدل خليط، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾[3] ولذا كان دأب القرآن قرن الثناء بالتحذير، والبشارة بالإنذار.

وقوله "بعد إذ هديتنا" تحقيق للدعوة على سبيل التلطف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كرمًا منه، ولا يرجع الكريم في عطيته، وقد استعاذ النبي ﷺ من السلب بعد العطاء[4].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١٧١، موسوعة شروح الموطأ ٤/٢١٩.

(٢) أفن: نقص عقله. الوسيط ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ١٣٤٣، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

وهناك رواية بلفظ: "الحور بعد الكور". ومعناهما: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، مج٥/ج٩/١١٨، ط دار عالم الكتب.

وقوله "وهب لنا من لدنك رحمة" طلبوا أثر الدوام على الهدى وهو الرحمة، في الدنيا والآخرة، ومنع دواعي الزيغ والشر. وجعلت الرحمة من عند الله لأن تيسير أسبابها، وتكوين مهيئاتها، بتقدير الله؛ إذ لو شاء الله لكان الإنسان معرضًا لنزول المصائب والشرور في كل لمحة؛ فإنه محفوف بموجودات كثيرة، حية وغير حية، هو في اتقائها في غاية الضعف، لولا لطف الله به إيقاظ عقله لاتقاء الحوادث، وبإرشاده لاجتناب أفعال الشرور المهلكة، وبإلهامه إلى ما فيه نفعه، وبجعل تلك القوى الغالبة له قوى عمياء لا تهتدي سبيلاً إلى قصده، ولا تصادفه إلا على سبيل الندور ولهذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1] ومن أجلى مظاهر اللطف أحوال الاضطرار والالتجاء وقد كنت قلت كلمة "اللطف عند الاضطرار").

(١) سورة الشورى، آية: ١٩.

الحديث رقم (١٤٩٢)

١٤٩٢- وعن أبي الدرداءِ ﷺ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ ﷺ: اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الّذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وأهْلِي، وَمِنَ الماءِ البارِدِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر دعاءً لنبي الله داود ﷺ كان يدعوا به يدور حول معنى يفيض بالمشاعر الخاصة بين العبد الصالح، وربه وهي مشاعر المحبة، والمودة الداعية إلى التزام ما يحبه، وتجنب ما يبغضه وإذا تأملنا ألفاظ الحديث أدركنا هذا المعنى حيث تكررت مادة المحبة ست مرات في صورة المصدر الدال على التحقق المتجرد من الزمن المقرر للثبوت، والمضارع الدال على التجدد، وأفعل التفضيل المؤذنة بالتفاضل، والمقررة للأفضلية (حبك - يحبك - أحب) فهو مستغرق في دروب المحبة الموصلة إلى الزلفى مع تتبع كل ما يتصل بها، ويعين عليها، وهذا الدعاء يجمع كل خير، فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه، فأحب ما يحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها، ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك المنكرات كلها، وأحب من يحبه الله من خلقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

---

(١) برقم (٣٤٩٠). قال الحاكم (٢/٤٣٢): صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته، ومحبة من يحبه، والتوفيق إلى العمل الذي يبلّغ إلى حبه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

هذا واضحٌ من إخبار النبي ﷺ عن دعاء داود عليه السلام، وفي آخر الحديث: ((وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ))[1].

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنه كان أعبد الناس))[2].

قال الطيبي: (يحتمل أن يراد به في عصره وزمانه، وأن يراد أنه كان أشكر الناس قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾[3] أي بالغ في شكري وابذل وسعك فيه)[4].

قال ابن كثير: (صار الملك إلى داود عليه السلام، وجمع له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا... وقد ثبت في الحديث الصحيح: ((إنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبيَّ الله داودَ كانَ يَأْكُلُ من كَسْبِ يَدِهِ))[5].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[6] قال ابن عباس ومجاهد: الأيْد: القوة في الطاعة. يعني: كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح. قال قتادة: أعطي قوة في العبادة وفقهًا في الإسلام... وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وأحب الصيام

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢-١١٥٩.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢١٠-٢١١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٢ بلفظ ((ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده).

(٦) سورة ص، آية: ١٧-٢٠.

إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى))[١]. وقوله "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة كل له أوّاب، كما قال: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٢] أي: سبحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدًا، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه، يقف الطير في الهواء يرجّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيًا صلوات الله وسلامه عليه. وقد كان مع هذا الصوت الرخيم، سريع القراءة لكتابه الزبور، كما أخرج أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((خُفِّفتْ على دَاودَ عليه السلام القراءَةُ، وَكانَ يأمُرُ بدابَّتِهِ فَتُسْرَجُ وَكَانَ يَقْرأ القرآن قَبْلَ أن تُسْرَجَ دابَّتُهُ. وَكَانَ لا يأكُلُ إلا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ))[٣].

وأخرجه البخاري بلفظ: ((خُففَ على داودَ عليه السلام القرآنُ، فكان يأمرُ بدوابِّهِ فُتسرَجُ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أن تُسرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلا مِن عملِ يدِهِ))[٤].

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه، وذكر دوابه أشبه أن يكون محفوظًا فإنه كان ملكًا له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب. وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٥] والزبور كتاب مشهور قوله تعالى:

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١، ٣٤١٩، ٣٤٢٠، ومسلم ١١٥٩.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣١٤/٢، رقم ٨١٦٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٩٧/١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤١٧.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٣.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[1] هـذا خطاب من الله تعالى مع داود، والمراد: ولاة الأمور وحكام الناس، وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الزمان، في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات، حتى إنه كان لا تمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهارًا، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[2])[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته ومحبة من يحبه والتوفيق إلى العمل الذي يبلغ إلى حبه:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "كان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد".

وعن عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قوة لِي فِيمَا تُحِبُّ))[4].

قال المباركفوري: (إنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه)[5].

ويقول ابن القيم عن أهمية منزلة المحبة للعبد: (لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) البداية والنهاية، ٢/٣٠٠-٣١٤ بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩١ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٢).

(٥) تحفة الأحوذي ٢/٣٤٧٦.

مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص. بل هي نفس الإسلام. فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هي حقيقةُ شهادةِ أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يألهه العبادُ حبًا وذلاً وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تأله القلوب أي تحبه وتذل له. وأصل التأله التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب. يقال: عبّده الحب وتيّمْه إذا ملكه وذلّله لمحبوبه. فالمحبة حقيقة العبودية، وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؟ فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه. وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين، فإنهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته.

وكذلك الحياء في الحقيقة إنما هو حياء المحبين، فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم، وأما ما لا يكون عن محبة فذلك خوف محض، وكذلك مقام الفقر فإنه في الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها وهو أعلى أنواع الفقر، فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه. لاسيما إذا وحده في الحب، ولم يجد منه عوضًا سواه، هذه حقيقة الفقر عند العارفين. وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه، فإنه لبُّ المحبة وسرّها)[1].

(١) مدارج السالكين ٣/٤٦٢ -٤٦٤.

الحديث رقم (١٤٩٣)

١٤٩٣- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((أَلِظُّوا بـ (يَاذا الجَلاَلِ والإكْرامِ))). رواه الترمذي[1]. ورواه النسائيُّ[2] من رواية ربيعة بن عامرٍ الصحابي، قَالَ الحاكم[3]: (حديث صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أَلِظّوا: الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها[4].

الشرح الأدبي

الحديث حمل عبارة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى لذلك دعا الرسول ﷺ إلى التزامها، وهي قوله: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) أمر بمعنى الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها فالمراد دوموا على قولكم ذلك في دعائكم واجعلوه على لسانكم دائما لئلا تركنوا أو تطمئنوا لغيره قال الزمخشري: ألظ وألب وألج أخوات في معنى اللزوم والدوام وتشعر في تكوين حروف الكلمة شيئا من معناها فهي في أثناء النطق تثقل على اللسان وتجسم، فالكسر في اللام، والتشديد في الظاء التي تشعر بالثقل في تحريكها للسان خروجا ناحية الشفتين مع استدارتهما وكأنها تأبى أن تفارق وهو ما يتصل بمدلولها من عدم مفارقة هذا الذكر الشريف، ومعنى (ذا الجلال) استحقاقه وصف

---

(١) برقم (٣٥٢٥). قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ وليس بمحفوظ، وإنما يُروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ، وهذا أصحُّ. ومؤمل غلط فيه، فقال: عن حماد، عن حميد، عن أنس، ولا يتابع عليه.

(٢) في الكبرى (٧٦٦٩، و١١٤٩٩).

(٣) المستدرك (١/٤٩٨).

(٤) النهاية في (ل ظ ظ)، ورياض الصالحين، النووي ٥٠٩.

العظمة ونعت الرفعة عزا وتكبرا عن نعت الموجودات فجلاله صفة استحقها لذاته، والإكرام أخص من الإنعام إذ الإنعام قد يكون على غير المكرم كالعاصي، والإكرام لمن يحبه ويعزه ومنه سمي ما أكرم الله به أولياءه مما يخرج عن العادة كرامات فندب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإكثار من قولك (يا ذا الجلال) في الدعاء ليستشعر القلب من دوام ذكر اللسان، ويقر في السر تعظيم الله، وهيبته، ويمتلىء الصدر بمراقبة جلاله فيكرمه في الدنيا، والآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام" قال ابن الأثير: (أي ألزموه وأثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم)[1].

وقال ابن القيم: (يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها)[2] وقال ابن كثير: (هو المداومة واللزوم والإلحاح)[3]. وقال ابن عباس: (﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[4]: ذو الكبرياء والعظمة)[5].

وقد أثنى رسول الله ﷺ على من ضمن دعاءه الثناء على الله بـ"ياذا الجلال الإكرام". فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٨٣٦.

(٢) الداء والدواء ص ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/٥١١.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/٤٩٤، والدر المنثور ١٤/١١٨.

الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))[١].

كما كان النبي ﷺ يثني على ربه بهذا الثناء بعد أن ينصرف من صلاته، فعن ثوبان قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا انْصَرَفَ من صلاته، اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ))[٢].

قال النووي: (المراد بالانصراف: السلام)[٣]. وقال الصنعاني: (والمراد بقوله: "يا ذا الجلال والإكرام" يا ذا الغنى المطلق والفضل التام، وقيل الذي عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين وهو من عظائم صفاته تعالى)[٤].

عن معاذ بن جبل قال: ((سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، قال: قد استجيب لك فسل))[٥].

ويبين ابن القيم أن الثناء على الله دعاء له، يقول: (إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً، لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: ((أفضل الدعاء الحمد لله))[٦]، فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه فهو أحق أن يسمى داعيًا

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٩٥، والنسائي ١٣٠٠، وابن ماجه ٣٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١١٢).

(٢) أخرجه مسلم ٥٩١.

(٣) شرح مسلم مج ٣/ج٥/٩٢، ط دار عالم الكتب.

(٤) سبل السلام ٢٢٥، ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٦) شرح ديوان المتنبي ١: ١٩٨/١، والأغاني ٢٤٤/٨ قافية الهمزة.

من السائل الطالب من ربه حاجة ما، فتأمل هذا الموضع ولا تحتاج إلى ما قيل إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض كما قال أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أمْ قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضه الثناء[1]

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه)[2].

ثانيا - من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى:

وهذا واضح من أمر النبي ﷺ: "ألظُّوا بياذا الجلال والإكرام"، وقد قال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[3] قال ابن كثير: (وهو أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى)[4].

وقال الطاهر بن عاشور: (والمعنى: وصفه تعالى بكمال البركة، والبركة: الخير العظيم والنفع، وقد تطلق على علو الشأن. والجلال العظمة وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى، والإكرام إسداء النعمة والخير، فهو إذن حقيق بالثناء والشكر)[5].

وقال ابن القيم: (وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم والإكرام هو الحب، وهو سر قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، وقال ﷺ: ((أَلِظُّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ))[6] أي الزموها والْهَجُوا بها)[7].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم ٧٥١هـ، دار الفكر وهي طبعة مصورة، ٢/٩-١٠.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٥١٠.

(٥) التحرير والتنوير ٢٧/٢٧٦-٢٧٨.

(٦) أخرجه أحمد ٤/١٧٧، رقم ١٧٥٩٦ من حديث ربيعة بن عامر، قال محققوه: إسناده صحيح ٢٨/١٣٨.

(٧) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم الجوزية، ص ٢٩٦-٢٩٧.

وقد كان النبي ﷺ يرشد الصحابة رضوان الله عليهم إلى الثناء على الله في دعائهم، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ((بَيْنَا رَسُولُ الله قاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فقالَ اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي فقالَ رسولُ الله عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فاحْمَدِ الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ الله وصَلَّى عَلَى النبيِّ فقَالَ لَهُ النّبيُّ: أيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ))(١).

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله. وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله. فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء. وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية. وأنت ترى في المُشَاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته. فإذا قال له: جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء: أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٢) وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٥).

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: ((قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم))[1] فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر، بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا. فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٦٩.

الحديث رقم (١٤٩٤)

١٤٩٤- وعن أَبي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ، بدُعاءٍ كَثِيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا؛ قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: **((ألا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسَألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ؛ وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ))**. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

البلاغ: ما يُتَبَلَغ ويُتَوَصّل به إلى الشيء المطلوب، وبمعنى الكفاية ومعنى عليك البلاغ: لا بلاغ اليوم إلا بك تبلغني إلى المطلوب من خير الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ؟) استفهام للعرض والتشويق، والتنبيه لعظمة ما سيلقي على مسامعهم فأراد أن يهيئهم لتلقي المعنى، والتعبير بلفظ الجمع يزيد الشوق لهذا الجامع، لأنهم حريصون على تحصيل أجر الدعوات التي لم يستطيعوا حفظها، والتي عبروا عن كثرتها في صورة الجناس المؤكد للمعنى في قولهم (دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ) كما عبروا عن فواته، وحزنهم على فواته بقولهم (لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً) كما أن لفظ الشمول (كل) المضاف إلى الضمير العائد على ما فاتهم يجعلهم أكثر حرصا عليه رغبة في تداركه، وقوله (اللَّهُمَّ إنِّي أسَألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ) شمول لكل ما دعا به الخبير، وعجزوا عن الدعاء به ثم

---

(١) برقم (٣٥٢١). إسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جدًا.

(٢) النهاية في (ب ل غ)، تحفة الأحوذي ٢٤٩١/٢، دليل الفالحين ١٥٤٤.

إن لدعائه خصوصية في تحقق الاستجابة التي تحقق كل خير، ثم قابلها بضدها بما يحقق الاستعاذة من عموم الشرور التي يعلمها بالوحي، وبغيره، والتي لا سبيل لهم إلى معرفتها للحذر منها في قوله: (وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ - ﷺ)، ثم قرر تفويض الأمر لله تعالى المحقق للإعانة، والموصل للخير والمجير من الشرور، في قوله (وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ) وقد سبق أن قوله (وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ) كنز من كنوز الجنة، فهو دعاء جامع مانع، جامع لكل خير مانع من كل شر مع إيجازه، ويسره، والسعيد من اغتنم العمل بهذه الأدعية فهي كنوز لا كلفة في تحصيلها.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه.

ثانيًا: من آداب الداعية: التيسير على المدعوين.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه:

هذا واضح من قول أبي أمامة رضي الله عنه: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. قلنا: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. فقد سأل أبو أمامة النبي ﷺ عما فاته من الدعاء بسبب عدم حفظه، وذلك ليستدرك هذا الخير، ولا يجعله يفوت من بين يديه. وهكذا حال المدعو دائمًا يستدرك ما فاته من الخير بأي سبب من الأسباب، وذلك عن طريق سؤال الداعية، ليدله على طريق تحصيل ما فاته.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبوذر رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بالله وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلاَهَا ثَمَنا» قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[1] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ

(١) الأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله، رياض الصالحين ٩٨.

النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[١].

فهذا أبو ذر ﷺ يسأل النبي ﷺ عن طريق تحصيل الخير إن عرض له ما يمنعه من إتيان الأفضل من الأعمال بسبب العجز والانشغال ونحوه. بدليل قوله "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟" فهو يشعر - كما يقول ابن حجر - بأن قوله للعجز عن ذلك لا كسلاً مثلاً. قوله "تدع الناس من الشر" فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول قاله القرطبي ملخصًا[٢]. وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال وصبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به)[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لأبي أمامة ﷺ لما قال له: يا رسول الله دعوت بدعاء لم نحفظ منه شيئًا فقال ﷺ: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك..." الحديث.

فقد دله ﷺ على ما يجمع الدعوات السابقة التي لم يحفظها، ولاشك أن هذا تيسير على المدعو، فمن المحتمل أن يعيد النبي ﷺ هذه الدعوات حتى يحفظها الصحابة، لكن هذا قد يشق عليهم، وخاصة أنها دعوات كثيرة، فيسّر النبي ﷺ هذا الأمر بأن دلهم على جماع هذه الدعوات كلها، وهو كلام يسير يسهل حفظه عليهم، وهكذا شأن الداعية مع المدعوين أن ييسر عليهم إن كان هناك سبب مشروع للتيسير.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: ((يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا، أنساه؟ قال: ابسط رداءك. فبسطه. قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته؛ فما نسيت شيئًا بعده))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٢) المفهم ١/٢٧٨.

(٣) فتح الباري ٥/١٤٩، ط السلفية.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩، ومسلم ٢٤٩٢.

قال ابن حجر: (في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه [أي النسيان] ثم تخلف عنه ببركة النبي ﷺ)[1].

ثالثًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء:

لقد قال النبي ﷺ: "ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله" قال المباركفوري: (قال الشوكاني: ولا شيء أجمع ولا أنفع من هذا الدعاء، فإن رسول الله ﷺ قد صح عنه من الأدعية الكثير الطيب، وصح عنه التعوذ مما ينبغي التعوذ منه الكثير الطيب، حتى لم يبق خير في الدنيا والآخرة إلا قد سأله من ربه. ولم يبق شر في الدنيا والآخرة إلا وقد استعاذ ربه منه. فمن سأل الله عز وجل من خير ما سأله منه نبيه ﷺ واستعاذ من شر ما استعاذ منه نبيه ﷺ، فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأل الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشر على اختلاف أنواعه، وحظي بالعمل بإرشاده ﷺ إلى هذا القول الجامع والدعاء النافع)[2].

قال الخطابي: (وليتخير لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد لسيّد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير)[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ عَلَّمَهَا هذَا الدُّعَاءَ: ((اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ بك به عبدك ونبيك. اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل،

---

(١) فتح الباري ١/٢٦٠، ط الريان.

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٩١.

(٣) شأن الدعاء ص ١٥، نقلًا عن الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٤٦.

وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيته لي خيرًا))[1].

قال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

١ - النبي ﷺ علم عائشة رضي الله عنها هذا الدعاء الجامع[2]، فكان ينبغي للمسلم أن يعلمه أهله وأولاده وأهل بيته، ومن يتصل به، يعلمهم الخير بما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم.

٢ - ففي الحديث سؤال الله تعالى الخير الذي يشمل منافع الدنيا والآخرة، مما لا يعد ولا يحصى، العاجل منها والآجل، والمتأخر المعلوم منها للداعي والمجهول له، مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ - كما يستعيذه ويلتجئ من شرور الدنيا والآخرة العاجل الحاضر منها والآجل المتأخر، مما علم به الداعي وما جهل.

٤ - ثم عمم السؤال من نوع آخر، وهو أن الداعي يسأل الله تعالى من خير ما سأله رسول الله ﷺ.

ويستعيذ مما استعاذ منه رسول الله ﷺ الذي علم مما عند الله من الخير والشر أكثر مما نعلم، فسأل أفضل سؤال، واستعاذ بربه من أسوأ معاذ، فنحن به مقتدون في الرغبة بالخير والبعد عن الشر.

٥ - ثم سأل العبد من ربه الجنة وهي غاية المطلوب، وسأل الوسيلة إليها من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة.

٦ - ثم سأل الله تعالى العبد أن يجعل كل قضاء قضاه أن يكون خيرًا، ولو ظاهره ومظهره الشر، إلا أنه في حقيقة الأمر هو خير.

فإن تدابير الله تعالى كلها وفق الحكمة والمصلحة.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٤/٦، رقم ٢٥٠١٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧٤/٤١.

(٢) ساقه ابن ماجه في كتاب الدعاء من سننه تحت باب الجوامع من الدعاء ٣٨٤٦، كما بوّب عليه ابن حبان في صحيحه ١٥٠/٣: ذكر الأمر للمرء أن يسأل ربّه جل وعلا جوامع الخير ويتعوذ به من جوامع الشر.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

٧ - فهذه الأدعية الشريفة علمها النبي ﷺ عائشة وفي تعليمها تعليم لأمته التي نصحها وبرها وأحسن إليها، وهي من أنفع الأدعية وأجمعها لخيري الدنيا والآخرة)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) توضيح الأحكام ٦/٤٥٢.

الحديث رقم (١٤٩٥)

١٤٩٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: ((اللّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)). رواه الحاكم أَبُو عبد الله[1]، وقال: (حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

موجبات: موجبات جمع موجبة وهي من الحسنات التي توجب الجنة[2].

وعزائم: جمع عزيمة وهي ما وكّدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه، وبمعنى الفريضة والواجب[3].

إثم: الإثم: الذنب وعمل ما لا يحل[4].

الغنيمة: بمعنى الفيء وبمعنى الفوز بالشيء بلا مشقة[5].

البِّر: الخير والاتساع في الإحسان والطاعة[6]

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه (كان من دعاء النبي ﷺ) يشير إلى كثرة دعائه ﷺ لأن (من) للتبعيض، وكثرة دعائه مع أنه معصوم من الخطأ موعود بالجنة، صاحب المنزلة

---

(١) (٥٢٥/١).

(٢) النهاية، المعجم الوسيط في (و ج ب)، دليل الفالحين ١٥٤٤.

(٣) النهاية في (ع ز م).

(٤) القاموس المحيط في (ب ر ر).

(٥) القاموس المحيط في (غ ن م).

(٦) القاموس المحيط في (ب ر ر).

المتفردة التي لا يشركه فيها أحد عند ربه دليل على كمال عبوديته التي تستلزم دوام الافتقار، والتذلل شكرا لله على نعمه، والنداء بصيغة (اللهم) له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير، وقيل: جعلت هذه الميم علامة على الجمع كأنه بهذا اللفظ يقول إني أدعوا الله بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله: (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) جمع موجبة وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الرحمة أي مقتضياتها بوعدك فإنه لا يجوز الخلف فيه وإلا فالحق لا يجب عليه شيء وجمع الموجبة تكثير للخيرات، ورغبة في الاستزادة من أسباب الرحمة، وقوله: (وعزائم مغفرتك) أي مؤكداتها أو موجباتها جمع عزيمة يعني أسألك أعمالا بعزم تهب بها مغفرتك قال الراغب: العزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر (والسلامة من كل إثم) يوجب عقابا أو عتابا أو نقص درجة أو غير ذلك قال ولفظ السلامة يوحي بالراحة، والسكون، والطمأنينة (والغنيمة من كل بر) والبر: الطاعة والخير (والفوز بالجنة والنجاة من النار) سبق أنه وإن كان محكوما له بالفوز والنجاة لكنه قصد التشريع لأمته والتعليم لهم وفيه طباق بين الجنة، والنار يؤكد المعنى، ويوضح العاقبتين المطلوبة بالدعاء، والمستعاذ منها، وفي الحديث تناسب في الألفاظ، والمعاني فالموجب للرحمة، والعزيمة للمغفرة لأنه لا بد منه للمؤمن، والغنيمة للبر بالإضافة إلى ما تشير إليه كلمة الغنيمة من خير يداعب النفس، وكلمة البر التي تخصصها بنافع الخيرات في الدنيا، والآخرة، ثم كلمة الفوز التي تهدهد الخاطر بمرغوب يرتجى، وكلمة النجاة التي تريح النفس وتوحي بمرهوب يتقى وقد جعل الفوز في جانب الجنة، والنجاة بجانب النار بما يضمن تحقق محبوبين هما حصول الجنة، والخلوص من هول النار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته:

هذا واضح من قوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك"، قال ابن علان: "موجبات رحمتك" أى ما يوجبها مما رتبتها عليه من الأعمال، بوعد الصادق، كقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

وعزائم مغفرتك. أى موجبات غفرانك. قال المصنف: جمع عزيمة وهى ما عزم الله على العباد أن يعطوه ليغفر لهم، قال ابن الجزري: قيل: وصوابه أن يطيعوه. قلت: ويمكن رد الأول إليه. أى يعطوه من الطاعة"[٢].

ونقل الطيبي عن ابن الأثير: "موجبات رحمتك هي: جمع موجبة، وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الجنة وحققتها [وهي: لا إله إلا الله] وعزائم مغفرتك: "أى أسألك أعمالاً يتعزم ويتأكد بها إلى مغفرتك"[٣].

قال ابن القيم: "وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هما العلم والإيمان والقرآن، وهما اتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده، فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦-١٥٧.

(٢) دليل الفالحين، ص ١٥٤٤-١٥٤٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٢/٣. وانظر: النهاية في غريب الحديث، ص٩٥٩.

الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة. والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة، ومثل هذا بمسافريْن: أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده، فسار آمنًا مطمئنًا والآخر قد ضلّ الطريق فلم يدر أين يتوجه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[١]، فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى هى بحسب هداه. فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه هى الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهى غير الرحمة العامة بالبرّ والفاجر.

وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالى: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[٢].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "نعم العدلان ونعمت العلاوة"[٣]، فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب، وبالصلاة نالوا منزلة القرب والكرامة، والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة: الضلال عن طريق السعادة، والوقوع في ضد الرحمة من الألم والعذاب، والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة"[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر" قال ابن علان: "السلامة من كل إثم": أى

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ٢٣٣، والحاكم ٢٧٠/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٩٦٨٨، وانظر: الدر المنثور ٧٤/٢.

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار العدل بالإسكندرية، د. ت، ١٧٢/٢-١٧٣.

معصية، "والغنيمة" أي الإكثار، "من كل بر" أي طاعة[1]. قال ابن القيم عن خطورة الذنوب: "إن الذنوب والمعاصي تضر ولابد وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي. فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دارِ اللذة والنعيمِ والبهجةِ والسرورِ إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدّل بالقرب بعدًا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحًا وبالجنة نارًا تلظى وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان". فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوّادًا لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا؟[2].

ثم قال: "وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا

---

(١) دليل الفالحين ١٥٤٥.

(٢) الداء والدواء ٦٥-٦٧.

والآخرة ما لا يعلمه إلا الله ... فمنها حرمان الطاعة، فلو لم يكن عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة، ثم رابعة وهلم جرا، فتنقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحد منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مرضةً طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار:

وهذا واضح من ختام الحديث: "والفوز بالجنة والنجاة من النار"، قال ابن علان: "وفي ختم المصنف (أى النووي) بهذا الدعاء إيماء إلى أن المطلوب من الأدعية كغيرها من الأعمال، وهو بعد أداء العبودية لحق الربوبية طلب النجاة من النار ودخول الجنة". قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[2]"[3].

قال القاسمي: "قال الرازي: بيّن تعالى أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا، فهي مكدرة بالغموم والهموم، وبخوف الانقطاع والزوال والأجر التام، والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة، لأن هناك يحصل السرور بلا غم، والأمن بلا خوف، واللذة بلا ألم، والسعادة بلا خوف الانقطاع. وكذا القول في العقاب، فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة. بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة، نعوذ بالله منه، فمن زحزح أى "أبعد" عن النار، التي هي مجمع الآفات والشرور وأدخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز، أى حصل الفوز العظيم وهو الظفر بالبغية أى النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل

(١) الداء والدواء ٨٥-٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) دليل الفالحين ١٥٤٥.

رضوان الله والنعيم المخلد"[١].

قال ابن رجب الحنبلي: "ومن أهم ما يسأل العبد ربَّه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، وقد قال النبي ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»[٢]. يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها"[٣].

---

(١) محاسن التأويل ٤/٣١٤-٣١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، ٣٨٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢، ٣١٠٣). وقال ابن الأثير: "الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم، وهو أوقع من الهينمة قليلًا، والضمير في حولهما للجنة والنار، أي حولهما ندندن وفي طلبهما. النهاية في غريب الحديث في (د ن د ن).

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالعبادات:

"إن العبادات هي الصلة المباشرة بين العبد وربه، وتربية على الإحساس بقرب الله وحبه"[١]، وهي من أجل الأسس التي يجدر بأهل التربية غرسها وتنميتها بالنشء المسلم، صغيرهم وكبيرهم، وكان الدعاء من أجل وأعظم العبادات التي تراءت من أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة".

فالتربية على الدعاء باب عظيم، إذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق، ورغب بالتخلي من مساوئ الأخلاق، فليلجأ إلى ربه، وليرفع إليه أكف الضراعة، ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه[٢].

والدعاء أثر تربوي جليل، فهو ثمرة المعرفة، والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان؛ والدعاء سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة. وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة.

لذا أقام المنهج التربوي الإسلامي من الدعاء دليلاً على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها؛ لذا كان من مهام دعاة التربية والتوجيه الحث على الدعاء

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٥٤.

(٢) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ٥٠٩، ٥١٠.

وملازمته منهجًا تربويًا في حياة المتربي والمتعلم.

وكان من العبادات الجليلة التي تُبنى عليها أصول التربية الإسلامية والتي تراءت من أحاديث الباب، الصلاة، وهذا ما أكده النبي ﷺ في حديث الباب من قول: طارق ابن أشيم رضي الله عنه: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة.....إلخ" وللصلاة آثار تربوية منها:

١- أن الصلاة تربية عقائدية وتربية عملية حيث الالتزام بالعمل الصالح، ولهذا فالتربية الإسلامية تستغل هذه الطريقة في تحقيق أهدافها فتعمل منذ البداية على تعويد الإنسان على أدائها سواء بالتقليد أو الإقناع أو الإجبار عليها.

٢- الصلاة تربي الإنسان خلقًا وروحًا، فهي تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على الوقت، والتعود على النظافة وطهارة الملبس.

٣- الصلاة تحفظ طاقات المسلم وتوجهها الوجهة الخيرة بدلاً من إهدارها في أشياء ضارة فهي عندما يحافظ عليها المسلم، تتجه به إلى الاستقامة وترك الملذات السيئة التي تجر الفرد التارك للصلاة، وذلك لأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فحين يتجه الفرد لفعل الذنب يتذكر موعد وقوفه أمام الله في موعد الصلاة القادم فيترك هذا الفعل.

٤- الصلاة تربي في نفس الإنسان صفات حسنة كالتواضع إذ يقف في الصلاة مثله كمثل أي إنسان، ويؤدها مثله، ويجعل بينه وبين الآخرين علاقة طيبة ويعطف على المحتاجين" [(١)].

لذلك كانت الصلاة معلمًا من معالم تأسيس وتربية النشء المسلم على العبادة والصلة بالله.

ثانيًا- التربية على الهمة العالية:

إن من الأهداف التربوية التي تتضمنها أحاديث الباب، والتي يُناط بدعاة التربية والتوجيه الاهتمام بها، وغرسها في نفوس المتعلمين والمتربين، الهمة العالية، حيث وردت التربية على ذلك في حديث الباب من قوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...إلخ".

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ٨٠، ٨١.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد [1].

فإذا غرست الهمة العالية في نفوس المتربين، ارتحلت بهم في دروب الفضائل، وصعدت بهم في درجات المعالي، ومن سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، وجلالة المقصود، وسمو الهدف، وعظمة الغاية، فالهمة هي مركز السالب والموجب في شخصية المتربي، والرقيب على جوارحه، وهي الوقود الحسي والطاقة الملتهبة، التي تمد صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد، وكبر الهمة يجلب خيرًا غير مجذوذ، فيرقي المتربي إلى درجات الكمال، فيُجري في عروقه دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل. فلا يُرى إلا واقفًا على أبواب الفضل، باسطًا يديه لمهمات الأمور، ينافس الرواد في الفضائل ويزاحم السادة في المزايا.

ولله درُّ القائل:

هِمَمٌ كأن الشمس تخطب ودَّها ... والبدر يرسم في سَناها أحْرُفَا

فالله الله في الاهتمام بالهمة ... وسَلْ سيفها في غمزات الحياة

هو الجِدُّ حتى تَفضُلَ العينُ أختها ... وحتى يكون اليوم لليومِ سيِّدا [2]

ثالثًا: التربية على ملازمة التوبة:

إن التوبة هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين [3].

لذا كانت التربية على ملازمة التوبة من الخلال العظيمة التي يجب أن يربى عليها النشء المسلم، وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من

---

(١) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٥١٢، ٥١٣.

(٢) لا تحزن، د. عائض القرني، ٣٧٢-٣٧٤ بتصرف يسير.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/٣٠٦.

عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي...إلخ"، وقوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك...إلخ".

وقد بين ابن تيمية: "أن الذنوب تنقص الإيمان، فإذا تاب العبد أحبه الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة، قال بعض السلف: "كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة" فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: "إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه فيعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها" [(١)].

ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمتى ما صحت التوبة في الابتداء صحت في الانتهاء، وصارت النفس تضيء بالهمة، وتتوقد إلى أن تصل إلى درجة المراغمة التي حباها الله لكثير من التائبين، والمفرطين ممن كانوا بالأمس حزبًا للشيطان وأتباعه، وهذه الدرجة لا تُعطي إلا لمن جد في الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره لأنه لا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [(٢)].

لذلك من تعبد الله بمراغمة الشيطان والنفس عظم شأنه عند مولاه ورفع به الدرجات وحط عنه السيئات وأحسن له العاقبة وحسن مآب، وصاحب هذا المقام معاشر الشباب، إذا نظر إلى الشيطان ولاحظه في الذنب راغمه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى من لذة البكاء من خشية الله على ما بَدَر منه، في أيامه الأولى فيأبى عندها إلا المراغمة وعبوديتها[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤٥/١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٣) تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، عبدالمنعم العزي، ١٤٤، ١٤٥ بتصرف، نقلاً عن الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري، ص٧٠، ٧١.

٢٥١- باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ جَاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ﴾[الحشر: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿واسْتَغْفِرْ لِذنْبِكَ وَلِلْمُؤمِنِينَ والمؤمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقال تَعَالَى إخْبَارًا عَن إبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

الحديث رقم (١٤٩٦)

١٤٩٦- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنه سَمِعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلمٍ يدعُو لأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

بظهر الغيب: في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص[2].

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول معنى عظيم في بناء المشاعر الإنسانية التي تحدد العلاقات البينية بين أفراد المؤمنين بضبط حركة القلب، وتوجيهها لما فيه التحابب، المؤذن بالتكافل، والتعاون المبني على باطن نقي سليم لا ينافق، ولا يرائي، وإنما يتحرك بظاهر يوافق باطنا تقربا لله فينزل أخاه منزلة نفسه ليس فقط في تمني الخير له بل في الإيجابية في تحقيق هذا الخير عن طريق الدعاء بينه، وبين ربه، وهو من أعظم دلائل الإخلاص في القربى لله، والعلاقة الصادقة مع أخيه، ولذلك قرر هذا الحديث أن

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٦).

(٢) شرح مسلم، النووي ١٦٠٣.

الجزاء من جنس العمل ترغيبا في هذا الخلق النبيل الداعم لأسمى المشاعر الإنسانية وقد ورد المعنى في أسلوب القصر المؤكد للمعنى المستغرق للجنس تعميما للحكم في قوله (مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ) حيث قصر الدعاء بظاهر الغيب على رد الملك بالمثلية، ثم إنه قابل دعاء بشر لبشر بدعاء ملك لبشر ترغيبا في إتيان هذا العمل الذي يدل على السمو النفسي، والتقارب الوجداني، والإخلاص لله، ولفظ الأخوة مقصود به أخوة الإسلام، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير برابطة الرحم التي تستلزم الرحمة، والمودة، والرعاية، التعبير بالظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه فدعوته مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة، وقوله (ولك بمثل) فيه التفات أي: استجاب الله دعاءك في حق أخيك، ولك بمثل أي مثل ما دعوت له من الخير.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب:

هذا واضح من الحديثين، أو الروايتين، "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل"، و"دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".

وقال القرطبي: "إنما خص حالة الغيبة بالذكر لبعدها عن الرياء، والأغراض المفسدة أو المنقصة، فإنه في حال الغيبة يتمحض الإخلاص ويصحّ قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله ﷺ بأن له مثل ما دعا به لأخيه"[2].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٩٧).

(٢) المفهم ٧/٦١.

وقال النووي: "قوله ﷺ "بظهر الغيب" معناه في غيبة المدعو له وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص ... وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"(١).

وقال ابن عثيمين: "الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب من طرق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن سبيل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن ذلك أننا نحن كلنا يقول ندعو لإخواننا في صلاتنا بظهر الغيب، كلنا يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وهذا دعاء. وقد قال النبي ﷺ: "إنكم إذا قلتم ذلك، فإنكم قد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض"(٢)، إذن إذا قلت: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا دعاء لإخوانك بظهر الغيب"(٣).

جاء في كتاب الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه عند ذكر آداب الدعاء: "الأدب العشرون: أن يدعو لإخوانه المؤمنين، فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٤)، وذكر عن نوح عليه السلام قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة"(٦).

ويحسن أن يُخص بالدعاء - الوالدان والعلماء والصالحون والعبّاد ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم ... ويحسن به -أيضًا- أن يدعو

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٩/١٧/٥١-٥٢ ط، دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣١، ومسلم ٤٠٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٤.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) سورة نوح، آية: ٢٨.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في مجمع الزوائد ١٠/٢١٠، وقال الهيثمي: إسناده جيد

للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين وراحة للمستضعفين والمظلومين"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[٢]. قال ابن كثير: "التابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية"[٣].

وقال القاسمي: "قال الشهاب: "والمراد بدعاء اللاحق للسابق، والخلف للسلف، أنهم متبعون لهم أو هو تعليم لهم بأن يدعوا لمن قبلهم ويذكروهم بالخير اهـ ... ثم بين تعالى حال من يجيء بعدهم بأنه يثنى على من سبقه، ويدعو له ابتهاجًا بما أتوا واغتباطًا بما عملوا، لأنهم بين مهاجر عن أهله وأمواله محبة في الله ورسوله وبين محب لمن هاجر مكرم له، بل مؤثر إياه، مما أشفّ عن قوة الإيمان والإخلاص في تدعيم روابط الإيقان"[٤].

وقال الطاهر بن عاشور: "أي سألوا الله أن يطهر نفوسهم من الغل والحسد للمؤمنين السابقين، على ما أعطوه من فضيلة صحبة النبي ﷺ وما فضل به بعضهم من الهجرة وبعضهم من النصرة، فبين الله للذين جاءوا من بعدهم ما يكسبهم فضيلة ليست للمهاجرين والأنصار، وهي فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة وانطواء ضمائرهم على محبتهم وانتفاء البغض لهم، والمراد أنهم يضمرون ما يدعون الله به لهم في نفوسهم ويرضوا أنفسهم عليه، وقد دلت الآية على أن حقًا على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير، وأن حقًا عليهم محبة المهاجرين والأنصار، وتعظيمهم"[٥].

---

(١) الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٤٦-٤٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧٢/٨-٧٣.

(٤) محاسن التأويل مج ١٦/٩/ ١٠٤-١٠٥.

(٥) التحرير والتنوير مج ٩٧/٢٨/١١.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين:

وهذا واضح من بيان فضل الدعاء بظهر الغيب، فإن هذا يدفع المدعوين إلى أن يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب، وهذا المسلك ينفي ما قد يكون في قلوب بعضهم من غل أو حسد أو إحن الأحقاد تجاه بعضهم الآخر، ومن ثم يؤدي إلى انتشار المحبة بينهم.

قال القرطبي: "المسلم هنا هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه؛ لأن هذا هو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، أي في حال غيبته عنه"[1].

قال ابن عثيمين: "إن الدعاء بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، فإذا دعوت لأخيك بظهر الغيب بدون وصية منه كان هذا دليلاً على محبتك إياه، وأنك تحب له من الخير ما تحب لنفسك"[3]، وقد أخرج ابن حبان حديث أنس في رواية عنده "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"[4]، وقد بوب البخاري على حديث أنس: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[5]، قال ابن حجر: "قوله" ما يحب لنفسه"، أى من الخير، ... والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات، لأن اسم الخير لا يتناولها والمحبة إرادة ما يعتقده خيرًا.

قال النووي[6]: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصًا. والمراد أيضًا أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه

---

(١) المفهم ٦١/٧

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٦٣/٢.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢٣٥.

(٥) صحيح البخاري، الحديث ١٣.

(٦) شرح صحيح مسلم مج١٣/٢/١، ط دار الكتب العلمية.

سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له لا مع سلبه عنه ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال. وقال أبو الزناد بن سراج: ظاهر هذا الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل، لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل في جملة المفضولين. قلت (القائل ابن حجر): أقر القاضي عياض هذا[1]، وفيه نظر، إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة. لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يحب أن يكون أفضل من غيره. فهو مستلزم للمساواة، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2]، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش وكلها خصال مذمومة.

(فائدة) قال الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء)[3].

وقد ضرب السلف المثال الرائع لحب الأخ لأخيه في الدعاء بظهر الغيب، فقد كان بعضهم "إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[4].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى"[5].

---

(١) إكمال المعلم ١/٢٨٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) فتح الباري ١/٧٤ ط الريان.

(٤) شرح صحيح مسلم، مج ٩/ج١٧/٥٢، ط دار عالم الكتب.

(٥) إحياء علوم الدين ٢/٩٨٠-٩٨١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء:

هذا مستفاد من الحديث، فإن دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يدل على سلامة الصدر من الشحناء، وهذا من أفضل الأعمال، قال ابن رجب الحنبلي: "أفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها، "وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة، وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، (أى خلو الصدر من الطعن على سلف الأمة). ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

عن أنس أن النبي ﷺ قال لأصحابه ثلاثة أيام: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة "فيطلع رجل واحد. فاستضافه عبدالله بن عمرو، فقام عنده ثلاثًا لينظر عمله، فلم ير له في بيته كبير عمل، فأخبره بالحال، فقال له: هو ما ترى إلا أني أَبيتُ وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين، فقال عبدالله: بهذا بلغ ما بلغ[2].

وفي سنن ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قيل يا رسول الله ﷺ أى الناس أفضل؟، قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد" [3].

قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ، لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة"[4].

وقال ابن تيمية عن فائدة الدعاء للغير: "فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٦/٣، رقم ١٢٦٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٢٤/٢٠، ١٢٥..

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩٧).

(٤) لطائف المعارف ٢٦٦-٢٦٧.

وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك كان: هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى؛ فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لاسيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]. فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

فذكر - سبحانه - استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات"[3].

لذا كان إقدام المسلم على الدعاء لنفسه ولإخوانه بالمغفرة ونحو ذلك دليلاً على سلامة صدره نحوهم، أو على الأقل تحمله لما يلحقه من الأذى منهم، دون ان يظهر ذلك في تعامله معهم، وهذا وإن كان أقل درجة من سلامة الصدر إلا أنه يشترك معها في النتيجة والأثر، وهو السلامة في التعامل مع غيره من إخوانه.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب في هذا الحديث ناشئ من بيان نتيجة الدعوة للأخ بظهر الغيب، يتضح هذا بأن من فعل ذلك فإن دعوته مستجابة كما أن الملك يقول: ولك بمثل، ومن الملاحظ أن الترغيب في الرواية الأولى جاء مصوغًا في أسلوب القصر "ما- إلا" كما أن الترغيب في الرواية الثانية جاء في صيغة الإخبار. وتفسير ذلك أن القصر جاء ليقرر أن هذا الفضل لاحق بمن يدعو لأخيه بظهر الغيب لا محالة. كما جاء الإخبار في الرواية الثانية ليقرر حقيقة مسلم بها لا تقبل أدنى شك، لأن الذي أخبر بذلك هو الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١/١٠١، ط العبيكان، ١/١٣٣، ط ابن قاسم.

يقول القرطبي مبينًا أسلوب الترغيب: "إن الإنسان إذا دعا لإخوانه المسلمين حيث كانوا، وصدق الله في دعائه، وأخلص فيه في حال الغيبة عنهم أو عن بعضهم. قال الملك له ذلك القول. بل قد يكون ثوابه أعظم، لأنه دعا بالخير وقصده للإسلام ولكل المسلمين"[1].

(١) المفهم ٦٢/٧.

الحديث رقم (١٤٩٧)

١٤٩٧- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

ملك موكل: أي موكل مسند إليه الإتيان بما يأتي عنه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الترغيب في الدعاء بظاهر الغيب بين المؤمنين بتقرير استجابة دعوة الداعي لأخيه بظهر الغيب وللداعي بمثله مما يربط هذا النفع العام بالمنفعة الشخصية التي تزيد النفس التي جبلت على حب الخير حرصا على تحصيل هذا الأجر، وقول رسول الله ﷺ (دعوة المرء المسلم) أي الشخص الشامل للرجل والمرأة (لأخيه) أي أخوة الإسلام، والتعبير بالأخوة لزيادة الترغيب في الدعاء بتذكيره بموجبات الأخوة التي تعني صلة الرحم، وقوله (بظهر الغيب) ذكر الظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة قال الطيبي موضع بظهر الغيب نصب على الحال من المضاف إليه لأن الدعوة مصدر أضيف إلى فاعله ويجوز أن يكون ظرفا للمصدر وقوله مستجابة خبر لها وقوله: (عند رأسه) أي الداعي (ملك) جملة مستأنفة مبينة للاستجابة ولفظ الملك من الألفاظ التي تبعث الطمأنينة في النفس (موكل) أي بالدعاء له عند دعائه لأخيه كلما دعا لأخيه بخير، أو دفع شر قال الملك الموكل به

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٨).

(٢) دليل الفالحين ١٥٤٦.

آمين أي استجب له يا رب دعاءه لأخيه وكلمة (موكل) توحي بالتكليف الدال على تشريف العبد الداعي لإخوانه، ولفظ (آمين) اسم فعل أمر بمعنى استجب وللفظ يوحي بفيض من الرحمة التي تبعث الطمأنينة القلبية، والراحة النفسية فقوله (ولك بمثل) فيه التفات، أي استجاب الله دعاءك في حق أخيك ولك بمثل أي: ولك مشابه هذا الدعاء وتقديم الجار والمجرور (لك) يفيد الاختصاص أو الاهتمام، قيل كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة ليدعو له الملك بمثلها فيكون أعون للاستجابة، فعلى المؤمن أن يبدأ بنفسه ويدعو لإخوانه من المؤمنين الأحياء، والأموات لعلى الله ينفع بعضهم بدعاء بعض.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوجدانية:

إن تربية الشعور وتنمية الإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، من أعظم الأهداف التربوية، والتي نوه عليها المنهج الإسلامي في تربية النشء المسلم.

فالمسلم مرهف الحس لشأن أخيه، يفرح لفرحه، ويتأثر لترحه، يساعده إن ألم به مكروه، ويسانده إن اعتلته حاجة، أو أعوزته فاقة، راسمًا بفعله ذلك أرقى وأبلغ تصور لروابط الحب والصلة في ميزان الله!!!.

والدعاء بظهر الغيب من أعظم وأوكد ما يبرهن على عظم تربية الشعور والإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، مما يكسبها في ذلك وحدة روحية، ومشاركة وجدانية، تنعكس على توثيق الروابط وحفظ المودات بين أفرادها؛ فتحصل في ذلك غاية قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ» [1]. أي: دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في ذلك [2].

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الدعاء بظهر الغيب -كهدف تربوي- في حفظ البناء الروحي والوجداني لأبناء الأمة الإسلامية، كان عليهم ما يلي:

١- الترغيب ببيان عظم الأجر من الله تعالى في ذلك، وهذا ما أوضحه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل".

٢- استجاشة العواطف الإيمانية لدى المتربي والمتعلم بإبراز أهمية دوره الديني في إعانة أفراد أمته ممن يحتاجون إلى -دعائه بظهر الغيب- كإخوانه في فلسطين والعراق ... إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٥.

٣ - التوصية والتذكير والمتابعة للمتربي والمتعلم في القيام بذلك.

ثانيًا- التربية بالترغيب:

إن من أبرز الأساليب التربوية التي وردت في حديثي الباب، الترغيب في الدعاء بظهر الغيب، حيث استجابة الدعاء وفوز الداعي بمثل دعوته.

والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيِّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، وذلك رحمة من الله لعباده، والترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير، وهذا ما استخدمه النبي ﷺ من تحريض على السعي الحثيث، وتكوين القناعة في الأنفس المصحوبة بإرادة التنفيذ حول الدعاء بظهر الغيب[1].



(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠، ٢٢١ باختصار.

٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء

الحديث رقم (١٤٩٨)

١٤٩٨- وعن أسَامة بن زيد رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ صُنِعَ إلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا، فَقَدْ أبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

أبلغ في الثناء: الثناء: المدح، وكلمة أبلغ من بالغ بمعنى لم يقصر والمعنى بالغ في أداء شكره[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يبدأ بالاسم الموصول الذي يدل بصلته على صاحب الصفة المذكورة في أي زمان، ومكان، وبذلك يأخذ الحكم عموما وشمولا لكل من وافقت صفته هذه الصفة، وبناء الفعل (صُنع) للمفعول يؤكد عموم الحكم، ولفظ المعروف علم على فعل الخير للغير خاصة، وهو على ذلك ضد المنكر، وهو في معناه العام يقابل المجهول دلالة على إقراره بين الناس، وعدم إنكاره، وقوله (فقال لفاعله) مترتب على ما قبله بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب إشارة إلى سرعة الرد الجميل الدال على التفاعل البناء، وقوله (جزاك الله خيرا) جملة خبرية لفظا إنشائية معنى أي قضى لك خيرا وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك وصياغتها في صورة الخبر

---

(١) برقم (٢٠٣٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ جيّدٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٤١٣)، وقال الحافظ في نتائج الأفكار (ق٣٢١/٢): هذا حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (١٤١١).

(٢) القاموس المحيط، والمعجم الوسيط في (ب ل غ)، وتحفة الأحوذي ١٦٧٩/٢.

تأكيدا، وتفاؤلا بتحققها وكأنها صارت واقعا محققا، وهو يخبر عنه، وتنكير لفظ (خيرا) للتعظيم أي جزاك الله خيرا عظيما، وكل جزاء من الله على الخير عظيم (فقد أبلغ في الثناء) أي بالغ فيه، وبذل جهده في مكافأته عليه بذكره بالجميل وطلبه له من الله تعالى الأجر الجزيل فإن ضم لذلك معروفا من جنس المفعول معه كان أكمل، وهذا ما يقتضيه هذا الخبر لكن يأتي في آخر ما يصرح بأن الاكتفاء بالدعاء إنما هو عند العجز عن مكافأته بمثل ما فعل معه من المعروف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف:

هذا واضح من قول النبي ﷺ "من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء"، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء"[1]. وقال عمر بن الخطاب: "لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه جزاك الله خيرًا. لأكثر منها بعضكم لبعض"[2].

وقد بوب ابن حبان على حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء للمُسدي إليه المعروف عند عدم القدرة على الجزاء، يكون مبالغًا في ثوابه[3].

وقال الصنعاني: "المعروف الإحسان، والمراد من أحسن إليه إنسان بأي إحسان فكافأه بهذا القول فقد بلغ في الثناء عليه مبلغًا عظيمًا ولا يدل على أنه قد كافأه على إحسانه بل دلّ على أنه ينبغي الثناء على المحسن"[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، ٩/٧٠، والبزار ١٩٤٤، وقال محقق صحيح ابن حبان، ٨/٢٠٣: وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو وإن كان ضعيفاً، يصلح للشواهد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، ٩/٧٠، رقم ٦٥٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٨/٢٠٢، الحديث ٣٤١٣.

(٤) سبل السلام ٨٨٤، ط بيت الأفكار الدولية.

وقال المباركفوري: "قوله : "فقال لفاعله": أى بعد عجزه عن إثابته أو مطلقًا "جزاك الله خيرًا" أى خير الجزاء، أو أعطاك خيرًا من خَيْرىْ الدنيا والآخرة (فقد أبلغ الثناء) أى بالغ في أداء شكره"[١]، وعلل الطيبي ذلك بأنه : "اعترف بالتقصير وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه، ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى"[٢].

وقال ابن عثيمين موضحًا اختلاف نوع المكافأة باختلاف الأحوال، قال: "إذا صنع إليك إنسان معروفًا بمال أو مساعدة أو علم أو جاه أو غير ذلك، فإن النبي ﷺ أمر أن تكافئ صانع المعروف فقال: "من صنع إليكم معروفًا فكافئوه"[٣]. والمكافأة تكون بحسب الحال، من الناس من تكون مكافأته أن تدعو له ولا يرضى أن تكافئه بمال. فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئًا فأعطيته مثل ما أهدى إليك رأى في ذلك قصورًا في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له. "فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه". ومن ذلك أن تقول له (جزاك الله خيرًا) إذا أعطاك شيئًا أو نفعك بشيء فقل له (جزاك الله خيرًا)، فقد أبلغت الثناء، وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيرًا كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة[٤].

قال عبدالله البسام: "فاعل المعروف ابتداء له فضل ومنة على المسدي إليه ذلك المعروف، سواء أكان معروفًا ماديًا أو معنويًا.

لأن الابتداء بالإحسان يدل على نفس كريمة لصاحبه، ومحبة للخير والإحسان، فمن حسن الأدب وكمال المروءة، وطيب المقابلة أن يكافئه المحسن إليه على إحسانه ومعروفه، وأن لا يهمله ويتركه، فإنه من الجفاء وبلادة الطبع.

---

(١) تحفة الأحوذي ١٦٧٩/٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٥/٦.

(٣) أخرجه أبو داود١٦٧٢ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه" فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، وقد صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٦٨).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٥/٢.

فإذا لم يجد المحسن إليه من الأشياء المادية ما يكافئ بها المحسن، فليدع له وليشكره، ومن أفضل ألفاظ الدعاء والشكر، قوله: "جزاك الله خيرًا" فإن هذا أبلغ الثناء. ذلك أن الجزاء إذا كان من الله تعالى كان عظيمًا، فإن جزاء الله وعطاءه لا نهاية له، ولفظ "الخير" كلمة طيبة تشمل خيري الدنيا والآخرة"[١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لمن صنع له معروفًا جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء عليه، ولا شك أن هذا حث للمدعوين على شكر صانعي المعروف، بالفعل والقول، ومما يؤكد هذا الهدف أن النبي ﷺ جعل من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فقال ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[٢].

قال الطيبي: قال البيضاوي: "هذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديًا شكر أنعمه.

أو لأن من أخل بشكر من أسدى إليه نعمة من الناس -مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران- كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران"[٣]. وهو الله سبحانه وتعالى فلا يضره كفر به ولا ينفعه شكر له، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا النبي ﷺ يرشد المهاجرين إلى طريق مكافأة الأنصار الذين أحسنوا مواساة المهاجرين بأموالهم وأنفسهم، وذلك عن طريق الثناء عليهم والدعاء لهم، عن أنس بن مالك قال: «لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ

---

(١) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٥٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٢).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٦/١٨٥-١٨٦.

كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَأ[1]، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: الاَ. مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[2].

قال الطيبي: "قوله (الأجر كله)، يعني إذ حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنأ فقد أحرزوا المثوبات فكيف نجازيهم؟ وأجاب: (لا): أي ليس الأمر كما زعمتم، فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرًا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم[3]".

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: يا رسول الله: لقد سمعت فلانًا وفلانًا يحسنان الثناء يذكران أنك أعطيتهما دينارين، قال: فقال النبي ﷺ لكن والله فلانًا ما هو كذلك، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة. فما يقول ذاك. أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها. يعني: تكون تحت إبطه، يعني نارًا. قال عمر: يا رسول الله لم تعطيها إياهم؟ قال: «فما أصنع؟ يأبون إلا ذاك ويأبى الله لي البخل»[4].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن ترك ثناء المرء على أخيه المسلم إذا أولاه شيئًا من المعروف[5]، وذكر الإخبار عما يجب على المرء من الشكر لمن أسدى إليه نعمة[6].

وقال عبدالله البسام: "وإذا كان مكافأة المخلوق المحسن مستحبة وجميلة، وهو ليس له من المعروف والإحسان إلا أنه سبب، وإنما المعطي هو الله تعالى، فكيف يكون وجوب شكر المنعم الأول، وصاحب النعم العظمى والهبات الكبرى، الذي لا ينقطع مدده ولا يتوقف إحسانه.

---

(١) المهنأ هو ما يقوم بكفاية الرجل وإصلاح معاشه، يريد به ما أشركوهم فيه من زروعهم وثمارهم، كما في شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٧. وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٠).

(٣) شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/٣، رقم ١١٠٠٤، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٤٠/١٧.

(٥) الحديث ٣٤١٢.

(٦) الحديث ٣٤١٤.

فالواجب أن يكون دائم الشكر لله تعالى على إحسانه وامتنانه، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]. والمراد هنا كفر النعم وجحدها بعدم أداء الشكر فيها اعتقادًا وقولاً وعملاً"[2].

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

الحديث رقم (١٤٩٩)

١٤٩٩- وعن جابر ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَلاَ تَدعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أموَالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسألُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ساعة: والساعة في الأصل تطلق بمعنيين أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزء هي مجموع اليوم والليلة، ثانيهما: جزء من أجزاء الوقت والحين وإن قل[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يحذر، وينهى عن الدعاء على الأولاد، والأموال لأن الدعاء سيف قد يمضيه الله على الرقاب لو وافق ساعة إجابة فيكون ضرره على صاحبه وما يتعلق به من أولاده، وماله، ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ في هذا الحديث متصدرا، وقد تكرر النهي بـ(لا تَدْعُوا) مع كل واحد من المنهي عن الدعاء عليهم دلالة على استقلال النهي بالحكم في كل واحد، وقد بدأ بالنهي في قوله (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) وبدأ بالنهي عن الدعاء على النفس؛ لأنها أخص ما للإنسان تحذيرا مما يعرض للضرر المباشر، واتصال الفعل (تدعوا) بواو الجماعة، واتصال النفس بكاف الخطاب، وميم الجمع تعميم للخطاب يشير إلى عظمة الأمر، وأنه من الأهمية بحيث لا يختص بشخص دون شخص وقوله: (وَلاَ تَدعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ) لأنه الهم بعد النفس،

---

(١) برقم (٣٠٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٦١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س و ع).

والضر الذي يلق بهم يتأثر به والديهم، وقوله (وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أموَالِكُمْ) النهي يشمل الدعاء على كل ألوان الأموال من الدواب، وغيرها، وقوله (لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسألُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ) تحذير من توافق الدعاء مع وقت استجابة يترتب عليه تحققها فيضر بها نفسها أو أهله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال:

هذا واضح من الحديث: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجب لكم".

قال الطيبي: "أى لا تدعوا على أنفسكم ولا أولادكم كى لا توافقوا ساعة الإجابة فتندموا"[(١)].

وقال ابن عثيمين: "لأنه ربما يصادف ساعة إجابة فتجاب، وهذا يقع كثيرًا عند الغضب إذا غضب الإنسان ربما يدعو على نفسه وربما يدعو على ولده، ويقول: قاتلك الله، قتلك الله.. وما أشبه ذلك حتى إن بعضهم يدعو على ولده باللعنة، ونسأل الله العافية. وكذلك نجد بعضهم يدعو على أهله، على زوجته على أخته، ربما دعا على أمه والعياذ بالله مع الغضب. وكذلك أيضًا يدعو على ماله، يقول مثلاً على سيارة اختلفوا عليها: الله لا يبارك في هذه السيارة، أو في هذه الدار، أو هذا الفراش، وما أشبه ذلك. كل ذلك نهى النبي ﷺ أن ندعو عليه، لأنه ربما صادف ساعة إجابة، فإذا صادف ساعة إجابة فإنه يستجاب. لو قلت لولدك : تعال لماذا فعلت كذا؟ الله لا يوفقك، الله لا يريحك، الله لا يصلحك، فتصادف ساعة إجابة، كل هذا حرام

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٤/٣٠٥.

لا يجوز، لأنه ربما صادف ساعة إجابة. كذلك المال: المال الذي يتعاكس عليك، السيارة أو الشغل في البيت، أو غير ذلك لا تدعُ عليه. لكن قل: اللهم يسر الأمر، اللهم سهل حتى يحصل التسهيل والتيسير"[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[2].

"أي ويدع المرء المتضجر على نفسه وولده، مثل دعائه بالخير لنفسه وولده، وهذا من عجلة الإنسان أن يسأل الشر كما يسأل الخير، وهذا من الاعتداء في الدعاء"[3].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"، فضجّ ناس من أهله، فقال: «لا تَدْعُوَ على أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بخَيْرٍ، فإنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى ما تقولونَ»، ثم قالَ: «اللهمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّيْنَ واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ واغْفِرْ لَنَا ولهُ يا ربَّ العالمينَ، اللهمَّ افْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ ونَوِّرْ لَهُ فيهِ»[4].

قال عبدالله البسام: "لعل بعض آل أبي سلمة أتوا عند وفاته وفعلوا ما اعتادوا أن يفعلوه في الجاهلية من قولهم: واويلاه واثبوراه، ونحوه، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير"[5].

وقال بكر بن عبدالله أبو زيد: "ودعاء الكفار على المسلمين ظلم واعتداء فلا يستجاب. ولهذا قال البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا" وساق حديث عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: وعليكم. فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً ياعائشة. عليك بالرفق وإياك العنف، أو الفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلتُ؟ رددت عليهم فيستجاب

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٦٥.
(٢) سورة الإسراء، آية: ١١.
(٣) تصحيح الدعاء، بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٦٣.
(٤) أخرجه مسلم، ٩٢٠.
(٥) توضيح الأحكام ٢/٤٨٠.

لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ"[1].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الترجمة المذكورة[2]: "أي لأنا ندعو عليهم بالحق وهم يدعون علينا بالظلم" انتهى، وقال: ويستفاد منه: أن الداعي إذا كان ظالمًا على من دعا عليه لا يستجاب دعاؤه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[3]، انتهى"[4].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال:

هذا واضح من الحديث، والحديث فيه قصة لعلها تزيد الأمر وضوحًا، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سرنا مع رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُواطٍ وهو يطلب المجدي بن عمرو الجُهَنيّ وكان الناضح[5] يَعْقُبه[6] منا، الخمسة والستة والسبعة، فدارت عُقبة رجلٍ من الأنصار على ناضح له[7] فأناخه فركبه، ثم بعثه فتلدّن عليه[8] بعض التلدن؛ فقال له: شَأْ[9]؛ لعنك اللهُ فقال رسول الله ﷺ: «مَن هذا اللاعنُ بعيره»؟ قال: أنا يا رسول الله؛ قال: «أنزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[10].

ففي هذا النهي من النبي ﷺ إرشاد لأن يرفق المدعو بنفسه وأولاده وماله، فلا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠١، ومسلم ٢١٦٥، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري ١١/٢٠٠، ط السلفية.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٤.

(٤) تصحيح الدعاء ٦٤.

(٥) الناضح: الدابة يستقي عليها. الوسيط ٩٢٨.

(٦) أي يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد، النهاية في غريب الحديث، ٦٢٨.

(٧) يقال: دارت عقبة فلان، أي جاءت نوبته ووقت ركوبه. النهاية ٦٢٨.

(٨) أي: تلكأ وتمكث ولم ينبعث. النهاية ٨٣٣.

(٩) كلمة زجر للبعير. انظر: شرح صحيح مسلم، مج٩/١٨/١٣٣، ط دار عالم الكتب.

(١٠) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

يتعجل ويدفعه الغضب إلى الدعاء عليهم. بل عليه أن يتحلى بالحلم والأناة والرفق، فلا يدعو إلا بالخير والتيسير، وليقل: "اللهم يسر الأمر، اللهم سهل"[(١)] وليدعُ بالهداية والرشاد لنفسه وأولاده.

ولعل من هذا القبيل، ما رواه أنس بن مالك: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ"[(٢)].

قال النووي: "في الحديث كراهة تمنى البلاء، لئلا يتضجر منه ويسخطه وربما شكا"[(٣)]. فكان هذا التوجيه النبوي الشريف لأجل أن يرفق المدعوون بأنفسهم فلا يتعجلوا العقوبة في الدنيا.

ولعل أيضًا من قبيل رفق المدعو بنفسه، نَهْيُ النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب الضر الدنيوي الذي ينزل بالنفس، لأن في هذا حرمانًا للنفس من خير كثير وإن بدا للمدعو عكس هذا الأمر. قال النبي ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا للموت. فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي"[(٤)]، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في شرحه لهذا الحديث: "هذا نهى عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف أو وقوع في شدة ومهلكه أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها:

أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته والتضجر ينافي ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين ١٥٦٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج ١٥/١٧/٩، ط دار عالم الكتب.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٥١، ومسلم ٢٦٨٠.

ومنها أنه يضعف النفس ويحدث الخور والكسل ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها. وبقية عمر المؤمن لا قيمة له. فكيف يتمنى انقطاع عمل، الذرة منه خير من الدنيا وما عليها؟!

وخص من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل:

لقد علل النبي ﷺ نهيه عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال، بأن ذلك الدعاء قد يوافق ساعة استجابة من الله عز وجل، فيستجيب سبحانه وتعالى الدعاء؛ فيندم الإنسان بعد ذلك أشد الندم، لكونه استجاب (أي الإنسان) لغضبه، فدعا بما هو في الحقيقة ضرر له، فإن الضرر اللاحق بالولد أو المال كالضرر يلحق بالنفس، كلاهما يصيب المرء بالأذى والتضجر والتسخط فضلاً عن الندم والحسرة.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص٢٥١-٢٥٢، شرح الحديث رقم ٧٧ نقلًا عن الدعاء مفهومه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٠-٧١.

الحديث رقم (١٥٠٠)

١٥٠٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**اقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأكْثِرُوا الدُّعَاءَ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث أن العبد في تقلبه في حياته بين قرب من ربه بطاعة، وبعده عنه بمعصية، ويقرر أن ساعات القرب لا تتساوى في القرب فبعضها أقرب من بعض ويشير إلى أن أقرب هذه المواطن هو موطن السجود الممثل لقمة الذل لله في الظاهر على الهيئة، وفي الباطن بالخضوع، والخشوع، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه .

---

(١) برقم (٢١٥/٤٨٢)، وتقدم برقم (١٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله:

هذا واضح من قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فدل ذلك على فضل السجود، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه ما يدل على استحباب الدعاء في السجود، وفيه ما يدل على أن قرب العبد من ربه، إنما هو عند انتهائه في التواضع إلى غاية وسعه، فإن حالة سجود العبد هي غاية ما يناله وسعه من الخضوع بين يدي ربه"(١). وقال ابن القيم: "أما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصًا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢).

والثاني: قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"(٣)، و"أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل"(٤). فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون صمًا ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٥).

فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧٢/٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٩٢، ومسلم ٢٧٠٤.

الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطى، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رب من يدنو ويزعم أنه يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله، وورثته، وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها: يجدون نفوسهم أقرب إليه وهم في الأقطار النائية عنه من بعض جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من بعض جيرانها ومن حولها. هذا مع عدم تأتي القرب منها فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستو على عرشه؟ وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله خلى من محبته ومعرفته.

والقصد: أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حبا ازداد قربا فالمحبة بين قربين: قرب قبلها وقرب بعدها وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها، ودلت عليها، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها"[1].

وقال ابن القيم: كذلك في معرض ذكره لمذهب طائفة من العلماء في ترجيح أن التائب إلى الله توبة نصوحًا أفضل من المطيع الذي لم يعصه، قال:

"الوجه الثالث: أن عبودية التوبة فيها من الذل والانكسار والخضوع والتملق لله والتذلل له ما هو أحب إليه من كثير من الأعمال الظاهرة وإن زادت في القدر والكمية على عبودية التوبة فإن الذل والانكسار روح العبودية ومخها ولبها يوضحه:

الوجه الرابع: أن حصول مراتب الذل والانكسار للتائب أكمل منها لغيره، فإنه قد شارك من لم يذنب في ذل الفقر والعبودية والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه بالمعصية والله سبحانه أقرب ما يكون الى عبده عند ذله وانكسار قلبه كما في الأثر الإسرائيلي "يا رب أين أجدك" قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"[2] ولأجل هذا كان

---

(١) مدارج السالكين ٢/٦١٣-٦١٤.

(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل، ٧٥.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه"[١].

وقد ورد في فضل السجود لله أحاديث منها:

«إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي فيقول : يا ويله أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنةُ، وأُمرت بالسجود فأبَيت فلي النار»[٢].

وقال ربيعة بن كعب ﷺ: قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: سل. فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة. قال: أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك. قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود"[٣].

وقال النبي ﷺ: "عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة"[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[٥]، قال النووي: "إن السجود غاية التواضع والعبودية لله، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن"[٦].

وقال الطيبي: "فلا يزال العبد يترقى بالمداومة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب إلى الله سبحانه وتعالى"[٧].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود:

هذا واضح من الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" قال النووي: "فيه الحث على الدعاء في السجود"[٨].

---

(١) مدارج السالكين ٥٢٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨١.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٥) سورة العلق، آية: ١٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/٢١٤ ط دار عالم الكتب.

(٧) شرح الطيبي على المشكاه ٣٤٤/٢.

(٨) شرح صحيح مسلم مج٢/٤/٢٠٨.

قال ابن حجر: "الأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل على تكثير الطلب لكل حاجة. كما جاء في حديث أنس: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله» أخرجه الترمذي[1]. ويشمل التكرار للسؤال الواحد والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه"[2].

وقد قال ﷺ: « أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، وَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ. فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[3].

قال الصنعاني: "الحديث دليل على مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان، من طلب خيرى الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة"[4]، قال القرطبي المفسر: "قال علماؤنا: وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة، وله العزة التي لا مقدار لها، فكلما بعدت من صفته قربت من جنته، ودنوت من جواره في داره"[5].

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ في دعائه في سجوده، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"[6].

قال عبدالله البسام: "الذكر في غاية المناسبة طافية من التذلل والتضرع لله تعالى، وتنزيهه تعالى عن النقائص والعيوب وإثبات المحامد له، ثم بعد هذا كله سؤاله المغفرة، هذا والعبد في غاية الذل والخضوع لله تعالى راكعًا وساجدًا"[7].

---

(١) سياتي تخريجه قريبًا، وهو حديث ضعيف.

(٢) فتح الباري ٢/٣٥٠، ط الريان.

(٣) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٤) سبل السلام ٢٠٣ ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، مج١٠/٢٠/١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٨١٧، ومسلم ٤٨٤.

(٧) توضيح الأحكام ٢/٦٢.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: "اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"[١].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٢].

شرح ابن عثيمين: "أقرب ما يكون الإنسان من ربه وهو ساجدٌ، وذلك لأنه في السجود كمال الخضوع لله عز وجل. لأنك تضع أشرف أعضائك وأعلى أعضائك تضعها في الأسفل في موضع الأقدام تعظيمًا للرب عز وجل فيأبى الله تعالى إلا أن يقرب منك في هذا الحال، وأنت تقرب من ربك، فأكثروا من الدعاء وأنتم سجود في الفرائض والنوافل، أكثر من الدعاء في أمور الدنيا وأمور الآخرة، كله خير، حتى لو كنت تدعو الله في أمور الدنيا وأنت ساجد فهو خير، لأن الدعاء نفسه عبادة، لو قلت: اللهم كثر مالي، اللهم هيئ لي سكنًا جميلاً، اللهم هيئ لي سيارة مريحة، وما أشبه ذلك فلا بأس به. ولو كان في الفريضة اللهم اغفر لي ولوالدى. لأن الدعاء عبادة، فأى شيء تدعو به الله فإنه عبادة، أى شيء، حتى جاء في الحديث: "ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله"[٣]، شراك النعل: شيء زهيد ولكن تسأل الله كل شيء، لأن كل شيء تسأله الله فهو عبادة لك، ثم اعلم أنك إذا سألت الله فإنك رابح في كل حال، لأنه إما أن يعطيك ما تسأل أو يصرف عنك من السوء ما هو أعظم، أو يدخر ذلك لك عنده يوم القيامة أجرًا، فمن دعا الله تعالى فإنه لا يخيب"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤/٨م، من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ» وضعفه الترمذي كما ضعفه الألباني، والشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم. والشراك: سير النعل على ظهر القدم. المعجم الوسيط، ٤٨٠، ٤٨١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٦/٢.

الحديث رقم (١٥٠١)

١٥٠١- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((يُستَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعوتُ رَبِّي، فَلَمْ يستَجب لِي)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلم[2]: ((لا يَزالُ يُستَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)) قيل: يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال؟ قَالَ: ((يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أرَ يستَجِيبُ لي، فَيَستحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما لم يعجل: ما لم يستعجل الإجابة[3].

فيستحسر: يمل وينقطع[4].

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال من حيث البداية بلفظ البشارة، (يستجاب) وبناء الفعل للمفعول للعلم به وهو الله تعالى، لفظ (يستجاب) يوحي بتحقق الطلب وبلوغ الأرب، وهو من هوى النفس، وطبيعتها يحقق الترقب، والتشويق لما بعده، وقوله (لأحدكم) أي كل واحد منكم إذ اسم الجنس المضاف يفيد العموم على الأصح قوله (ما لم يعجل) المعنى أنه يسأم ويترك الدعاء فيكون كالمان بدعائه أو إنه يأتي من الدعاء بما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقوله (يقول: قَدْ دَعوْتُ) حكاية قول الداعي بيان لموضع الخطأ، وتوكيد الفعل بقد مع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥/٩٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٢) برقم (٢٧٣٥/٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٣) ينظر فتح الباري، ١٩٧/٨.

(٤) النهاية في (ح س ر)، شرح مسلم، النووي ١٦٠٤.

صياغته في الماضي يوحي بيأسه لعدم تحقق الإجابة مع سبق تحقق الدعاء وهو ما يوحي بعدم جدوى عمله -في نظره- وقوله (فلم يستجب لي) وهو إما استبطاء، أو إظهار يأس، وكلاهما مذموم أما الأول فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون، وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها ادخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم.

ثالثًا: من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء:

هذا واضح من الحديث: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي" وكذلك الرواية التي عند مسلم، قال النووي: "فيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة"[1].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن استعجال المرء إجابة دعائه إذا دعا[2]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقد وقع في رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي[3]: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل. قيل: وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر

(١) شرح صحيح مسلم مج٩/١٧/٥٤، ط دار عالم الكتب.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/٢٥٦، ٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء". ومعنى قوله "يستحسر"، وهو بمهملات، ينقطع. وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أنه يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام، وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة[1]. قال الداودي: يخشى على من خالف وقال: قد دعوت فلم يستجب لي أن يحرم الإجابة، وما قام مقالها من الادخار والتكفير انتهى"[2].

قال أبو العباس القرطبي: (والقائل: قد دعوت، فلم أر يستجاب لي، ويترك -قانطًا- من رحمة الله، وفي صورة الممتن بدعائه على ربه، ثم إنه جاهل بالإجابة، فإنه يظنها إسعافه في عين ما طلب، فقد يعلم الله تعالى: أن في عين ما طلب مفسدة، فيصرفه عنها، فتكون إجابته في الصرف، وقد يعلم الله أن تأخيره إلى وقت آخر أصلح للداعي، وقد يؤخره؛ لأنه سبحانه يحب استماع دعائه، ودوام تضرعه، فتكثر أجوره حتى يكون ذلك أعظم وأفضل من عين المدعو به لو قضى له، وقد قال ﷺ: «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إلاَّ كَانَ بَيْنَ إحْدَىٰ ثَلاَثٍ، إمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ»[3]. ثم بعد هذا كله فإجابة الدعاء -وإن وردت في مواضع من الشرع مطلقة- فهي مقيدة بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[4])[5].

وقد اعتبر ابن القيم استعجال الاستجابة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، فقال: "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل

---

(١) نقل ابن القيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء. فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه، الداء والدواء ٢٤.

(٢) فتح الباري ١١/١٤١، ط السلفية.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٢٧).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) المفهم ٧/٦٣

يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم:

وذلك لأن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم يمنع من استجابة الدعاء، ودليل ذلك قوله ﷺ: "لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم".

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: إشعار العبد بأن الله سبحانه يجيب كل داع على الإطلاق؛ إلا أنه قد يكون سوء اختيار الداعي ما لا يرضى الله، لفضله أن يجعله تبعًا لسوء ذلك الاختيار، فيكون إما أن يدعو بإثم قد شرع الله فيما أوجب على عبده ألا يأتيه، فكيف يصلح لعبد أن يسأل الله سبحانه أن يُؤْتِيَه ما هو نهي عنه؛ أو يكون قد أداه سوء اختياره إلى طلب الأدنى بدلاً من الذي هو خير؛ فيكون من نظر الله له ان لا يسرع إجابته، أو يكون قد دعا عبد على عبد، وقد دعا ذلك المدعو عليه على الداعي عليه، فترتفع الدعوتان إلى الله عز وجل فيتعارض السؤالان، فيكون من جود الله سبحانه وفضله ألا يرد هذا ولا هذا؛ ولكن يترفق بهما معًا إلى أمد: إما بأن يصلح بينهما أو يؤخرهما ليصطلحا، فترديد الخصوم يفضي إلى صلحهم، أو يكون حين دعا الداعيان أحدهما أرحم وأرفق بالآخر، فيسرع إجابة الأرفق والأرحم نظرًا منه سبحانه لهما كليهما؛ أو يدعو والد على ولده في غيظة أو ضجره، فيؤخر الله إجابته عالمًا سبحانه من الوالد أنه سيشكر بعد قليل ترك الإجابة.

فإذا غفل الداعي عن حكمة الله تعالى التي هذه الوجوه التي ذكرناها بعضها وجزء منها، فنسب تأخير الدعاء إلى ما يناسب سوء اختياره ولا يناسب جود الله وحكمته، فطفق يقول لنفسه أو لغيره: دعوت فلم يستجب لي، مثريًا[٢] بذلك لجهله"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن إجابة الدعاء لابد لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به، فمن شرط الداعي بأن يكون عالمًا بأنه لا قادر على

---

(١) الداء والدواء ١٣.

(٢) المثرب: القليل العطاء، وبالتشديد: المخلّط المفسد، القاموس المحيط، ٦٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٢٤٥، ٢٤٦.

حاجته إلا الله تعالى، وأن الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة، وحضور قلب، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، كما قدمناه، وألا يحل من الدعاء فيتركه ويقول: قد دعوت فلم يستجب لي كما قال في الحديث.

ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا، كما قال: ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في قطيعة الرحم جميع حقوق المسلمين، ومظالمهم. وقد بينا أن الرحم ضربان: رحم الإسلام، ورحم القرابة"[١].

"ومثل الدعاء بالإثم: كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنًا للخمر أو أن يميته الله كافرًا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور. الدعاء بقطيعة الرحم. كأن يقول: اللهم فرق بين فلان وأمه أو أقاربه أو زوجته أو يقول: "اللهم فرق شمل المسلمين وخالف بين كلمتهم"[٢]، ولا شك أن الدعاء بمثل هذه الأشياء نوع من أنواع الإثم، "فلا يستجاب له لأن الدعاء بالإثم ظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣]"[٤]، ومن ناحية أخرى، فإنه لكى "يكون الدعاء مقبولاً عند الله - فلابد أن يكون في الخير بعيدًا عن الإثم وقطيعة الرحم"[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه:

وهذا واضح من الحديث: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ». قال النووي: "قال أهل اللغة يقال: حسر واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء"[٦]. قال

---

(١) المفهم ٢/٦١، ٦٢.

(٢) الدعاء "مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٢١، ١٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٨.

(٥) الدعاء مفهومه ... ٢١.

(٦) شرح صحيح مسلم مج ٩/١٧/٥٤، ط دار عالم الكتب.

الطيبي: "قال المظهر: من كان ملاله من الدعاء لا يقبل دعاؤه؛ لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة، أو لم تحصل، فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها؛ فإن لكل شيء وقتًا. وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا. ليعطي عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليلح، ويبالغ فيها، فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء"[1].

قال القرطبي: "وفائدة هذا: استدامة الدعاء، وترك اليأس من الإجابة، ودوام رجائهما، واستدامة الإلحاح في الدعاء؛ فإن الله يحث الملحين عليه في الدعاء، وكيف لا؟ والدعاء مخ العبادة وخلاصة العبودية"[2].

وقال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض"[3].

قال بكر بن عبدالله أبو زيد: "الاستحسار: ترك الدعاء تعبًا وملًا، قال الله تعالى في مدح ملائكته: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[4]". لا يستحسرون: أى لا يتعبون. وذكر الزبيدي في تاج العروس[5]: وفي الحديث: ادعوا الله ولا تستحسروا، أى لا تملوا..انتهى. والأحاديث في النهى عن استبطاء الإجابة دالة على النهى عن الاستحسار"[6].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٤/٣٠٤.

(٢) المفهم ٦/٦٣.

(٣) فتح الباري ١١/١٤١، ط السلفية.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) تاج العروس ١١/١٢.

(٦) تصحيح الدعاء ٦٧.

الحديث رقم (١٥٠٢)

١٥٠٢- وعن أَبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوباتِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

جوف الليل الآخر: أي ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل[2].

دبر الصلوات المكتوبات: بعد الصلوات الواجبات المفروضات[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (قيل) تجاوز عن ذكر الفاعل للجهل به أو لعدم تعلق غرض بذكره وقول السائل (أيُّ الدُّعاء أَسْمَعُ؟) استفهام على حقيقته يوحي بنفس طامحة إلى ذروة العمل والمعالي لها في كل زمان رجالها، وقوله (أسمع) أفعل تفضيل يشير إلى قمة أوقات الاستجابة والقبول، وقوله (أي الدعاء أسمع؟) أي أقرب إلى أن يسمعه الله أي يقبله قال

---

(١) برقم (٣٤٩٩). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٧): وفيما قاله نظر. لأن له عللًا. إحداهما: الانقطاع، قال العباس الدوري في تاريخه (٢/٣٤٨) عن يحيى بن معين: لم يسمع عبد الرحمن بن سابط من أبي أمامة. ثانيتها: عنعنة ابن جُريج. ثالثتها: الشذوذ، فإنه قد جاء عن خمسة من أصحاب أبي أمامة أصل هذا الحديث من رواية أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة، واقتصروا كلهم على الشقّ الأول. أخرجه النسائي في الكبرى (٥٨٥٦)، والطبراني في الدعاء (١٢٨) ولفظه: ((قلتُ: يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى – يعني: الإجابة؟- وهل من ساعة ينبغي ذكرها؟ قال: نعم. إنَّ أقرب ما يكون العبد من الدعاء جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكونَ ممّن يذكر الله تلك الساعة، فافعل)). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٨): هذا حديث صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٥).

(٢) النهاية في (ج و ف).

(٣) المعجم الوسيط في (د ب ر)، و (و ج ب).

الطيبي أي أرجى للإجابة لأن المسموع على الحقيقة ما يقترن بالقبول ولا بد من مقدر إما في السؤال أي أوقات الدعاء أقرب إلى الإجابة ؟ وإما في الجواب أي دعاؤه في جوف الليل، وقوله (وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ) وال في الصلوات للعهد أي المعهودات، والتي أكدها بقوله (المكتوبات) أي الخمس صلوات المفروضات، والتعبير بالكتابة يفيد شدة الإلزام والفرض ودبر كل شيء عقبه، وآخره وهو موطن إجابة يمثل منحة، وتكريما للمصلين يتكرر خمس مرات بتكرار الصلوات الخمس بحيث لا يبقي لمصل حاجة إلا قضيت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

فالحديث مداره على السؤال من قبل المدعوين، والجواب من الرسول ﷺ، فإن المدعو ما دام مشغولاً بالطاعة والإقبال على ربه، فإنه يعنٌ له في خاطره أسئلة يحتاج إلى الجواب عليها من قبل الداعية، الذي يكون عنده العلم الصحيح، فيرشد المدعو ويدله على طريق الخير، وهنا جال في خاطر بعض الصحابة -وهو من المدعوين وساداتهم- سؤال عن أفضل الساعات لإجابة الدعاء، فهو يريد أن يتحرى هذا الوقت حتى يكون دعاؤه أشد استجابة وأرجى قبولاً من الله. فأرشده النبي ﷺ إلى وقتين: الدعاء في جوف الليل الآخر، والدعاء أدبار الصلوات المكتوبة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة:

هذا واضح من سؤال الصحابي: "أي الدعاء أسمع؟ "أى أوفق لاستماع الدعاء فيه وأولى بالاستجابة"[1]. وقال الطيبي: "قال التوربشتي: أى أرجى للإجابة، فالسمع هو الذي

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤٤٥.

يرد بمعنى الإجابة مجازًا، لأن القول المسموع على الحقيقة هو ما يقترن بالقبول من السامع"[١].

أما "جوف الليل الآخر: وهو آخر الليل"[٢]، فقد ورد في فضله أحاديث نبوية منها: قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٣].

وقال ﷺ كذلك: "أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"[٤].

قال الطيبي: في قوله: (فإن استطعت) إشارة إلى تعظيم شأن الأمر وتفخيمه، وفوز من يستعد له، ومن ثم قال: "أن تكون ممن يذكر الله"، أى تنخرط في زمرة الذاكرين لله، ويكون لك مساهمة فيهم، وهو أبلغ من أنه لو قيل: إن استطعت أن تكون ذاكرًا"[٥].

وقال ابن بطال - كما نقل ابن حجر عنه- في بيان فضل الدعاء في آخر الليل: "هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤالهم وغفران ذنوبهم. وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٣٠/٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٦٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) شرح الطيبي ١٢٩/٣.

(٦) فتح الباري ١٢٩/١١. ط السلفية.

أما الدعاء دبر الصلوات المكتوبة، فقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالدعاء دبر كل صلاة، فعن معاذ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يامعاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة، تقول اللهم أعِنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[١].

"هذا وقد اختلف في قوله دبر كل صلاة هل هو قبل السلام أو بعده"[٢].

قال ابن القيم: "ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام، وبعده، وكان شيخنا - يعني ابن تيمية- يرجح أن يكون قبل السلام"[٣] فراجعته فيه، فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان"[٤].

وقال ابن عثيمين: "أدبار الصلوات يعني أواخرها، وهذا قد أرشد إليه النبي ﷺ حين ذكر التشهد، ثم قال بعد ذلك، "ثم ليتخير من الدعاء ما يشاء"[٥]، وليس المراد بأدبار الصلوات هى ما بعد السلام، لأن ما بعد السلام في الصلوات هو ليس محل دعاء إنما هو محل ذكر، لقول لله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[٦]، ولكن المراد بأدبار الصلوات المكتوبة أواخرها"[٧].

لكن البخاري ترجم في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة[٨]. فقال ابن حجر: قوله: "باب الدعاء بعد الصلاة" أي: المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، والنسائي ٣٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٢) الدعاء مفهومه ... ٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٦٤٥-٦٥٢ ط العبيكان، ٢٢/٤٩٢-٥٠٥ ط ابن قاسم.

(٤) زاد المعاد ١/٣٠٥.

(٥) أخرجه البخاري ٨٣٥، ومسلم ٤٠٢.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٨.

(٨) الحديثان، ٦٣٢٩، ٦٣٣٠.

الله بن الحارث عن عائشة كان النبي ﷺ "إذا سلّم لا يَثْبُت إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[١]، والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره جالسا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه " كان إذا صلى أقبل على أصحابه "[٢]، فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، قال ابن القيم في "الهدي النبوي"[٣]: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدى النبي ﷺ أصلا، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن، وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما، قال: وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها، قال، وهذا اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه مناجيه، فإذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال: لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة، قلت "القائل ابن حجر": وما ادعاه من النفي مطلقا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له " يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٤].

وحديث أبي بكرة في قول "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر،

---

(١) اخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٨٤٥، ومسلم، ٢٢٧٥. واللفظ للبخاري.

(٣) زاد المعاد ٢٥٧/١.

(٤) اخرجه ابو داود، ١٥٢٢ والنسائي، ١٣٠٣، وابن خزيمة، ٧٥١، وابن حبان، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، والحاكم ٢٧٣/١. وانظر تخريجه في صحيح ابن حبان.

كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة"[١]، وحديث سعد الآتي في " باب التعوذ من البخل " قريبا ، فإن في بعض طرقه المطلوب[٢]، وحديث زيد بن أرقم "سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر كل صلاة: اللهم ربنا ورب كل شيء" الحديث أخرجه أبو داود والنسائي[٣]، وحديث صهيب رفعه " كان يقول إذا انصرف من الصلاة: اللهم أصلح لي ديني " الحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان[٤] وغير ذلك.

فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد ، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعا ، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد قيل: "يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات"[٥]، قال ﷺ: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة " وفهم كثير من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا ، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ"[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦/٥، ٣٩/٥، رقم ٢٠٣٨١، ٢٠٤٠٩، وقال محققو المسند إسناده قوي على شرط مسلم أ. هـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧/٣٤، ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٨٢٢، ٦٣٧٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/٤، رقم ١٩٢٩٣، وقال محققو المسند إسناده ضعيف أ.هـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٣٨/٣٢.

(٤) أخرجه النسائي ٧٣/٣، وابن خزيمة ٧٤٥، وابن حبان ٢٠٢٦، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن النسائي ٧٣).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢) وهو حديث الباب.

(٦) فتح الباري ١٣٣/١١، ١٣٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٥٠٣)

١٥٠٣- وعن عُبَادَةَ بنِ الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَا عَلَى الأرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله تَعَالَى بدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ إيَّاها، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: ((اللهُ أكْثَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ورواه الحاكم[2] من روايةِ أَبي سعيدٍ، وزاد فيهِ: ((أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مثْلَها)).

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٨٦).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول فوائد الدعاء، وأنه لا تضيع لداع عند الله دعوة أبدا، وقوله (مَا عَلَى الأرْضِ) استغراق للمكان يستوعبه كله، وفيه إشارة إلى عالمية الرسالة المحمدية التي سيعم نورها ربوع الأرض، وتنكير لفظ (مسلم) يفيد عموم المسلمين، ويتضمن حرمان غيرهم من هذا الفضل، وقد جاء في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء الذي يقصر دعوة الداعي المسلم على الإجابة لا تتعداها إلى الحرمان، وبين قوله أتاه، وصرف طباق يؤكد المعنى، ويشير إلى أن العبد دائر بين استجابة دعائه، وبين صرف الضر عنه، وبناءً عليه فإن أكثر الناس دعاءً أكثرهم سعادة في الدنيا، والآخرة لأن كثرة الدعاء تحقق لهم ما يتمنون، وتصرف عنهم البلاء والمصائب، كما تمهد لهم أخراهم كما مهَّدت لهم دنياهم، وقوله (مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) احتراس عن

---

(١) برقم (٣٥٧٣). وقال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ غريبٌ. وقال الحافظ في الفتح (١١/٩٦): حديثٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢٥).

(٢) (١/٤٩٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه.. تنبيه: هذا الحديث عزاه المنذري في ترغيبه (٢/٤٧٤) إلى الترمذي والحاكم، وقال: كلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. فانتبه لهذا الخطأ الإمام النووي رحمه الله، ولأجل ذلك قال: ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد.

الدعاء بما فيه إثم، أو ما يتسبب في قطيعة الرحم، لأن الدعاء بر يجب أن يصرف في بر لا في إثم.

الشرح الأدبي

إن الدعاء مخ العبادة، والمصطفى ﷺ في هذا الحديث يرغب كل مسلم في أن يكون على صلة بربه عز وجل، قولاً وعملاً، والدعاء الصادر من قلب نابض بالإيمان، متعلق بمحبة الله عز وجل، تفتح له أبواب السماء، ويستجيب له الرحيم الرحمن، الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء.

والحديث الشريف حين نتأمل أسلوبه الرصين، وبيانه العذب الجميل نجده مُفعمًا بالظواهر الأسلوبية التي تقرب المعنى، وترغب كل مسلم في الإقبال على الدعاء، وهو متسلح باليقين والرجاء، ويبدأ الحديث بأسلوب القصر في الجملة الأولى، عن طريق النفي والاستثناء، وهو يدل على الحصر والاستقصاء، ويُطمئن كل مسلم على إجابة الدعاء أو صرف السوء، أو ادخار الأجر عند الله عز وجل، وتأمل هذا الترغيب الجميل في بداية الحديث "ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ... الحديث".

وقوله: "على الأرض" يفيد العموم والشمول، والمراد: كل مكان على وجه المعمورة في أي زمن، وفي أي مكان يكون الدعاء، وتكون الإجابة، وتنكير كلمة (مسلم) للتعميم والشيوع، وعدم تحديد هذا المسلم بشخص أو مكان، أو زمان، أو عنصر، أو قبيلة، وإنما: الصفة مجردة من أي تحديد إلا أن يكون مسلمًا: مصدقًا بالجنان، مقرًا باللسان، عاملاً بالأركان.

وكذلك تنكير كلمة "دعوة"، وتنوينها لدلالة الشيوع كما قال العلماء: ليشمل الدعاء بالجليل والحقير، وبالقليل والكثير؛ وقوله: "آتاه الله إياها" يفيد الإعطاء وذلك لمزيد من اليقين والاطمئنان، وهذا التعبير أبلغ من قوله مثلاً إلا أجابه أو استجاب له، ولذلك تكرر لفظ الجلالة، والضمير العائد على الدعوة جاء بارزًا منفصلاً "إياها"، لمزيد من التأكيد على استجابة الله للدعاء وتحقيق الرجاء، و"أو" للتنويع، حتى

لا ييأس المسلم الذي لا يتحقق رجاؤه المباشر القريب الذي حدده، وإنما يتمثل كرم الله تعالى وعطائه في صرف السوء عن العبد، والسوء كلمة تشع بكثير من الدلالات: فهي اسم من ساء وتدل على كل آفة تصيب الإنسان، وقيل السوء هو، البَرَص، ومن معاني: السوء، الهزيمة والشر والرَّدى والفساد، والله تعالى يصرف عن المسلم كل هذا مكافأة على الدعاء.

ويتسم الحديث بصيغة الحوار الترغيبي بين رسول الله ﷺ وبعض الصحابة الذين اطمأنوا ورغبوا في المزيد من الدعاء في قول أحدهم: إذًا نكثر، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكثر)، وأسلوب التفصيل هنا له دلالته في إشاعة الاطمئنان واليقين في قلب كل مسلم يدعو الله عز وجل، في أن الله تعالى أكثر عطاء ونوالاً مما يطلبون ويسألون.

وبلاغة الحذف من سمات الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: ويتجلى ذلك في سياق تحديد آداب الدعاء: فالمسلم لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، والجملة تتضمن معنى الشرط، وجواب الشرط محذوف لأنه لا يُستَحبُّ ذِكرُه، وهو عدم إجابة الدعاء والتقدير: فإذا دعا بإثم أو قطيعة رحم فلا يستجاب له، وفي قوله: إذًا نكثر، حذف لأن تقدير الجملة - كما يقول صاحب دليل الفالحين، إذا كانت الدعوة بما عدا ما ذكر مجابة نكثر من سؤال خيري الدارين، وتأتي إجابة رسول الله مُتشحةً بالإيجاز والبلاغة في قوله ﷺ: الله أكثر، والمحذوف يفتح آفاقًا من الرجاء والعطاء، حتى يطمئن كل مسلم أوّاب وهو يدعو العزيز الوهاب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء.

ثانيًا: من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده.

رابعًا: من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء:

هذا واضح من الحديث: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاّ آتَاهُ اللهُ

إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» والحديث رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قَالُوا: إذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّه أَكْثَرُ»[(١)].

وفي حديث جابر بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «دعاء المسلم بين إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته التي سأل، أو يرفع بها درجة، أو يحط بها عنه خطيئة ما لم يدع بقطيعة رحم أو مأثم، أو يستعجل»[(٢)].

وعن عائشة ﷺ قالت: «ما من عبد يدعو الله بدعوة فتذهب حتى يعجل له في الدنيا أو تدخر له في الآخرة إذا هو لم يعجل أو يقنط. قال عروة بن الزبير: يا أمتاه وكيف عجلته وقنوطه؟ قالت: يقول: قد سألتُ فلم أعط، ودعوتُ فلم أُجَبْ»[(٣)].

وقال ابن عباس: "كل عبد دعا استجيب له، فإن كان الذي يدعو به رزقًا له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقًا له في الدنيا ذخر له"[(٤)].

قال السندي: "قوله إحدى ثلاث"، لعل هذا هو المراد بنحو قوله: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[(٥)]. وقوله: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[(٦)]. وعلى هذا لا ينبغي للعبد أن يقول: دعوت فلم يُسْتَجْبْ لي[(٧)].

قال ابن حجر: "إن كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا

---

(١) أخرجه أحمد ١٨/٣، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد ٣٠٤/٧، موسوعة شروح الموطأ.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد، ٣٠٦/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج١/ج٢/٣١٠.

(٥) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد ٢١٥/١٧.

به وتارة بعوضه"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "وإن دعوة المؤمن لا ترد، وأنها إما أن تعجل له الإجابة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخر له في الآخرة خير مما سأل،... وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم واستقبال القبلة"[٢].

قال ابن القيم: "ليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنده به، وكان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرةٍ وإنما تنصرون من السماء"، وكان يقول: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه"... فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٤]"[٥].

وقال ابن هبيرة عن ادخار إجابة الدعاء ليوم القيامة: "قد أخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فحينئذ يصرف الإجابة من الدنيا إلى الآخرة، ويجيبه في دعوات معدودة لأوقات معلومة أحوج ما كان لأنفع ما تكون بأن يقال له: دعوت في وقت كذا بكذا فمنع من إجابتك كذا وادخر لك إلى اليوم فاطلب كذا. فيودُّ كل من أجيب إلى الدعاء في الدنيا أنه لم يكن أجيب، لما يرى من ربح من أخرت إجابته"[٦].

---

(١) فتح الباري ١١/٩٥-٩٦ ط السلفية.

(٢) فتح الباري ١١/١٤١.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٥) الداء والدواء ٢٣-٢٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٢٤٦، ٢٤٧.

لكن الإمام القرطبي المفسر: يذكر أن في إجابة الدعاء أقوالاً، فيقول: فإن قيل: فما للدّاعي قد يدعو فلا يُجَاب؟ فالجواب أن يُعلم أن قوله الحق في الآيتين «أجيب» «أَسْتَجِبْ» لا يقتضي الاستجابة مطلقًا لكل داعٍ على التفصيل، ولا بكلّ مطلوب على التفصيل، فقد قال ربُّنا تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]، وكل مُصِرٌّ على كبيرة عالمٍ بها أو جاهلٍ فهو مُعْتدٍ، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له؟

وأنواع الاعتداء كثيرة؛ يأتي بيانها هنا وفي «الأعراف» إن شاء الله تعالى[2].

وقال بعض العلماء: أجيب إن شئتُ؛ كما قال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[3]، فيكون هذا من باب المطلق والمقيّد. وقد دعا النبيّ ﷺ في ثلاثٍ فأُعْطِيَ اثْنتين ومُنع واحدة، على ما يأتي بيانه في «الأنعام» إن شاء الله تعالى[4].

وقيل: إنما مقصود هذا الإخبار تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أنه يجيب دعاء الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾[5]، الآية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٢) قال القرطبي: والاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالبًا معصية وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظ مقفرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٨/٩ ؛ ط مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٤) عند آية ٦٥ من سورة الأنعام، وقد ساق حديث خباب بن الأرت مرفوعًا "إني سألت الله ثلاثًا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها" أخرجه أحمد ٢١٠٥٣/٣٤، والترمذي ٢١٧٥، والنسائي ٢١٦/٣، ٢١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٥.

وقد يجيب السيّدُ عبدَه والوالدُ ولدَه ثم لا يعطيه سُؤْله. فالإجابة كانت حاصلة لا محالَة عند وجود الدعوة؛ لأنّ أُجيبُ وأَستَجبْ خبر لا يُنسخ فيصير المخبر كذابًا. يدلّ على هذا التأويل ما روَى ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «من فُتح له في الدعاء فُتحت له أبواب الإجابة»[١].

وأوحى الله تعالى إلى داود: أنْ قل للظلمة من عبادي لا يدعوني فإني أوْجبت على نفسي أن أجيب من دعاني وإني إذا أجبت الظلمة لعنتهم[٢].

وقال قوم: إن الله يجيب كلّ الدعاء؛ فإمّا أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإمّا أن يكفّر عنه، وإمّا أن يدّخر له في الآخرة؛ لما رواه أبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إمّا أن يُعجّل له دعوته وإمّا أن يدّخر له وإمّا أن يكفّ عنه من السوء بمثلها». قالوا: إذن نُكثر؟ قال: «الله أكثر»[٣].

قلت - أبو العباس القرطبي - وحديث أبي سعيد الْخُدْرِيّ وإن كان إذنًا بالإجابة في إحدى ثلاث فقد دلّك على صحة ما تقدّم من اجتناب الابتداء المانع من الإجابة حيث قال فيه: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم» وزاد مسلم: «ما لم يَستعجل». رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم ما لم يَستعجِل قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال يقول قد دَعوتُ وقد دَعوتُ فلم أر يستجيب لي فيَستَحْسِر عند ذلك ويَدَعُ الدعاء»[٤].

وروى البخاريّ ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٥٤٨، وضعفه الترمذي

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٥٨/١١، ٢٠١/١٣، وأحمد في الزهد ص٩٢، وهناد في الزهد، ٧٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧٤٨٣ من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، نقلًا عن تحقيق تفسير القرطبي، ١٨٠/٣، مؤسسة الرسالة.

(٣) أخرجه أحمد ١٨/٣ رقم ١١١٣٣، وقال محققو المسند: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

«يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل يقول دَعوتُ فلم يُستجب لي»[(١)].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: يحتمل قوله «يُستجاب لأحدكم» الإخبار عن (وجوب) وقوع الإجابة، والإخبار عن جواز وقوعها؛ فإذا كان بمعنى الإخبار عن الوجوب والوقوع فإن الإجابة تكون بمعنى الثلاثة الأشياء المتقدّمة. فإذا قال: قد دعوت فلم يُستجب لي، بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الأشياء وعَرِيَ الدعاء من جميعها. وإن كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصّةً، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوتُ فلم يُستجب لي؛ لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسّخط.

قال أبو العباس القرطبي: ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «الرجل يُطيل السّفَر أشْعَثَ أغْبَر يمدّ يديه إلى السماء يا رَبّ يا رَبّ ومَطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك»[(٢)] وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء مَن هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بدّ لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به. فمن شَرْط الداعي أن يكون عالمًا بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخّرة بتسخيره، وأن يدعو بنيّة صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، وألا يملّ من الدعاء. ومن شَرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا؛ كما قال: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعةِ رَحِم» فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرَّحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم[(٣)].

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ: شروط الدعاء سبعة: أوّلها التضرّع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء: إن للدّعاء أركانًا وأجنحة وأسبابًا وأوقاتًا؛ فإن وافق أركانه قَوِيَ،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٤٠، ومسلم ٢٧٣٥، وأبو داود١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٣) انظر: المفهم أبو العباس القرطبي، ٦٢/٧، ٦٣.

وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقيل: شرائطه أربع: أوّلها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يَحِلّ، وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل: إنّ مِن شَرْط الدعاء أن يكون سليمًا من اللّحن؛ كما أنشد بعضهم:

ينادي ربَّه باللّحن لَيْثٌ   كذلك إذا دعاه لا يجاب[1]

وقيل لإبراهيم بن أدْهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتّبعوا سُنّته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدّوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدّوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "إن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر: من هذا الباب. وكثيرًا ما تجد أدعية دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن ان السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

---

(١) المستظرف: قافية الباء ٢/٥٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/١٧٩-١٨٣، ط مؤسسة الرسالة.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعًا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطًا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إل الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقي بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا، والساعد ساعدًا قويًا، والمحل قابلاً، والمانع مفقودا: حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير"[1].

ثانيًا - من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابة لما علموا بفضل الدعاء: "ما على مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم"، فقال: رجل من القوم: إذًا نكثر" وفي حديث أبي سعيد الخدري: قالوا: "إذًا نكثر"[2].

قال المباركفوري: "أى إذا كان الدعاء لا يرد منه شيء ولا يخيب الداعي في شيء منه نكثر من الدعاء لعظيم فوائده"[3]. وهكذا حال المدعو دائمًا يلزم الدعاء ويكثر منه، وقد قال الله عن أنبيائه عليهم السلام وهم قدوة المدعوين، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾"[4]. وقال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[5].

وقال ابن القيم: "من أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء، وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"[6]. وفي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦٨٣/٢، ٦٨٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٨/٣، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٣) تحفة الأحوذي ٣٥١٤/٢.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٨٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٠٨٥).

صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبي ﷺ: " لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد"[١].

وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب الملحين في الدعاء"[٢].

وفي كتاب الزهد[٣] للإمام أحمد عن قتادة قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة فهو يدعو: يارب يارب، لعل الله عز وجل أن ينجيه[٤].

وقال القرطبي: "الدعاء حسن كيفما تيسر وهو المطلوب من الإنسان لإظهار مَوْضع الفقر والحاجة إلى الله عزوجل، والتذلل له والخضوع"[٥].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدْعى. الثاني: الغني، فإن الفقير لا يدعي. الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى. الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى، الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى. السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى"[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "الله أكثر"، قال السندي: "أى فضله وعطاؤه أكثر من دعائكم"[٧] وقال الطيبي: "أى أكثر إجابة من دعائكم". المعنى: إن إجابة الله تعالى في بابها أكثر وأبلغ من دعائكم في بابه"[٨]، وقال المباركفوري: "وقيل : إن معناه فضل

---

(١) أخرجه ابن حبان ٨٧١، والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء ٢٠، والعقيلي في الضعفاء، ٤٥٢/٤، وابن عدى في الكامل، ٢٦٢١/٧. وقال ابن حجر في التلخيص الحبير، ٩٥/٢: تفرد به يوسف بن السفر عن الأوزاعي وهو متروك وكان بقية ربما دلسه.

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل، ٢٧٣/٢، وأبو نعيم في الحلية، ٢٣٥/٢.

(٤) الداء والدواء، ص١٢-١٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٧/٩.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ٦٧٨/٢.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد، ٢١٥/١٧.

(٨) شرح الطيبي على المشكاه ٣١٩/٤.

الله أكثر أى ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم، وقيل: الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار، فإن خزائنه لا تنفد وعطاياه لا تفنى، وقيل الله أكثر ثوابًا وعطاءً مما في نفوسكم فأكثروا ما شئتم فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل"[١]، وقد بلغ من فضل الله أن العبد المسلم إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، قال له الملك الموكل: آمين ولك بمثل، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: دعوة المرء المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"[٢].

ولذلك "كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[٣].

رابعًا- من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين:

وهذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم "الله أكثر" لما قال له بعض الصحابة "إذًا نكثر". قال الطيبي: "إنما جيء "أكثر" بالثاء المثلثة مشاكلة لقوله "نكثر"[٤].

وتفسير ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الله أكثر" ليشاكل قول المدعو "نكثر" حتى يبين له أن ما خطر بباله مما يتعلق باستجابة الله للدعاء، يقصر عما عند الله من ذلك، فما عند الله أكثر مما يظنه العبد أو يخطر بباله، ولاشك أن هذه المشاكلة أفادت شيئين:

الأول: تعظيم الله وإجلاله وتقديسه. والآخر: تبشير الداعين بعظيم استجابة الله لدعائهم. ومن ثم يزدادون في الدعاء ويكثرون منه.

والخلاصة أن قوله صلى الله عليه وسلم: "الله أكثر" أبلغ وأنسب من قول آخر مثل "الله يستجيب لمن دعاه" أو نحو ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي ٢٥١٤/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٣٣

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي مج٥٢/١٧/٩. ط دار عالم الكتب.

(٤) شرح الطيبي ٣١٩/٤.

الحديث رقم (١٥٠٤)

١٥٠٤- وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: ((**لا إلهَ إلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوات، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الكرب: الحزن يأخذ بالنفس[2].

الشرح الأدبي

قوله (كان يدعو عند الكرب) يدل استخدام (كان) على أنه من عادته عند الكرب، والظرف (عند) يؤكد اعتياد هذا الدعاء وقت الكرب أي عند حلول الكرب، وقوله (لا إله إلا الله العظيم الحليم) اشتمل هذا على كلمة التوحيد في قوله (لاَ إلـهَ إلاَّ الله) وهي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله – سبحانه وتعالى – قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، أو عند الشك أو تعظيما للمعنى، ويمكن أن تنزل نفس المكروب منزلة المنكر، أو المتردد ولو كان متيقنا لطمأنت نفسه ثقة فيمن هذه صفته، والرسول ﷺ يعلم أمته حسن القول في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٨٣/٢٧٣٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٢٥).

(٢) القاموس المحيط في (ع ر ب).

الشدة، والرخاء، وقد اشتمل هذا الدعاء صفات الجلال، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة إذ العاجز لا يكون عظيما وعلى الحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية وتخصيص (الحليم) بالذكر؛ لأن كرب المؤمن غالبا إنما هو على نوع تقصير في الطاعات، أو غفلة في الحالات، وهذا يشعر برجاء العفو المقلل للحزن، وقوله (لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى ثم لفظ العظيم صفة للعرش بالجر وقيل أنه برفع العظيم على أنه نعت للرب، وقوله (رب السموات والأرض) خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات ومعنى (الرب) في اللغة يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربى والمتمم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا، وقوله (رب العرش العظيم) ذا أيضا يشتمل على التوحيد والربوبية وعظمة العرش وجه الأول قد ذكرناه ووجه ذكر الثاني أعني لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى هو كونه مناسبا لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب:

وهذا واضح من الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب..." قال ابن حجر: (الكرب: هو ما يدهم المرء مما يأخذ فيغمّه ويحزنه"[1] وقال ابن حجر كذلك: (قوله "كان يدعو عند الكرب" أي عند حلول الكرب، وعند مسلم[2] من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة "كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب"، وله من رواية[3] يوسف

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٥، ط السلفية.

(٢) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

(٣) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

ابن عبدالله بن الحارث عن أبي العالية "كان إذا حزيه أمر" -وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة- أي هجم عليه أو غلبه، وفي حديث عليّ عند النسائي وصححه الحاكم[١] ((لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها))[٢].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الكرب والغم لا يزيله إلا الله، وهذه الكلمات إذا قالها عبد مؤمن عند مخافته؛ آمنه الله عز وجل من المخوف، فإذا قالها عند الخوف فقد عَزَل ذلك الشيء المخوف من رتبة أن يخاف لقوله: "لا إله إلا الله" ففي ضمن هذه أن لا يخاف غيره، وأن من يؤمن بهذه الشهادة فمن ضرورة الإيمان بها أن لا يخاف سوى الله عز و جل؛ لأن من عداه قاصر أن يفعل شيئًا ما إلا بتسليط من لا إله إلا هو، فيكون الخوف والرجاء معنيين لمن لا يفعل شيء في الوجود إلا عن إذن منه أو إقدار لفاعله على فعله.

ثم أتبعها "بالتعظيم"، وكان هذا النطق تاليًا لما تقدم من التوحيد مشعرًا كل سامع بالعظمة التي لا يقوم لها شيء بحيث صغرت الخلائق والموجودات كلها، والسموات والأرض عند ذكر هذه العظمة بحيث لم يبق لناطق جرأة على قول إلا بعد أن يتبع هذا النطق بقوله: "الحليم".

فهذا كله بقوله لنفسه إن عظمته التي لا يقوم لها شيء لا يوازيها إلا حلمه تعالى وجل جلاله، ويقتضي اتباع العظمة بذكر الحلم أيضًا أن الناطق بهذا القول يتخوف أن يكون قد عصى الله سبحانه وأغضبه لما خطر في قلبه خوف لغيره، فخاف من سخطه فأتبع ذلك بما تداركه بقوله: "وهو العظيم الحليم".

وفيه أيضًا أن المتجرئ عليك الذي أخافك إنما تجرأ عليك بحكم الله سبحانه لا أنه قدر أن يفعل ذلك مراغمة. وقدكنت عند عودتي من الحج سبقت أنا وإخوتي الناس

---

(١) اخرجه احمد ٢٠٦/١، رقم ٧٠١، والنسائي في الكبرى ٧٦٢٦، والحاكم ٥٠٨/١، وانظر تتمة تخريجه في المسند، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٧٦٢.

(٢) فتح الباري ١٤٦/١١، ط السلفية.

في القفول فوصلنا إلى المعبر المعروف بصرصر[1] وعليه خيمة مضروبة لجماعة من المكاسين[2] فحبسونا هناك من وقت ضحوة إلى بين صلاتي الظهر والعصر على شوقنا إلى أهلينا، وكوننا قد سبقنا الحاج مؤذنين بوصولهم ومخبرين بسلامتهم، فكان أصحاب المكس يتحيرون علينا غير مبالين بشيء من ذلك، وكنت أنا في أثناء ذلك أعجب من حلم الله عز وجل عنهم، وأقول من كلامي ما معناه: اللهم لا تعدم خلقك حلمك.

فأما ذكر العرش؛ فلأنه أكبر المخلوقات وأعلاها، وكل مخلوق تحته ودونه، فإذا آمنت بأن الله رب العرش العظيم، فإن العرش قد اشتمل على جميع المخلوقات، فلما ذكر التوحيد والعظمة والحلم والعرش العظيم نزل إلى ذكر السموات والأرض، فأقر بأنه خالقهما، ثم عاد فصعد إلى أعلى المخلوقات، فقال: "رب العرش الكريم"، ولما وصف العرش بالعظم وصفه بالكرم، وليس كل عظيم كريمًا فجمع له الوصفين؛ أي أنه عظيم الخلقة، وهو كريم على خالقه؛ وذلك لأنه ذكر الكون من جهته بقوله: "رب العرش العظيم"، ثم ذكر بعد ذلك "رب السماوات والأرض" أي رب التحت والفوق، ثم أعاد بعد ذلك فكرر ذكر العرش، وأنه كريم، وإذا قال هذه الكلمات موقن بها زال كربه، وأي كرب يبقى مع هذه الكلمات العزيزة)[3].

ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[4].

وقد ضرب الأنبياء خير المثل في اللجوء إلى الله في كل حال، ومنها حال الكرب والهم، قال النبي ﷺ: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[5] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إلاَّ

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٤٢٤: الصَّرْصَر: قريتان ببغداد، عليا وسفلى، وهي أعظمهما.

(٢) جاء في النهاية في غريب الحديث ٨٧٨: المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/٨٥-٨٧.

(٤) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

اسْتَجَابَ اللَّه لَهُ))[١].

قال ابن القيم وهو يعدد "فوائد ذكر الله": (التاسعة والخمسون): أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه.

(الستون): أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض ورب العرش الكريم".

قال ابن حجر: (قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلاً... قال الطيبي[٣]: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى الربوبية[٤]، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية)[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٢٤٩-٢٥٠.

(٣) لم نعثر على كلام الطيبي في مظانه من شرحه على مشكاة المصابيح وقد يكون ذكره معنى وليس لفظًا فهذه من طرق الحكاية عن العملاء ٥/١٦١.

(٤) في المطبوع من فتح الباري، التربية، والغالب على الظن أنه تحريف وما أثبتناه الصواب والله أعلم.

(٥) فتح الباري ١١/١٤٦، ط السلفية.

وقال النووي عن حديث ابن عباس: (وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، قال الطبري: كان السلف يدعو به، ويسمونه دعاء الكرب)[١]. وقال القرطبي: (فإن قيل: كيف يسمى هذا دعاء، وليس فيه من معنى الدعاء شيءٌ، وإنما هو تعظيم لله تعالى، وثناء عليه؟ فالجواب: إن هذا يسمَّى دعاءً لوجهين:

أحدهما: أنه يُستفتح به الدعاء، ومن بعده يدعو. وقد ورد في بعض طرقه: "ثم يدعو".

وثانيهما: أن ابن عيينة قال - وقد سئل عن هذا-: أما علمت أن الله تعالى يقول: ((إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين؟))[٢].

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء[٣]

قلت: [القائل القرطبي]: وهذا الكلام حسن، وتتميمه أن ذلك إنما كان لنكتتين:

إحداهما: كرم المثني عليه، فإنه إذا اكتفى بالثناء عن السؤال دل ذلك على سهولة البذل عليه، والمبالغة في كرم الحق.

وثانيهما: أن المثني لما آثر الثناء الذي هو حقُّ المثني عليه على حقِّ نفسه؛ الذي هو حاجته، بُودر إلى قضاء حاجته من غير إحواج إلى إظهار مذلَّة السؤال مجازاة له على ذلك الإيثار، والله تعالى أعلم. ومما قد جاء منصوصًا عليه، وسُمِّي دعاءً؛ وإن لم يكن فيه دعاء ولا طلب؛ ما أخرجه النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص. قال: قال رسول الله ﷺ: ((دعوةُ ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء إلا أستجيب له))[٤].

---

(١) شرح مسلم ج٩/ج١٧/٤٩، ط دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٩٢٦ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب عز وجل: (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته افضل ما أعطي السائلين. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٦٢).

(٣) تاريخ دمشق، قافية الهمزة ٢٧٤/٩.

(٤) المفهم ٥٦/٧-٥٧.

وقال ابن حجر: (قال [أي سفيان بن عيينة] وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبدالله ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحِباء[1]

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضك الثناء[2]

قال سفيان: فهذا مخلوق حين نُسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف بالخالق؟ قلت: ويؤيد الاحتمال الثاني حديث سعد بن أبي وقاص رفعه: (دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له)[3] وفي لفظ: "فقال رجل: أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4])[5].

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكرُ والثناءُ أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بماله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته. فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية)[6].

---

(١) في المطبوع من فتح الباري ١١/١٤٧، والبداية والنهاية ٣/٢٩٦. حياؤك، والحياء بالياء [المثناة التحتانية]، لكن في مجموع الفتاوى "حباؤك والحباء" بالباء [الموحدة التحتانية]. وقد أثبتنا ما في مجموع الفتاوى لكونه أنسب في المعنى. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٣١٠، ط العبيكان، ١٠/٢٤٥ ط ابن قاسم.

(٢) السيرة الحلبية ١/٢١١ قافية الهمزة.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، والحاكم ٥٠٥١١، ٢/٣٨٢-٣٨٣، وأخرجه أحمد ٣/١٤٦٢. وانظر تتمة التخريج هناك. والحديث صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٨.

(٥) فتح الباري ١١/١٤٧، ط السلفية.

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٦٩. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٢٠٦-٢١٦ ط/ العبيكان، ١٠/٢٣٧-٢٥٤ ط/ ابن قاسم، ١١/٥٧٧-٥٨٣ ط/ العبيكان، ٢٢/٣٧٦-٣٨٨ ط/ ابن قاسم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مكافأة المحسن:

إن تربية الأنفس عل إسداء المعروف، ومكافأة الجميل بمثله، لمن أبرز ما يرسخ في النفس قيمة الوفاء، كأساس تربوي يعظم معه إرهاف الحس في الشعور بقيمة فضل المحسن، وهذا ما أرسى دعائمه المربي الأول محمد ﷺ وربى أصحابه رضي الله عنهم على ذلك.

ومن الشواهد في حديث الباب قوله: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ معروفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».

"فمكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكرًا لله حتى يكون معترفًا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»[1].

والشكر اللساني - كما ورد في نص الحديث - من طرق التربية على مكافأة المحسن، لكيلا يتعلم المتربي الكفران والجحود، ولئلا يتخلق بنكران الجميل ونسيان المعروف، وحتى لا تموت فيه المروءة[2]، لذا فتربية الشعور على مكافأة المحسن من أهم ما يجب على دعاة التربية والتوجيه غرسه وترسيخه في نفوس المتربين والمتعلمين.

ثانيًا- أثر الدعاء في تربية النفس:

إن الدعاء دليل على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها[3]، وقد استفاضت أحاديث الباب في الأمر بالدعاء والترغيب فيه لعظيم أثره التربوي في النفس، حيث هو - أي: الدعاء- علاج نفسي لكثير من أمراض النفس، فالإنسان بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يُفضي بدخيلة نفسه إلى صديق حميم يخفف عنه بعض ما

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٨١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٢٦).

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمد محمود الخزندار، ٤٩٥، ٤٩٦، بتصرف يسير.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢١٨، ٢١٩.

يشعر به من الهم والحزن، وقد أجمع الأطباء النفسيون على أن علاج التوتر العصبي والآلام النفسية إنما يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بسبب التوتر ومنشأ القلق إلى صديق مخلص، لأن كتمانه مما يزيد في المرض.

فإذا أفضى الإنسان المحزون إلى ربه ما يعانيه، وطلب منه ما يبتغيه فإنه يشعر بطمأنينة ونفحة روحية تنشله مما هو فيه من الهم والضيق، وذلك لأن الإيمان يقتضي الاعتقاد التام بأن الله قريب منه مجيب دعوته كما أخبر بذلك القرآن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1][2].

وللدعاء أثر عظيم في تربية النشء المسلم، حيث يخاطب به الوالدان، لتحقيق الالتزام به، وتحيّن لحظات الإجابة التي بينها رسول الله ﷺ، كما في أحاديث الباب من قول أبي أمامة رضي الله عنه: «قِيلَ لرَسُولَ الله ﷺ أيُّ الدُّعَاءِ أسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». وقوله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

إذ دعاء الوالدين مستجاب عند الله تعالى، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقودًا، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبي الوالدين، فيتضرعان إلى الله تعالى، ويبتهلان إليه في إصلاح الطفل ومستقبله... وهذه سنة الأنبياء والمرسلين.

لهذا نجد خطورة من يدعو على ولده، فهذا عمل خطير جدًا، ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر، لما فيه من دمار النشء المسلم، ومن دمار للأبوين كذلك.

وقد نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهن لأن هذا مناف للخُلُق الإسلامي، ويخالف التربية النبوية، ويبتعد عن منهج النبوة في دعوة الناس إلى الإسلام، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: «لاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ١٩٩، ٢٠٠.

عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيب لَكُمْ».

وقد ذكر الغزالي "أنه جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلى. فقال عبدالله بن المبارك: أنت أفسدته"[(١)].

فبدلاً من أن يكون المربي سببًا في إفساد الطفل أو النشء المسلم بالدعاء عليه، فليكن سببًا في صلاحه بالدعاء له[(٢)].

ثالثًا- التربية بالترغيب والترهيب:

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في كل ما فيه منفعته، والرهبة من كل ما يضره به من ألم وشقاء وسوء مصير[(٣)].

والترغيب هو أسلوب تربوي يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر[(٤)]، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في الدعاء بقوله: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللّه تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاّ آتَاهُ اللّه إيَّاهَا....إلخ».

أما الترهيب فهو أسلوب تربوي يقوم على الوعيد والتهديد بعقوبة تترتب على الإخلال بأوامر الله ورسوله، وهذا ما بينه النبي ﷺ في أحاديث الباب من ترهيبه من الاستعجال في الدعاء أو اشتماله على إثم أو قطيعة رحم، وذلك في قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»..إلخ.

ويمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات صادرة عن الطبيعة الربانية المواتية لفطرة الإنسان، والتي من أهمها:

١- يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة أو فيها إشارة، من قريب أو بعيد، إلى الإيمان بالله واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب إلى المؤمنين.

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢١٧/٢.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، عبدالباسط محمد السيد، ٨٥، ٨٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣٠، بتصرف.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣، ٣٩٤.

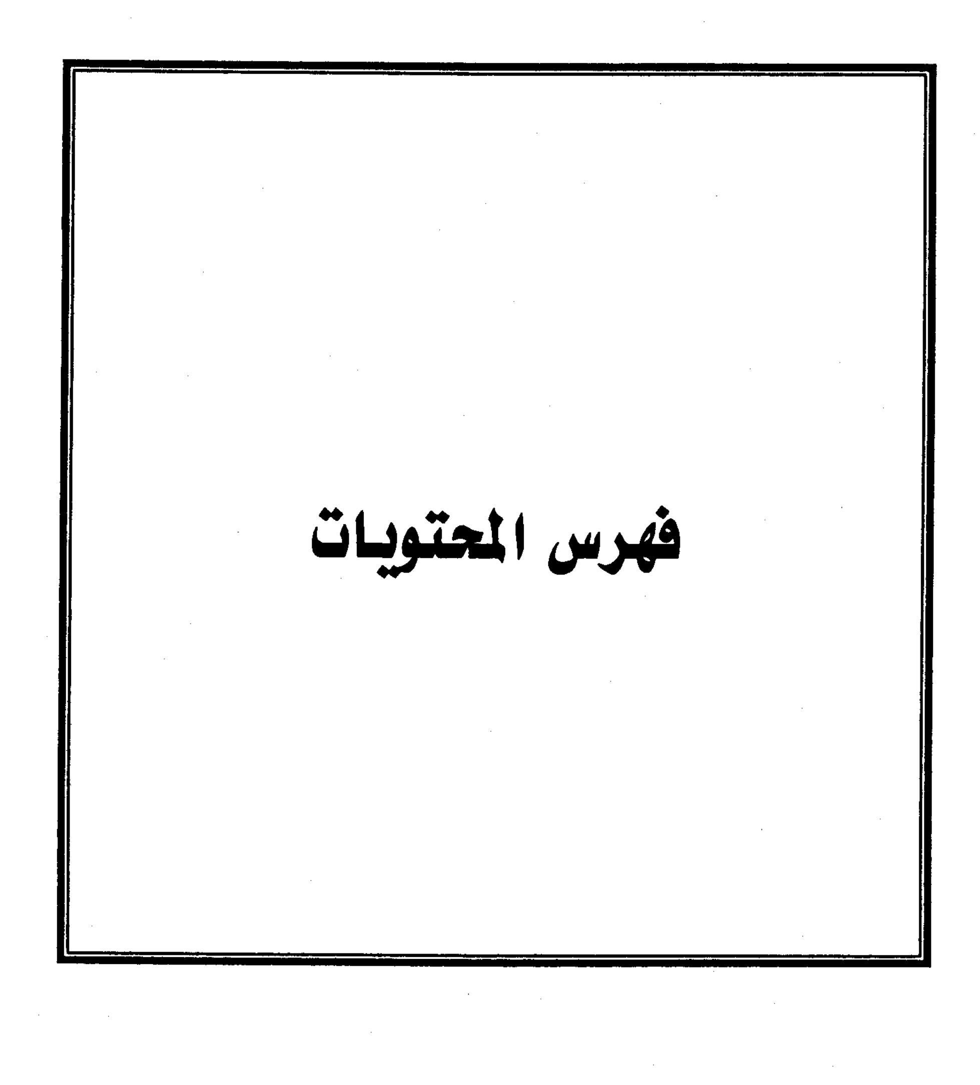
وهذا معناه تربويًا أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين، ليتسنى لنا أن نرغبهم بالجنة أو نرهبهم من عذاب الله، وليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية.

٢ - يكون الترغيب والترهيب القرآني والنبوي مصحوبًا بتصور فني رائع، لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس، لذلك يجب على المربي أن يستخدم الصور والمعاني القرآنية والنبوية في عرضه لعقاب الله وثوابه، وتقريبها إلى أفهام الناشئين كتصوير مواقف القيامة بالصور القرآنية مدعومة بالتفاصيل النبوية كقصة الشفاعة...، وعلى المربي هنا ألا يتقيد بنصوص المنهج وحدها بل يجب اقتباس تفاصيل من كتب الحديث وغيرها[1].



(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣١، ٢٣٢.





فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة